

ج ۱، ۲ س ۱۵ رجب وشعبان ۱۴۰۰ — ایار، حزیران (مابو — یونی) ۱۹۸۰ م

من ذكريات الرحلات

— Δ —

شماره ثبت ۹۸۳۴۴

تاریخ ۱۳۸۵ / ۴ / ۶

في تَابِلَنْد (ميام) :

وما كانت المسافة بين (كوالالمبور) و(بانكوك) طويلة ولهذا لم نحس بشيء من التعب .
واسم (تايلند) أطلق على هذه البلاد حديثاً فقد كانت معروفة إلى عهد قريب باسم (سيام)
وكان حجاج سيام لهم شأن عند أهل مكة من المطوفين وغيرهم .

ومدينة (بانكوك) تقع في براح من الأرض ولهذا فهي واسعة ولكنها غير نظيفة ، ويخترقها نهر عظيم تسرب إليه الأوساخ ، وعلى شواطئ هذا النهر تقام أسواق من صنادق مصنوعة من الخشب ، يقصدها السياح الذين تحملهم زوارق صغيرة ، فسير بهم بقرب الشواطئ ، التي تمتد حولها أمكنة عرض البضائع .

ذهبت في صباح اليوم التالي لمشاهدة معالم هذه البلاد ، ولكنني عندما شاهدت شدة الزحام على القوارب مع عدم نظافتها بل عدم الاطمئنان إلى السلامة ، رجعت من الشاطئ بعد أن دفعت أجرة الرحلة كاملة .

وأجمل ما في هذه المدينة فنادقها ، ومن أشهرها فندقان اثنان أحدهما بدعي (فندق
مونتين ، Montien) والثاني فندق الشرق (أوريستال) ، وهذا الأخير على شاطئ النهر ،
وفيه بركتان للسباحة .

كان الجو في الأيام التي أقناها في هذه البلاد (من ١٠ أبريل إلى ١٣ منه) شديد الحرارة ، ولهذا فالمرء لا يرتاح إلا في داخل الفندق حتى في المساء ، وبعد غروب الشمس حاولت في إحدى الليالي أن أجلس على الشاطئ في (فندق الشرق) في مكان واسع صفت فيه مئات الكراسي وأضيء بالأنوار القوية ، ولكنني وجدت مضايقة من البعوض .

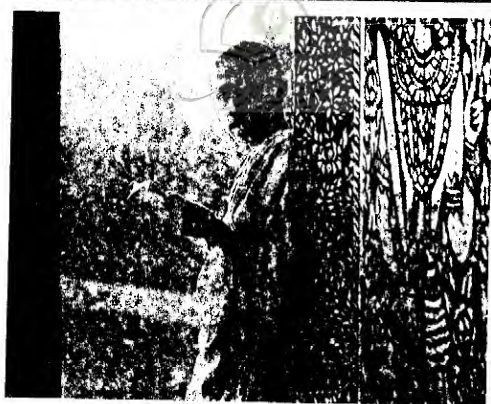
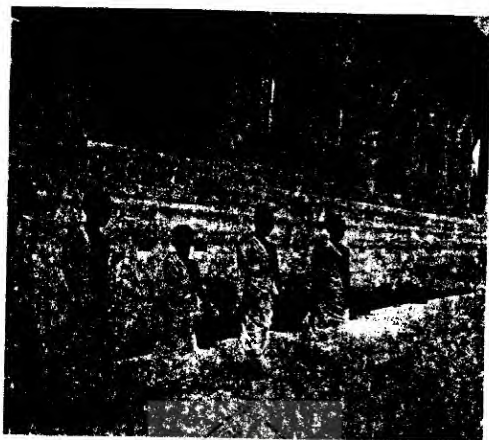
وأجور الفنادق في حدود عشرين دولاراً أمريكياً للغرفة الواحدة .

لم يلفت نظري في هذه المدينة سوى منظر الرهبان من البوذيين ونحلة هؤلاء هي الشائعة في تايلند مع انتشار مختلف النحل .

لقد كان من عادتي الخروج من الفندق صباحاً ، وإمضاء ما يقرب من ساعة في رياضة المشي ، فأبصرت على مقربة من الفندق طائفة من الناس غربيي الزي والمظهر ، إنهم يلبسون حُللاً ضفراً غير مخيطة ، تتكون الحلة من قطعة من قماش قد ارتدى الواحد منهم بقسم منها واثترر بالقسم الثاني ، والرؤوس مكشوفة قد حُلَّتْ شعرها ، والأقدام عارية . كان اجتماعهم قرب معبد من معابدهم ، وكانوا وقوفاً مصطفين ، فذهبت حتى توسطتهم ، لأنظر على م اجتماعهم ، فإذا بنسوة تأتي كل واحدة منهن بإناء كبير ، مملوء طعاماً وفاكهة ، فتقف بقرب مدخل المعبد أو تجلس ، فيقبل إليها أولئك واحداً واحداً ، وكل ما وقف عندها واحد منهم انحنَتْ فقدم لها إناءً مجوفاً له علاقة يحمله بها ، فتتفرق من الطعام وهو في الغالب من الأرز ، وتضع فوقه شيئاً من التوابل ، ثم تضع حبة برتقال أو منجعة في ذلك الإناء وتناولوه ذلك الرجل بعد أن تتحنى له مرة أخرى ، فيأخذ إناءه ويمضي ، وقد تقدم له غصناً فيه زهرة أو زهرتان من زهور كانت أحضرتها معها ثم يأتي من بعده فتفعل معه كما فعلت للذي قبله وعندما ينفد ما في إناؤها يكون هناك من النسوة من يحل محلها .

لقد حاولت أن أقدم لواحد من هؤلاء نقوداً فلما مددت يدي بها أدار لي مثنه وانصرف بعيداً عني ، فحاولت مع شيخ كبير السن كان جالساً فلما مددت يدي إليه أغمض عينيه ، فطرحتها في حجره ، فنفض رداءه وقام مهولاً وتركها ، بعد أن نظر إليّ شراً .

لقد كان منظر هؤلاء مؤثراً في النفس ، إنه يعبر عن عدم الاكتراث بالجسم بل بالحياة كلها ولا أدري كيف لا ينقرض هؤلاء اللذين لا يرى المرء أي أثر في أجسامهم للعناية بصحتهم ؟



لقد وجدت نوعاً من التسلية في الذهاب صباح كل يوم إلى هذا المكان ، والناس في هذه البلاد — في ما يظهر — طيبون ، فأنت حين تجلس في أحد الأمكنة العامة تشاهد هدوءاً تاماً . وعندما تسير في الشوارع لا تجد شيئاً من المضايقات التي قد تحس بها في كثير من البلاد الشرقية .

ولا أدري فقد يكون هذا ناشئاً من بُعد الفندق الذي سكنت فيه عن الأحياء الواقعة وسط البلدة .

وأذكر أنني حين رجعت من شاطئ النهر — حين ذهبت لمشاهدة معالم المدينة — اضطررت للذهاب إلى الفندق مشياً على القدم ، لأنني لم أعرف اسم الفندق الذي أسكنه بعد ، وكنت تركت عنوانه مع الرفاق الذين ذهبوا في التزهة النهرية ، ولكنني في الصباح عند الخروج منه شاهدت بقربه هو مكبي طيران هما مكتب الطيران الياباني ومكتب الطيران الهولندي فسرت في اتجاه القصد إليه حتى تعبت من المشي ، فصرت أسأل من قابلت عن هذين المكتبين ، فاكنت أجد إجابة وخاصة من أصحاب المحلات الذين يظهر أنهم يجهلون الكلمات الإنجليزية القليلة التي أتحدث بها ملحونة غير واضحة ، حتى اهتديت إلى محل للسياسة ، فلما سألت شاباً كان واقفاً عند مدخله سار أمامي بعد أن أشار إلي لأرجع مع شارع طويل كنت قد أتيت منه وأن أتبعه ثم أشار نحو جهة كنت أظنها بعكس الجهة التي أقصدها ، وفهمت منه أن المكان بعيد ، فطلبت أن يكتب اسم الشارع الذي يقع فيه مكتب الطيران واسم الفندق القريب منها ففعل ووقف بجانبني حتى مرت بنا سيارة أجرة فأوقفها فركبت فيها حتى أوصلني إلى المكان الذي أقصده .

والحياة في هذه البلاد تتسم بالبساطة في كل شيء ، ولا شيء يكدر صفوها سوى الاستهانة بالنظافة . وأكثر من يعمل في الأمكنة العامة — كالمطاعم والمقاهي — من النساء .

ولكن يعدم المرء مشاهدة مختلف الأجناس من الشرق والغرب ، ولا سيما العرب ، في الفنادق الكبيرة . ولهذا فليس غريباً أن يرى بعض المحلات المعنونة بالعربية .

إلى الهند :

وفي صباح الجمعة ١٦ جادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٢٣ إبريل ١٩٧٩ م) كان السفر من

(بانكوك) قاعدة (تايلند) إلى مدينة دلهي ، والمفروض أن تطلع الطائرة في العاشرة إلا ربعا فتأخرت إلى الساعة الثانية عشرة ، فبقينا في المطار البعيد عن البلدة ، حتى حان وقت السفر وبعد ساعتين هبطت الطائرة في مدينة (دكا) في (بنغلاديش) وكان البقاء داخل الطائرة ساعة كاملة ثم كان الإقلاع والوصول إلى مدينة دلهي بعد ساعتين والبقاء في الجمر ك أربع ساعات .

لم أشاهد في حياتي معاملة أسوأ مما شاهدته من موظفي الجمارك هنا ، لم يتركوا شيئاً من أمتعتنا نحن الثلاثة بدون تفتيش دقيق ، بل لم يتورعوا عن النظر إلى ما تتحلّى به ابنتي وأُمّها ، وتسجيل جميع ذلك ، مما حملني على التفكير في عدم التزول في هذه المدينة ولكنني لم أجد أية وسيلة أتمكن بها من تحقيق ما فكرت فيه إذ لا بد من إكمال عملهم سواء بقيت أو سافرت .

كان التزول في فندق يدعى (موريا Maurya) والأجرة لغرفة تسعنا نحن الثلاثة ٥٧٥ روبية ، ويقع هذا الفندق في منتصف الطريق بين المطار وبين المدينة وهو نظيف ومريح .

وكان مما أذهب عن نفسي بعض أسباب الكدر والتعب — من جراء معاملة موظفي الجمر ك السيئة — أنني بعد أن أصبحت وخرجت من الفندق كعادتي مبكراً . أعجبتُ بمنظر حديقة جميلة تحيط بالفندق وبعد أن خرجت منها واصلت السير بين مروج خضراء ، متجهاً صوب المدينة غير أنني لم أسير قليلاً حتى هاجمني أسراب من الذباب بحيث اضطرت للعودة إلى الفندق .

إن مدينة دلهي الجديدة جميلة من حيث سعة شوارعها وحدائث منازلها المنتشرة بين الحدائق التي تنتشر في جميع أرجاء المدينة ، ولكن النظافة هنا كغيرها في كثير من المدن الشرقية ، وتكاليف المعيشة ليست مرتفعة فنحن الثلاثة تناولنا عشاءً في الفندق بنحو ١٥٠ روبية ما يقارن ٢٠ دولاراً (الدولار = ٨ روبيات) وطعام الإفطار لنا الثلاثة يكلف ٢٦ روبية ولكن الأكل يعتبر من أجود الأنواع .

وفي صباح اليوم الثاني خرجت من الفندق مبكراً اتقاءً لما ضايقني بالأمس ، فسلكت الطريق المتجه إلى المدينة ، وهو شارع واسع ، تحيط به الحدائق ذات الأشجار السامقة التي تنتشر فوقها في الصباح أسرابٌ من الغريبان الصغيرة ولكن أصواتها مزعجة بدرجة لا تتلاءم مع صغر أجسامها ، مما ذكرني بدعاء بعض البادية : (يا الله سنة ذباب ولا سنة غراب) فالذباب

عند البادية يكثر في أيام الحصب ، حين يكثر اللبن والسمن وأنواع الغذاء الأخرى التي يحصل عليها البدوي من جرّاء سِمَنِ إبله أو غنمه ، واستفادته منها للاستعاضة من أثمان ما يبيعه لشراء ما يحتاج إليه .

أما الغراب فإنه لا يكثر في البادية إلا في زمن القحط عندما لا تجد الماشية ما تقتات به فصوت جوعاً فتكاثّر الغربان على جِيفِهَا ، ولهذا كان أبناء البادية يتشاءمون بالغراب .

والتشاؤم من الأمور التي أبطلها الإسلام ، بخلاف التَّقاوُلِ ، فالرسول عليه الصلاة والسلام ، يُحِبُّ الْقَالَ الحسن .

وفي ضحوة هذا اليوم وكنت جالساً في بهو الفندق أبصرت أختانا الأستاذ محمد أنعم غالب الذي عمل معي في صحيفة «الجمامة» ما يقرب من عام حتى نُزعت مني وكان يتولى الإشراف على إدارتها وكنت غائباً في بيروت .

كان الأستاذ أنعم جاء الى هذه المدينة لحضور أحد المؤتمرات ممثلاً لحكومته (الجمهورية العربية السورية) وقد أُنِستُ بالاجتماع به ، وأمضيناها سويّعات قصيرة في المساء ثم في اليوم الثاني حتى سافرتُ .

الملوك المسلمين في الهند آثار عظيمة ومنها (تاج محل) في بلدة (أكرا) وبالطّاح من أم محمد ومن ابتنا كان الذهاب إلى (أكرا) في القطار ومسيره نحو ساعة ونصف ثم بالسيارة مثل ذلك ، وكانت رحلة شاقّة لم يُخَفَّفْ من مشقّتها ما شاهدناه من عِظَمِ الآثار في تلك المدينة ، بل زادنا تعباً على تعب مع عدم الحصول على غذاء تطمئن إليه النفس من حيث النظافة .

ولا أدري هل لي أن أنصح من يزور تلك البلاد ألا تفوته مشاهدة آثار (أكرا) ولكن عليه أن يرتب أمر رحلته ترتيباً يحقّق له أن يكون سيره وطعامه وشرابه وفق رغبته هو ، إذا أراد الراحة ومشاهدة أجمل ما ينبغي أن يُشاهد في هذه البلاد .

وفي مدينة (دهلي) القديمة وهي متصلة بالحديدة آثار إسلامية كثيرة من المساجد والمدارس وغيرها ، ولكن عدم الارتياح وشدة الحرّ هنا مما حال دون زيارة شيء منها .

ولقد استأجرت سيارة أجرة في يوم السبت وبعد أن مررت بمكان يدعى (نظام الدين) فيه مسجد عظيم قديم أدركني الظمأ وكنت قد عرفت بأن دار السفارة السعودية ليست بعيدة لأنني زرتها يوم الجمعة فقبل لي : إن اليوم عطلة ولم أقابل أحداً أعرفه ، فذهبت في هذا اليوم ولكن الحارس أبى أن يسمح لي بالدخول قائلاً : إن اليوم عطلة أيضاً إذ يصادف أحد الأعياد الرسمية هنا وغداً يوم الأحد عطلة أيضاً وحتى الماء قال بأنه لا يوجد لديه ماء للشرب .

ما كانت إقامتنا في هذه المدينة مريحة ، فالحر شديد ، وعلى ما تتصف به من جمال في مظهرها بجذائرها الكثيرة فإن المرء عندما يتوغل داخل المدينة لا يشاهد شيئاً مما يثير في نفسه الإعجاب أو الاستحسان .

وقد يكون منشأ هذا أنني صدمت عند وصولي إليها فأصبحت متأثراً بما حدث لي يوم وصولي للمطار أو أن الوقت ما كان ملائماً لشدة الحر .

إلى بُعْثي :

ولم تكن الرحلة متعبة لقصر المسافة ، وإن كانت الطائرة من نوع يروُض الجسم ، وإن لم يكن محتاجاً للرياضة ، ولن يحتاج المرء في المطار عند الوصول إليه سوى جِدَّة النظر إلى أمتعته إن لم يستطع إمساكها بكلتا يديه ، مع الاستعانة ببقية جوارحه إن أمكن .

كان السكن في فندق على ساحل البحر متوسط في المدينة يعتبر من خير فنادقها وما كانت زيارة هذه المدينة مقصودة ، ولكن منها سيكون الإنجاء للعودة إلى الرياض .

سارعت في صباح اليوم الثاني لزيارة (القنصلية السعودية) لأقابل الأخ عبدالله الحمد الشبلي وهو أخو جيسنا أي سليمان ، فكيف لا يزار ، وقد وجدت القنصلية تغص بمن فيها من طالبي سمة الدخول في المملكة للعمل ، لذلك كان التريث للانتظار وما كان طويلاً ثم كان اعتذار من الأخ عبد الله بأنه عندما أبلغ اسمي توهمني شخصاً آخر ، شاركني في الاسم واللقب .

ولست المرة الأولى التي يَجْنِي عليَّ هذا الاسم أو أجني به على غيري أذكر أنني في عام ١٣٧٣ وكنت إذ ذاك معاوناً لمدير المعهد العلمي في الرياض الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وكان مقر المعهد إذ ذاك في بناية (أم قَيْس) في الشمسية ، على مقربة من مقر

جلس الوزراء وكان في (قصر الحمراء) وفي صباح يوم من الأيام بعد أن تكلم الشيخ عبد اللطيف بالهاتف جيباً التفت إليّ هامساً وقال : إن مدير الشرطة أخبره بأنه سيبحث ضابطين ليأخذاني إلى السجن ثم استوضح مني عن السبب ، فأفهمته بأنني لا أعرف سبباً ، ومن الخير لي أن أذهب الآن قبل حضور الضابطين إلى مجلس الوزراء للاستيضاح عن الأمر ولكنني حين ما قابلت الشيخ صالح العباد رئيس الديوان إذ ذاك وأخبرته قهقه ضاحكاً بأعلى صوته واتصل بمدير الشرطة وأفهمه أن المطلوب للحبس شخص آخر ، وهو سمي لي وأذكر مرة أخرى أنه حدث مني ما استدعى إدخالني السجن فالقي القبض على سمي لي كان صاحب دكان لا صلة له بالأمر الذي عوقبت من أجله بالسجن وبقي فيه حتى حلت محله .

رأيت عند الأخ الشيبلي الأخ رشيد رضوان وكان من تلاميذي حين كنت أدرس في (مدرسة تحضير البعثات) في مكة المكرمة وكان مديراً للخطوط السعودية في بُنيي فأخبرته بأنني أريد السفر إلى الرياض وقد اتصلت بقسم الحجز في مكتب الخطوط فوعلني الموظف وغداً غير مؤكد لوقت السفر وأحب أن أتأكد من ذلك فقال : تذهب الآن إلى مكتب الخطوط لتقابل المدير الذي حل محلي فقد نقلت إلى جدة وأصبح الأخ محمد العصيل هو المدير .

ولقد أكرم اللقاء وأحسن المساعدة ويسر لي ما أنا بحاجة إلى تبسيه في الرحلة إلى الرياض بلْ غمرني بفضله ، وكرم خلاله — أعني الأخ محمداً العصيل — .

وكرم الأخ أحمد بن عبدالله القاضي من الأسرة الكريمة المعروفة وهو ذو محل تجاري في مدينة بمبي كرم فزارني في الفندق ، وأخبرني بأن كثيراً من العرب الموجودين في هذه المدينة يجتمعون في المساء في (المدرسة العربية الكويتية) وهي مدرسة أنشأتها حكومة الكويت في أول الأمر لتدريس أبناء العرب اللغة العربية ، ولكن لقلّة الطلاب أصبحت نادياً يضم مكتبة ترد إليها الصحف العربية وبعض الكتب ، ويرتادها الزوار كل يوم ، ويشرف على إدارتها الشيخ عيسى ابن عالم الكويت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي والشيخ عيسى يشتغل بالتجارة ، وله ابن هو الشيخ يوسف وهو قنصل الكويت في بمبي .

لقد زرت تلك المدرسة وكانت غير بعيدة من الفندق الذي أسكنه فقابلت الشيخ عيسى وابنه يوسف كما قابلت تاجراً من اليمن هو الشيخ أحمد زيد الجماني من عدن وكان ذا اطلاع على

ما ينشر من الكتب التاريخية وقد قرأ بعض مؤلفاتي ، وأطلعني على مقال له نشره في مجلة «الحوادث» اللبنانية تعقيماً على مقال كتبه الشيخ محمد بن أحمد النعمان حول مذكراته .

وَمِمَّنْ عَرَفْتُ فِي بَيْمِي وَالْفَنْدُقِ الَّذِي أَسْكَنُهُ يَجْتَمِعُ فِيهِ بَعْضُ مُشَاهِيرِ الْعَرَبِ الْمُقِيمِينَ هُنَا —
الْأَخَ عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ قَنْصَلِ حُكُومَةِ قَطَرٍ ، إِنَّهُ هُوَ الَّذِي عَرَفَنِي فَأَتَيْتُهُ إِلَى وَأَخْبَرَنِي بِأَنِّي كُنْتُ مِنْ
مُدْرَسِيهِ فِي مَدْرَسَةِ الْأَحْسَاءِ . ثُمَّ اتَّصَلْتُ بِالسَّيِّدِ أَزْهَارِ صَدِيقِي مَدِيرِ الْفَنْدُقِ فَدُنُقِ (شِرْتُونِ)
الَّذِي أَسْكَنُ فِيهِ فَأَوْصَاهُ بِي خَيْرًا فَكَانَ أَنْ صَارَ يَتَعَهَّدُنَا دَائِمًا بِرِعَايَةِ خَاصَّةٍ .

ارْتَحْتُ كَثِيرًا أَثْنَاءَ إِقَامَتِي فِي بَيْمِي وَلَعَلَّ هَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنِّي كَوْنْتُ مُجْتَمِعًا مِنْ
هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةِ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ ، وَصَرْتُ أَلْتَقِي بِهِمْ فِي الْفَنْدُقِ أَوْ خَارِجَهُ ، وَالْأَمْرُ الثَّانِي أَنِّي
وَجَدْتُ عَلَى الشَّاطِئِ الْمَتَدِّ أَمَامَ الْفَنْدُقِ الْمَكَانَ الْمَلَامُ لِلْمَارَسَةِ الرِّيَاضَةِ الْحَبِيبَةِ إِلَى نَفْسِي وَهِيَ
الْمَشْيُ ، فَهَذَا الشَّاطِئُ مُتَمَدُّ آلَافِ الْأَمْتَارِ وَقَدْ حَدَدْتُ الْمَسَافَاتِ بِالْأَرْقَامِ ، فَكُنْتُ أَبْدَأُ السَّيْرَ
مِنْ مُحَازَةِ بَابِ الْفَنْدُقِ وَأَتَجَّهُ عَلَى الشَّاطِئِ حَتَّى أَبْلُغَ رَقْمَ ٢٠٠٠ مِتْرًا ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْطَعُ أَرْبَعَةَ
أَكْيَالٍ (٤٠٠٠ مِتْرًا) فِي أَقَلِّ مِنْ سَاعَةٍ إِنِّي أَقْطَعُ الْكَيْلَ الْوَاحِدَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ دَقِيقَةً ، وَأَسْرَعُ فِي
الْمَشْيِ وَلَا أَخْشَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ أَحَدٌ نَظْرَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْاسْتِغْرَابِ ، أَوْ الْإِنْتِقَادِ ، وَطَلَمَا
شَاهَدْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ يَسِيرُونَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْرِي جَرًّا ،
فَأَقْلُدُهُمْ .

أَثْنَاءَ زِيَارَتِي لِلْمَدْرَسَةِ الْعَرَبِيَةِ الْكُوَيْتِيَّةِ جَرَتْ أَحَادِيثٌ حَوْلَ الْكُتُبِ وَكُنْتُ طَوَالَ الرَّحْلَةِ
مُنْصَرَفًا عَنْهَا وَقَدِمَ لِي الشَّيْخُ عَيْسَى الْقَنَاعِي بَعْضُ مُؤَلِّفَاتِ وَالِدِهِ ، وَقَالَ لِي الشَّيْخُ أَحْمَدُ زَيْدُ
الْجَمَانِي إِنْ فِي مَكْتَبَةِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ فِي بَيْمِي مَخْطُوطَاتٌ فَحَرَكْتُ كُلَّ هَذَا فِي نَفْسِي زِيَارَةً بَعْضُ
الْمَكْتَبَاتِ وَمِنْهَا الْمَكْتَبَةُ الْعَامَّةُ فِي بَيْمِي وَمَكْتَبَةُ الْجَامِعَةِ وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا مِنْ الْمَخْطُوطَاتِ مَا أَثَارَ
رَغْبَتِي فِي الْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ .

ثُمَّ ذَهَبْتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجَامِعِ الْكَبِيرِ وَيَدْعَى (جَامِعُ الْقَصَابِ) فَهَبْتُ مُبَكَّرًا فَرَأَيْتُ
مَكْتَبَةً مُلْحَقَةً بِهِ تَابِعَةً لِلْمَدْرَسَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ ، وَوَجَدْتُ فِي الْمَكْتَبَةِ شَيْخًا كَبِيرَ السِّنِّ سَمَّى لِي نَفْسَهُ
(مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ كَافُرِي) وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِلشَّيْخِ يُوسُفِ الْفَوْزَانِ — رَحِمَهُ اللَّهُ —
وَزَمِيلًا لَهُ وَقَدْ دَرَسْتُ ثُمَّ أَطْلَعَنِي عَلَى فَهْرَسِ الْمَكْتَبَةِ ، فَرَأَيْتُ مِنْ بَيْنِ مَخْطُوطَاتِهَا دِيْوَانَ الشَّاعِرِ
الْبَهْجِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ جَمِيلٍ ، وَهَذَا الشَّاعِرُ مِنْ أَشْهُرِ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ يَقُولُ فِيهِ أَحَدُهُمْ مُقَارِنًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ

شاعر الخلاف السلياني القاسم بن هُتَيْبِيل :

أَمَّا قَصَائِدُ قَاسِمِ بْنِ هُتَيْبِيلٍ فَمِمَّا أَقْبَحُهَا أَخْلَى مِنَ الصُّبَّاءِ
هُوَ شَاعِرٌ فِي فَنِّهِ قَظِيْرٌ وَلَ كُنَّ ابْنُ حِمَيْرٍ سَيِّدُ الشُّعْرَاءِ

وديون ابن حَمِيرَ رقه في المكتبة (٤٢٠) وقد كتب في هامش الورقة الأولى منه (الذاهب من أوله اليسر) وأول ما فيه قصيدة من قافية الباء وآخره (تم الديوان في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٧٨٦ برسم مالكة ... عمر بن المعافا بن خليفة بن الوحاري) . وملحق به «شرح الخمر طاشية» والخط جيد .

ومن الكتب التي طالعها في تلك المكتبة «تاريخ اليمن» للرازي أوله الجزء الثالث من كتاب التاريخ فيه ذكر قدم صنعاء وفضلها وذكر بنائها وآخره في التراجم (ترجمة زياد بن جبل وروايته) وهو مخطوط سنة ١١٣٤ — وقد طبع الكتاب بتحقيق حسين العمري ورأيت في المكتبة العامة في (بجي) — وقد زرتها — مجموعاً يحتوي على كتاب (طبيب أهل الكساء والفلك الذي على جودي النجاة رَسَى) في سيرة الإمام القاسم وأولاده وآخرهم المهدي ، وقد ألف سنة ١١٣٣ ومؤلفه هو محسن ابن الحسن ابن القاسم بن أحمد ابن الإمام القاسم وآخره (تم الجزء الأول ويتلوه الجزء الثاني في شهر جمادي الأولى سنة ٦٥ بعد الألف بمحروس صنعاء بقلم مؤلفه محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن أمير المؤمنين) ويتحدث فيه إلى حوادث سنة ٩٢ بعد الألف .

وهو مجلد ضخيم يقع في ٤٣٢ ورقة .

ورأيت في تلك المكتبة مع الكتاب الأول الذي رقه فيها (٣٤٢) كتاب «الجوهرة المنيرة في جمل من السيرة» في أخبار مولانا ... أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي جمعها الفقير ... مطهر بن محمد بن المنتصر الهادي الجرُموزي ويحوي تاريخه مفصلاً وفيه (فضل في سيرته نسبه ومولده) وذكر قبل ذلك (تقرر مع محمد باشا الصلح الذي كان قد عقده ولده سلام الله عليه) وذكر فيه الحوادث إلى سنة ١٠٥٤ وذكر وفاة المترجم ومراثيه وأولاده . وهو مخطوط ١٠٦٥ ، ويقع في مجلد ضخم ، ورقاته ٣٦٣ وقد أصاب بعضها بَلَلٌ أثر في الكتابة .

مدينة عنيزة

[طالع القراء البحث الممتع الذي كتبه الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي عن (مدينة بريدة) في كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ومن المناسب أن يطالعوا ما كتب عن (مدينة عنيزة) في ذلك الكتاب ، وقد أفضل الأستاذ العبودي على مجلة «العرب» به.]

عنيزة : —

بضم العين فنون مفتوحة فياء ساكنة فزاي مفتوحة فتاء مربوطة .
هكذا ينطق به في القديم وفي الحديث لم يتغير الاسم إلا أن العامة يسكنون العين في أوله مع وجود ما يشبه الألف اللينة قبلها في النطق .

هي المدينة الثانية في القصيم ، وكانت في وقت من الأوقات السالفة أكثر مدن القصيم

لقد حرصت على الحصول على صورة من «ديوان ابن جيمر» فذهبت مع ناظر المكتبة (الكفوري) إلى رئيسه ، فبالغ في مقدار الأجرة — ولعله فعل ذلك ليصرفني — ولكنني أبدت له استعدادي لدفعها ، فقال : لا بد من الاستئذان من جهة أخرى ، وهذا لا يتم قبل أسبوع ، ووعظني بأن يكتب إليّ لكي أحول الأجرة بعد الموافقة على التصوير .

وقد أكرمني علماء (جامعة عليكرة الإسلامية) بانتخابي عضواً في (المجمع العلمي الهندي) — قبل رحلتي هذه — فكان أن طلبت من الأخ الأستاذ مختار الدين أحمد ، أمين المجمع ، وعميد كلية الآداب في تلك الجامعة المساعدة في الحصول على صورة لذلك الديوان ، الذي كان أنني مؤرخ جازان الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي حريصاً على الإطلاع عليه .

محمد الجاسر

(للحديث صلة)

مدينة عنيزة

[طالع القراء البحث الممتع الذي كتبه الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي عن (مدينة بريدة) في كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ومن المناسب أن يطالعوا ما كتب عن (مدينة عنيزة) في ذلك الكتاب ، وقد أفضل الأستاذ العبودي على مجلة «العرب» به.]

عنيزة : —

بضم العين فنون مفتوحة فياء ساكنة فزاي مفتوحة فتاء مربوطة .
هكذا ينطق به في القديم وفي الحديث لم يتغير الاسم إلا أن العامة يسكنون العين في أوله مع وجود ما يشبه الألف اللينة قبلها في النطق .

هي المدينة الثانية في القصيم ، وكانت في وقت من الأوقات السالفة أكثر مدن القصيم

لقد حرصت على الحصول على صورة من «ديوان ابن جيمر» فذهبت مع ناظر المكتبة (الكفوري) إلى رئيسه ، فبالغ في مقدار الأجرة — ولعله فعل ذلك ليصرفني — ولكنني أبدت له استعدادي لدفعها ، فقال : لا بد من الاستئذان من جهة أخرى ، وهذا لا يتم قبل أسبوع ، ووعظني بأن يكتب إليّ لكي أحوّل الأجرة بعد الموافقة على التصوير .

وقد أكرمني علماء (جامعة عليكرة الإسلامية) بانتخابي عضواً في (المجمع العلمي الهندي) — قبل رحلتي هذه — فكان أن طلبت من الأخ الأستاذ مختار الدين أحمد ، أمين المجمع ، وعميد كلية الآداب في تلك الجامعة المساعدة في الحصول على صورة لذلك الديوان ، الذي كان أنني مؤرخ جازان الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي حريصاً على الإطلاع عليه .

محمد الجاسر

(للحديث صلة)

سُكَّانًا وَأَقْوَاهَا تِجَارَةً . وَأَرَقَاهَا مَدِينَةً حَتَّى سَمَّاهَا بَعْضُ السَّوَّاحِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ نَجْدٍ (بَارِسْ نَجْد) .

وذلك لما يتمتع به أهلها من لطف المعشر ، ولين الجانب للأصدقاء والغرباء المسلمين . إلى جانب ما عُرف عنهم من حباية العرين والصبر في الذود عن الدار والذَّبُّ عن الجار^(١) .

وعنيزة هي مدينة الأدب والتاريخ في القصيم ، وهي الأم التي انجبت العديد من الشعراء والمؤرخين ، ولا زالت كذلك .

ومدينة عنيزة ذات حظ عظيم من الأدب والشعر بالنسبة إلى غيرها من بلدان القصيم ، فقد قدمت من المؤرخين والأدباء أكبر مما قدمته أية مدينة أخرى في القصيم وطبيعي أن ذلك يجعل تاريخها المكتوب أكثر وضوحاً من تاريخ غيرها . وهذا هو الواقع فإن لدينا من التاريخ المذكور عن أحداث مدينة عنيزة بأقلام أبنائها أكثر مما لدينا عن غيرها .

ويكفي أن يقرأ المرء تاريخ الشيخ عبدالله بن محمد بن بسام «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق» وتاريخ مقبل الذكر المسمى «مطالع السعود» في تاريخ نجد وآل سعود» أو تاريخ الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى الذي يعتبر من أهل عنيزة إذ استوطنها وكتب تاريخه فيها ثم تاريخ الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام عن «علماء نجد خلال ستة قرون» ليعرف أية ثروة تاريخية تخص مدينة عنيزة قد ضُمَّتْها تلك الكتب بل إنه كان يوجد في عنيزة أوراق متناثرة في التاريخ والانساب كان علماءها يتناقلونها ولم تكن منسوبة إلى شخص معين ، ودون أكثرها مؤرخو عنيزة وضم كثيراً منها كتاب مطبوع للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى أخرجه الأستاذ حمد الجاسر . بعنوان «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم» وبناء بعض البلدان . وقد وصل إلي بعضها من بين كتب قاضيها الشيخ صالح بن عثمان القاضي على هيئة كراسات مخطوطة غير منسوبة المصدر .

(١) هناك أمثلة على ذلك معروفة وما ذكره المؤرخون منها ما أورده الشيخ محمد بن بُلَيْهْد في صحيح الأخبار ج ١ ص ١٥٢ — ١٥٤ .

بل إن أحد أبناء مدينة عنيزة وهو الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي نظم فيها قصيدة أسماها «العُنَيْزِيَّة» طبع ، وأصبحت بين أيدي الناس . ورغم كون ما أورده الأستاذ عبد العزيز القاضي عن عنيزة في تلك القصيدة موضع اختلاف عندي مثل نسبة بعض الحوادث التي ورد فيها ذكر عنيزة إلى مدينة عنيزة ذاتها كما سيأتي ، فإنني سوف أورد هنا بعض آياتها ولولا أنها مطبوعة لأوردتها كلها ، وهذا مظهرها :

سَلُوا عن بلادي رائد الشعراء	وَقَسَّ إِيَّادِ سَيِّدَ الخطباء
سلوه امرأ القيس ابن حُجْر وطرفة	وعنتره أربى على البلغاء
زُهَيْراً وَعَمراً ، أو لبيداً وحارثاً	وحاتم من عَفَى على الكرماء
وَذَا الأَصْبَحِ المبسوط في الناس حُكْمُهُ	له الفضل معروف لدى الحكماء
ويوم خزارى سائلوا فيه رأسه	كَلْبِيّاً وَأَوْفَى حَقَّهُ الْمُتَنَافِي
وفارس عَسْرٍ اذ جرى دَاحِسٌ به	وفارس غَبْرَاءَ جرى بمضاه

إلى أن قال :

سلوهم بما قالوا وما عرفوا به	من الشعر إنَّ الشعر غير خفاء
سلوهم لقد كانت بلادي مَرْتَعاً لهم ،	وبلادي مرتع العظماء
بنو أسد كانت قديماً منازلهم ،	وربوعاً أوطنت برعاء ،

أقول : لم أر من ذكر من المتقدمين أنَّ عنيزة ، أو ما يقرب من موضعها كانت لبني أسد في وقت من الأوقات ، وإنما هي كانت في صدر الإسلام مع منطقتها لِقُرَيْشٍ كما سبق ذكر ذلك في فصل (منازل العرب القديمة في القصيم) في مقدمة المعجم بل إن حظ مدينة عنيزة من التاريخ كان أوفر من حظ غيرها من مدن القصيم في ميدان الكتابة عنها إلى ما قبل سنوات قليلة ، ولعل الشاهد على ذلك ما كتبه أحد المدرسين المتدربين للتدريس فيها وهو الأستاذ عبد الرحمن صادق الشريف إذ ألف كتاباً بعنوان : «منطقة عنيزة : دراسة اقليمية» تكلم عن منطقة عنيزة حتى تاريخ تقديم ذلك الكتاب بمثابة رسالة لنيل درجة (الماجستير) من قسم الجغرافيا بكلية آداب عين شمس بالقاهرة عام ١٩٦٥ م^(١) .

(١) هناك ملاحظات على ما ذكره في هذا الكتاب ليس هذا بموضع ذكرها وقد لاحظ عليه المرحوم الأستاذ حمد العيودي في مجلة العرب ، وذلك أمر طبعي .

وأما الشعر في (عنيزة) ما بين عامي وفصبح فإنه كثير إلى درجة أنني لا أعلم موضعاً في القصيم وربما في نجد قيل فيه مثل ما قيل فيها ، ولقد بلغني أن أحد أبناء عنيزة وهو الأستاذ (عبد الرحمن بن عقيل المحمد) يجمع ديواناً حافلاً يضم طائفة من الأشعار المذكورة .

تسميتها :

اشتقاق اسم (عنيزة) مختلف فيه بين اللغويين والأقرب منها أن تكون مصغرة من كلمة العنز التي تعني القارة السوداء . فذلك ما رواه الأزهرى عن أعرابي شافهه بذلك مشافهه ، وهو الذي يتفق من كون مدينة عنيزة كان بقرها أكمة هي التي اكتسبت منها هذه التسمية قبل أن تصبح مدينة ، بل ربما قبل أن يستخرج محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ماءها فتصبح ماء موروداً ، وذلك في القرن الثاني الهجري .

قال باقوت : عنيزة : بضم أوله وفتح ثانيه ، وبعد الباء زاي ، يجوز أن يكون تصغير أشياء منها العنزة ، وهو رمح قصير قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً وفيها رُجٌ كُرَجُ الرمح ^(١) . والعنزة وهو دُويبة من السباع تكون بالبادية دقيقة الخطم ، تأخذ البعير من قبل دُبره وقلماً ترى ، ويزعمون أنه شيطان فلا يرى البعير فيه إلا ما كولا ^(٢) . والعنزة من الظباء والشاء ، زيدت الهاء فيه لتأنيث البقعة ، أو الركبة أو البئر ، فأما العنز فهو بغير هاء . أو العنز من الأرض وهو ما فيه حزومة من أكمة أو تل أو حجارة والهاء فيه أيضاً لتأنيث البقعة .

هذا ما ذكره باقوت ، وهو لا ينطبق تمام الانطباق على ما يتبادر إلى الذهن من تسمية (عنيزة) ، وإن كان قد يخرج على أحد المعاني التي ذكرها . أما الأزهرى فقد قال : سألتني أعرابي عن قول رؤية :

وَأَرَمَ أَعْيَسَ فَوْقَ عَنَزٍ

فلم أعرفه ، فقال : العنز : القارة السوداء . والأرم : علمٌ يبنى فوقها . وجعله أعيَسَ لأنه بنى من حجارة يبيض ليكون أظهر لمن يريد الاهتداء به على الطريق في القلاة ، وعنيزة :

(١) الرُج : أسفل الرمح .

(٢) تسميا العامة من أهل نجد في الوقت الحاضر (السارة) على وزن الحارة وفي معناها أيضاً .

موضع في البادية معروف.

أقول : الأرم هو الذي تسميه العامة في الوقت الحاضر (الرَّجَم) وهو ينصب فوق التلال والظراب وما يسمى (الجال) وهو الجانب المرتفع من الجبل المتطامن ونحوه.

ثم قال الأزهرى : وقال الليث : العتر في قول رؤية : صخرة تكون في الماء والذي قاله الأعرابي أصح . وقال الليث : العتر من الأرض ما فيه حزونة من أكمة أو تل أو حجارة^(١).

أقول : المختار هو الذي ذكره الأزهرى عن الأعرابي ورجحه ، وتكون تسمية عنيزة عليه تصغير العتر التي معناها : القارة بفتح الراء وتخفيفها أي الأكمة الصخرية .

وعنيزة تُسمَّى (الفيحاء) في العصور الحديثة وهي أشبه بالصفة — إلى جانب الاسم الأصلي (عنيزة) والفيحاء معناها : الواسعة من قولهم : مكان أفيح بمعنى واسع .

وهذا الوصف ورد لمدينة (عنيزة) في أشعار كثيرة من ذلك قول : زامل بن عبدالله بن سليم أمير عنيزة من قصيدة طويلة^(٢) :

إنشر من (الفيحا) لَمَلْفَى لك قريب عبدالله المذكور سَهْلٌ في نِباة^(٣)
نوخ على الحاكم ، وبالك تستريب من حاكم كل القبائل في سناه
وقول عبّاد الحشفي من شعراء عنيزة في القرن الثالث عشر من قصيدة :

قُلْ : هَيْه ، الا يا راكب شوشليّة عن الزور ضلاً طافحات عُصُودَه^(٤)
مُعَفَّاةٌ إلّا من شدّادٍ ومزهب وعنزيّة مَرَكُونَةٌ من جلوده^(٥)
نور من (الفيحا) على هَجْعَةِ المَلَأ والصبح وأنت منكب ما يكوده^(٦)

(١) تهذيب اللغة ج ٢ ص ١٤٠ .

(٢) ذكرتها كاملة مع ما وصل إلي من شعر زامل في ترجمته من : «معجم أسرار أهل القصيم» الذي لا يزال مخطوطاً .

(٣) الملقى : الذي تلافيه أي : تصل إليه إذا قصدته . والنبا : هو الحديث هنا وأصل الكلمة النبا للحديث .
(٤) شوشلية : ناقة سريعة .

(٥) الشداد الرجل : والزهب : ما يضع فيه المسافر زهابه وهو زاده في السفر عنيزة : قرية من جلد عتر .

(٦) نور من الفيحا : أي : اجعل نأقتك ثور من عنيزة بمعنى تنهض من مكانها يكوده : يكودها بمعنى يشق عليها والمراد : منكب ما : يكودها . قد جعلت ما يصعب عليها من قطع المسافة خلف منكب تلك الناقة .

وقال علي بن سليمان بن طريف من أهل عنيزة في ذكر أمير عنيزة عبد العزيز بن سليم :

بأمر (أبو خالد) ما نسي فيه تبديل عساه دأيم والسعد له مقابل^(١)
مقدم هل (الفيحا) يوم الهلاهيل شيخ حمى حد الحمى بالسلايل^(٢)

وقال عبد الرحمن الربيعي من شعراء عنيزة :

رَبِّي هَلْ (الفيحا) مصاويط الأكوان يوم السبايا بالصبايا مغاوير^(٣)
يوم المشوك مثل هطال الأمزان والسيف يجزِر بالعبال المناخير^(٤)

وقال عبدالله بن علي بن دؤيرج من أهل السرّ وسكن عنيزة :

رَبِّي هَلْ (الفيحا) كما واذي سأل يقض من عالي المشاريف طية^(٥)
إلى حصل يوم به قفائي وقبال مثل الضواري باللقا حصرمة^(٦)

ويحوز أن يكون لقب (فيحاء) مأخوذ في الأصل للغوي القديم من الفيح بمعنى ظهور
الرائحة ، ومنه : فاحت رائحة الطيب تفيح فيحاء .

وقد يفهم من تعبيرات شعراء العامة ذلك مثل قول علي بن ابراهيم القرني من شعراء عنيزة
المعاصرين في مطلع قصيدة له في (عنيزة) :

ألا يأملاً الخير يا دار عزيزة مثال مع قسوة الوقت عليه ما اختلف كارها^(٧)
(فيحا) تفوح أريجيتها بعملة رجال هم (دينموها) و(ماطورة) و(تبارها)^(٨)

(١) أبو خالد : هو أمير عنيزة : عبد العزيز بن عبدالله آل بجي السلم .

(٢) يوم الهلاهيل : يوم الركض والإغارة على الأعداء في الحروب ومقابل : قال حسن ، والسلايل : السيوف
المسلولة .

(٣) مصاويط الأكوان : المقدمون على الحروب والاكوان : جمع كون بمعنى حرب .

(٤) المشوك : رصاص البنادق ذو الشوك أي الذي طرفه حاد ليدخل في جسم العدو ، والمناخير : المقدمون من
الأعداء والعبال : القتلى المحاربون .

(٥) يقض : يهدم . المشاريف : الأماكن المشرقة . الطية : واحدة الطي وهي الحجارة الكبيرة .

(٦) قفائي واقبال : إقدام وتأخر لشدة المعركة في الحرب ، وحصرمة : شجعان يقدمون على الحرب وهم محضرون
بالتشني من الأعداء أي : يتكلمون فيه .

(٧) الأياطلا : رجاء ودعاء . عليه : عليه ، بلغه أهل القصم ، كارها : العرف والعادة التي تسير عليها .

(٨) الصملة : الشيء الحاصل الذي لا يتغير . ولذلك قال هم (دينموها) أي : مولد الكهرياء فيها وكذلك
(ماطورها) : أي محركها .

عمارة عنيزة :

عنيزة كانت روضة ينتهي إليها سيل بعض الأودية الصغيرة استخرج ماءها محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وستأتي النصوص التي تدل على قدم تسميتها ، وبقي أن نعرف متى عمرت عنيزة فأصبحت قرية ثم مدينة .

والواقع أن المستفيض لدى عدد من علماء القصيم ان ابتداء عمارتها كان في القرن السادس أو السابع ، وقد سجل عدد منهم ذلك ولكن لم يذكر أحد منهم المصدر الذي اعتمد عليه في رأيه ولا غرابة فذلك كانت سمة التأليف ونهج المؤلفين في ذلك العصر ولكنني وجدت نصاً من أوائل القرن التاسع يذكر عنيزة بأنها قرية وسوف أورد كلام علماء القصيم ثم أذكر ذلك النص وما بعده بإذن الله .

وقال الشيخ ابن ضويان في تاريخه :

أو من سكن عنيزة ، واستوطنها بطن من بني خالد يسمون الجناح نزلوا على بئر تسمى وأم القطاء هي الآن في العيارية ، وسميت المحلة باسم القبيلة ، وكان ذلك في حدود المائة السادسة من الهجرة ، وبعد سبعائة من الهجرة سكن زهير السبيعي العامري في موضع عنيزة وكثر جيرانه ، ولم تزل في زيادة إلى أن ملكت محلة (الجناح) وصار اسم الجميع عنيزة على الاسم القديم^(١) .

وقال الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع :

لقد انشئت عنيزة سنة ٦٣٠ تقريباً لأنه معلوم بما استفاض عند أهل القصيم بأن أول من سكن عنيزة هو زهري بن جراح الثوري . وتحققنا بأن الموجودين الآن هم من ذريته ، اذ أغلهم بينهم وبينه ثلاثة وعشرون أباً ، وفي اعتبار أهل النسب يجعلون لكل أب ثلاثين سنة في الغالب .

وأما إمارتها فقد مضى عليها قريب من مائتين وخمسين سنة وهي تبع للجناح^(٢) ليس فيها

(١) نقلته من خط الأستاذ منصور العبد العزيز الرشيد الذي ذكر أنه نقله من خطه .

(٢) سبق ذكر الجناح في حرف الجيم .

أمير ، ولا يحيط بها سور واحد . والجناح ثلاث دير^(١) : الضبط ديرة ، والخريزة ديره ، ولها سور خاص والمليحة ديرة ولها سور خاص ، وكذلك العقيلية^(٢) لها سور خاص ، وأصبحت هذه القرى كلها بلدة واحدة يقال لها (عنزيرة) .

وأول من أوجدها^(٣) عقيل بن ابراهيم بن موسى بن محمد بن بكر بن عتيق بن جبر بن نيهان بن مسرور بن زهري بن جراح^(٤) .

وقال الشيخ مقبل الذكير في تاريخه في حوادث ١٠٩٧ وفي هذا السنة خرج الشريف أحمد بن زيد الى نجد في شرعيي الثاني ونزل عنيزة في القصيم وكانت يومئذ كغيرها من بلدان نجد منقسمة من حيث النفوذ إلى أربعة أقسام :

(١) الجناح — وهي قرية لم تزل على حكمها شمالي البلد ، وأهلها آل جناح من جبور بني خالد .

(٢) العقيلية — وهي محلة لم تزل معروفة في البلد وأهلها آل أبو غنام الذين من ذريتهم آل يحيى الصالح وآل بكر .

(٣) المليحة — وهي محلة لم تزل معروفة بهذا الاسم ، وأهلها آل معمر بن الفضل الجراح وآل زامل وكلهم من سبيع .

(٤) الجادة — وهي أيضاً محلة لم تزل معروفة بهذا الاسم ، وأهلها الشخنة المعروفون بالمشاعيب وهم أبناء عم آل معمر . وكان النزاع لا يزال مستمراً بين هذه الأقسام ومن المفهوم أن ثلاثة الأقسام الأخيرة هي محلات متصلة بعضها ببعض بأسواق ، وكثيراً ما تسد هذه الأسواق أثناء النزاع الذي يحدث بينهم ويتبادلون إطلاق الرصاص من بيوتهم .

وفي سنة ١٠٩٧ خرج الشريف أحمد بن زيد كما ذكرنا ونزل عنيزة ونكل بأهل العقيلية

(١) دير : جمع ديرة وهي محلة القوم وكثيراً ما تخصص للقرية للحاضرة .

(٢) الضبط : والخريزة والعقيلية تقدم ذكرها في أماكنها من هذا المعجم وأما المليحة فستأتي في حرف الميم إن شاء الله .

(٣) يعني العقيلية .

(٤) المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ص ٣٠١ وتاريخ بعض الحوادث ص ٢٣٢ .

الحلة المعروفة في عنيزة تنكيلاً شديداً تتجاوز به حدود العقوبة ، وانتهب ما فيها وما في بيوتها ولم تقف على الأسباب التي دعت به إلى مثل هذا العمل ونظم فحوى هذه الأقوال صاحب «العنيزة» الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي فقال وهو يستعرض تاريخ عنيزة :

ولما أتى القرن الذي هو سابع لهجرة خير الخلق والنظرَاء
تأسس مبناها وكان شالها لآل جـنـاح أول المتراي
بها نزلوا حتى أقامت قبيلة سبيع من الجراح ذات دهاء^(١)

إن كلام هؤلاء العلماء لا يعطينا ما يستند عليه من مرجع قديم مكتوب ورأني أنهم كتبوا ما كتبوه بناء على الاستفاضة وعلى تقييدات تاريخية ليست بكتاب مشهور ، على أنه يمكن القول بأنهم قد عثروا هم بأنفسهم أو من نقلوا عنه على مصدر بهذا الشأن لم أطلع عليه وعلى فرض عدم وجود ذلك فإن بعض الدلائل تدل على صحة قولهم . وأهمها ما ذكره الجزري في طبقات القراء إذ سجل واقعة حدثت عام ٨٢٢ هـ ووصف فيها عنيزة بأنها قرية ، وهذا التاريخ لا يبعد عما قالوه إلا بفترة زمنية لا تتجاوز قرناً ونصفه من الزمن وهي فترة ليست بالطويلة في أعمار القرى والبلدان في نجد في تلك العصور وهي تعطينا دليلاً يمكن أن ينهض على أن عنيزة كانت قرية صغيرة حديثة العهد بالعامة واستمرت كذلك إلى سنة ٨٢٢ هـ حيث زارها الجزري أو أنها كانت قبل ذلك التاريخ في عدة محلات كما تقدم . ثم أصبحت قبل زيارة الجزري لها قرية واحدة تسمى «عنيزة» وعلى كل حال فإن لنص الجزري أهمية خاصة لأنه أقدم نص مكتوب عثر عليه وصف عنيزة بأنها كانت قرية .

وهذا نص كلامه في الطبقات :

خرج — أي ابن الجزري — للحج هو ومعين الدين بن عبد الله بن قاضي كازرون ، فوصلا إلى (قرية عنيزة) من نجد وتوجها منها فأخذهم الاعراب من بني لام بعد مرحلتين ، فرجعا إلى عنيزة ، فنظم بها الدرة في قراءات الثلاثة حسبما تضمنه تحبير التيسير . ثم جاء فيه : وفتح الله تعالى بالمجاورة بالمدينة بمكة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بعد أخذ الاعراب له ، ورجوعه إلى عنيزة^(٢) .

(١) العنيزة ص ١٢ .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

ان قيمة هذا النص تكمن في أنه وصف عنيزة بأنها قرية والا فإن اسم عنيزة كان معروفاً قبل البعثة بأنه موضع .

وقد أشار الجزري رحمه الله في الدرّة القصيدة التي نظمها في عنيزة أشار إلى تلك الحادثة وذكر عنيزة ولكن لم يصفها بوصف آخر قال :

غريبة أوطانٍ بنجد نظمها وعُظم اشتغال البال واف وكيف لا
صُدِّتْ عن البيت الحرام وزوري الـ حقام الشريف المصطفى أشرف الملّا
وطبقني الأعراب بالليل غفلةً فما تركوا شيئاً وكدت لأقتلا
فأدركني اللطف الحقيّ ورَدَّنِي (عنيزة) حتى جاعني مَنْ تكفلاً
يَحْنَلِي وايصالي لطيبة آمناً فياربِّ بَلِّغْنِي مُرادِي وسَهلاً
وَمِنْ بَجْعِ الشمل واغفر ذنوبنا وصلِّ على خير الأنام ومن تلا

وذكر العلامة تقي الدين الفاسي هذه الحادثة في تاريخه وذكر عنيزة ، ولكنه لم يصفها بقوله انها قرية . ولا شك في أن ذلك كان منه طلباً للاختصار أو ربما كان ذلك لكونها كانت معروفة عنده بأنها قرية قال :

في سنة ٨٢٢ توجه العلامة عمدة القرنين شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشافعي توجه من شيراز مريداً للحج فعرض له بنولام بقرب (عنيزة) فذهبوا ما معه من التحف التي استصحبها هدية الأعيان أهل الحرمين . وتأخر بعنيزة لتحصيل كتبه وترقيع حاله ، فلما ظفر بكتبه توجه قاصداً للمدينة النبوية ، فذهب بعض بني حسن أيضاً . وتوصل إلى المدينة النبوية في شهر صفر سنة ٨٢٣^(١) .

ولكن هناك نصاً أقدم عهداً من هذه النصوص الثلاثة ورد فيه ذكر عنيزة إلا أنه لم يرد فيه بيان حالها وما إذا كانت قرية أو ماء . وهذا النص أورده ابن فضل الله العمري عن بعض النجديين في القرن السابع الهجري وذكر عنيزة ، في معرض كلامه على بلاد بني خالد .

(١) العقد العنبري ج ٤ ص ١٣٨ .

وهذا يتفق مع ما أورده علماء القصب من أن الجناح كان لبني خالد وأنه كان أقدم من
عنيزة .

وهذا نص كلام ابن فضل الله :

وخالد : ودارها : التومة وضيدته وأبو الدبدان والقريع ، وضارج والكواره والنبوان إلى
ساق العرقه إلى الرسوس فألى (عنيزة) إلى وضاخ^(١) .

أقول : كل هذه الأماكن معروفة لي في القصب ونخصت لكل منها رسماً تكلمت فيه
عليه . وهي التومة وضيدته باقيتان على اسميهما وهما في ناحية الأسياح وأبو الدبدان هو أبا الدود
الآن في الأسياح أيضاً والقريع هو القرعا في جنوب ناحية الجواء ، وضارج هو ضاري حالياً في
الشقة إلى الشمال من بريدة . والكواره هي القواره في شمال القصب والنبوان هو الصوال حالياً
في شرقي قصبيا في شمال القصب وساق العرقه هو ساق الجواء وعرفته مشهورة في القديم
والحديث تكلمت عليها في موضعها . والرسوس هي الرس والريسيس وموضع آخر بقربها
والرس الآن إحدى المدن الرئيسية في منطقة القصب . واضاخ معروف وهو في نهاية حدود
منطقة القصب الجنوبية الغربية وهذه الأماكن كلها يصح ان يقرن ذكرها بذكر عنيزة والله
أعلم .

ولقد بحثت عن وثائق تاريخية قديمة ربما تكون موجودة عند أهل عنيزة وبخاصة عند
الأسرة التي كانت ولا تزال تتولى إمارتها وهي أسرة (آل سليم) فسألت الشيخ عبد الرحمن بن
عبد العزيز السليم من أكبر أفرادها الموجودين من حيث السن ، وأكثرهم علماً بل هو زميل كريم
في طلب العلم ووجه من وجهاء عنيزة إلى جانب كونه من الرجال الذين يتحرون الصدق في
الأمر والدقة في الحكم على الأشياء ، فأخبرني انه لا يوجد لدى الأسرة تاريخ مكتوب
لحوادث عنيزة وما حولها إبان القرون الأولى لتأسيسها وزاد على ذلك بأنه كان قد أملى على ابنه
ابراهيم نبذة مختصرة من تاريخ أمراء عنيزة قرر في أولها هذا المعنى اعطاني إياها وهذا نص
ما كتبه :

(١) مسالك الأبصار ج ٤ ورقة ٩١ مخطوطة أباصوفيا . وقد نقلت عبارته محرفة في قلائد العقيان ص ٨٩ .

أما إمارة عنيزة فلم تخرج من أولاد المؤسس الأول ، زهري بن جراح من العتايقة ، أحد فنوخذ بني ثور من قبيلة سبيع أما تاريخ يقبض ذلك فهو كالحال اذ ليس يوجد تاريخ لبلاد عنيزة أما الذي نعلمه فإمارة عنيزة لم تخرج عن ذرية زهري إلا في الفترة التي بين ترحيل عبدالله بن رشيد من عنيزة تقرب ١٢٠٤ إلى سنة ١٢٣٢ حين احتلال ابراهيم باشا للدرعية . اما الأمراء قبله فهم المشاعيب والمعر ، والرشيد وكلهم من أولاد علي بن زهري جراح ولا نخطط علما بتحرير ولاياتهم وفي سنة ١٢٣٢ أمر الأتراك عبدالله الجمعي رحمه الله وهو من أولاد علي بن زهري بن جراح وقتله يحيى بن سليمان بن زامل وهو من ولد علي بن زهري بن جراح ، وأخوه عبدالله سنة ١٢٣٨ وتأمر يحيى السليمان بن زامل وفي سنة ١٢٤٦ عزله الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأمر في عنيزة محمد بن ناهض من أهالي السر وأقام تقرب سنة واحدة ثم أمر محمد الحسن الجمل وهو من أولاد علي بن زهري بن جراح ولم يكمل سنة . ثم أمر صالح المحمد القاضي وذلك تقرب ١٢٤٨ هـ وفي سنة ١٢٥٠ تنازل عنها لأمرها الأول يحيى السليم وقتل في وقعة بقعا ١٢٥٦ هـ التي بين أهل القصيم وبين الرشيد .

ثم تولى الإمارة بعنيزة أخوه عبدالله السليمان بن زامل وقتل في وقعة الغريس^(١) ويقال وقعة الجوى عام ١٢٦١ ثم تولى أخوه ابراهيم بن سلمان الزامل فأقام بالإمارة تقرب سنة وتنازل عنها تورعا وتديناً رحمه الله لأنه طالب علم واتفق أهل البلد على تأمر ناصر بن عبد الرحمن السحيمي وهو من أولاد بكر بن زهري بن جراح وذلك لأن السليم بوقتها لم يكن فيهم من يصلح للإمارة لصغر سن عبدالله اليحيا وزامل وفي سنة ١٣٦٤ تولى إمارة عنيزة جلوى بن تركي بن عبدالله إلى سنة ١٢٧٠ هـ ثم تولى الإمارة عبدالله اليحيا السليم وتوفي عام ١٢٨٥ هـ وتولى الإمارة زامل العبدالله بن سليم حتى قتل في وقعة المَلَكِيَا التي بين أهل القصيم ومحمد بن رشيد في جماد سنة ١٣٠٨ هـ ثم أمر محمد بن عبدالله الرشيد عبدالله بن يحيى الصالح بطلب أهل عنيزة لذلك وهو من ولد مسرور بن زهري بن جراح وتوفي سنة ١٣١٢ وتولى بعده أخوه صالح بن يحيى حتى ذا القعدة سنة ١٣١٨ وتولى الإمارة عبدالعزيز العبدالله اليحيا السليم ثمانية عشر يوماً ثم انهزم مبارك الصباح بوقعة الصريف وخرج السليم من عنيزة وأمر عبد العزيز بن متعب بن

(١) الغريس : بتشديد الباء على لفظ التصغير .

رشيد حمد بن عبدالله اليحيا الصالح وقتل في المحرم ١٣٢٢ قتلته السليم وتولى الإمارة عبد العزيز بن عبدالله اليحيا وتنازل عنها لابن أخيه عبدالله الخالد بن عبدالله اليحيا السليم ١٣٣٥ حتى ١٣٧٤ فتنازل عنها لابن عمه خالد بن عبد العزيز بن عبدالله اليحيا السليم وهو الأمير الحالي لكتابة الأحرف سدّد الله خطاه ووقفه لما يجبه ويرضاه . في ١٣/١١/١٣٨٣ هـ .

أقول : الذي تولى الإمارة أصالة بعد خالد المذكور هو محمد بن خالد العبدالله السليم وهو الأمير الحالي عند كتابة هذه السطور في آخر عام ١٣٩٩ هـ .

أقول : كان الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله قد نشر شيئاً يتعلق بذكر أمراء (عنيزة) وقضاتها في آخر كتاب المنتخب في انساب قبائل العرب ، واعاد الأستاذ حمد الجاسر نشره ملحقاً بكتاب «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» لابن عيسى .

وفيا ذكره الشيخ ابن مانع ما يحسن ذكره بعد ذكر ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الزامل إكمالاً للفائدة .

لذلك سألخص ما ذكره الشيخ ابن مانع وعلى من يريد الاطلاع عليه بنصه أن يرجع اليه قال :

وأما إمارتها — أي عنيزة — فقد مضى عليها قريب مائتين وخمسين سنة وهي تبع للجناح ، ليس فيها أمير ، ولا يحيط بها سور واحد .

إلى أن قال :

ثم بعد ذلك اجتمع أهل المليحة والخريزة والعقيلية ، وصارت إمارة الجميع لآل فضل من سبيع . وصارت الإمارة لفوزان بن حميدان بن حسن بن معمر من آل فضل . ثم في ١١١٠ سطا آل ابي غنام على أهل الخريزة ، وآل بكر بالمليحة وأخرجوهم من بلد (عنيزة) وفي ١١١٥ قُتل فوزان بن معمر قتله آل جناح من الجبور من بني خالد ، واستولوا على بلد (عنيزة) ثم أخرجهم منها حميدان بن فوزان بن معمر . ثم في سنة ١١٢٨ سطا إدريس^(١) بن صعب بن شابع الخالدي شيخ الجناح على عنيزة ، وهدم قصرها . فلما كان في رمضان سطا عليه آل فضل وأخرجوه .

(١) الصحيح (دويس) بدال وواو ثم ياء وسين لا ادريس .

ثم بعد ذلك صارت إمارة (عنيزة) للمشاعيب من آل جرّاح من سبيع ، وفي سنة ١١٥٥ قتل حسن بن مشعاب أمير (عنيزة) واستولى آل جناح من بني خالد على (عنيزة) ثم سطا آل فضل على آل جناح في (عنيزة) وأخرجوهم منها وتأمّر في (عنيزة) رشيد من آل فضل من سبيع . وفي سنة ١١٧٤ قُتل رشيد وفراج أمير الجناح بعد العصر وهما جالسان في مجلس (عنيزة) ثم تأمر دخيل بن رشيد ، ثم صار بعده أخوه عبدالله بن رشيد الذي قتل من قبل جنود ابراهيم باشا .. عندما عزموا على الارتحال عَنْ نَجْد بعد وقعة الدرعية .

وكان قد بقي موقوفاً في الدرعية لأن الامام سعود بن عبد العزيز عندما استولى على عنيزة أمر عليها عبدالله بن يحيى أبا الشحم ، ثم تأمر محمد بن عَقْبَصَان العائذي ^(١) .

ولما قدم ابراهيم باشا إلى نجد أمر عبدالله بن حمد الجمعي من سبيع .

وفي سنة ١٢٣٦ تأمر في (عنيزة) محمد بن حسن الجمل باتفاق من العلماء ، ثم تأمر الجمعي إلى أن قتله يحيى بن سليمان — المعروف بسليم ^(٢) .

ولما تمكن الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود في الرياض ، أمر في (عنيزة) خيرالله تابع سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، ثم أمر تركي بعده محمد بن ناهض ، ثم صالح القاضي .

ولما قُتل تركي سنة ١٢٤٩ تأمر يحيى السليم ، ثم قُتل في بقعا سنة ١٢٥٤ ^(٣) أثناء حربه مع ابن رشيد ، فتأمر أخوه عبدالله السليم ، وقتل بالجو ^(٤) سنة ١٢٦٧ ، ثم تأمر ابراهيم السليم . ثم عزله الإمام فيصل رحمه الله ، وأمر ناصر بن عبد الرحمن السحيمي .

ثم في سنة ١٢٦٥ تأمر في (عنيزة) جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود . ثم خرج من (عنيزة) سنة ١٢٨١ وتأمر عبدالله آل يحيى السليم ، وتوفي سنة ١٢٨٥ ، وتأمر علي السليم

(١) علق على ذلك الشيخ حمد الجاسر تقدم في ص ١٣٩ ابراهيم .

(٢) يريد بالمعروف بسليم (سليمان) لا يحيى .

(٣) الصحيح ان وقعة بقعا حصلت سنة ١٢٥٧ .

(٤) الصحيح (الجوي) وقد سبق ذكره في حرف الجيم من هذا المعجم .

ولم يكن له إلا اسم الإمارة فقط ، وحقيقتها لزامل العبدالله السليم . ثم تأمر زامل حتى قتل في المليدا في جمادي الأولى عام ١٣٠٨ .

ثم تأمر من قبل ابن رشيد عبدالله آل يحيى الصالح الغانم ، ثم تأمر أخوه صالح ، ثم تأمر حمد العبدالله آل يحيى الصالح .

ثم زالت دولة آل الرشيد فعادت إمارة (عنيزة) إلى أهلها بمساعدة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود فتأمر في (عنيزة) عبد العزيز العبدالله آل يحيى السليم ، ثم تنازل عنها لابن أخيه الأمير عبدالله الخالد السليم ، ثم تنازل عنها ، وتأمر خالد بن عبد العزيز بن عبدالله آل يحيى السليم سنة ١٣٧٤^(١) .

وعلى ذكر أمراء عنيزة لعل من المفيد أن ننقل هنا ما ذكره الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله عن قضاء عنيزة ملخصاً ثم نعقب بذكر القضاة الذين تولوا قضاءها بعد الذين ذكرهم استكمالاً للبحث .

قال :

ولي قضاء عنيزة الشيخ عبدالله بن أحمد بن عقيب التميمي الناصري سنة ١١١٠ هـ بطلب من أهلها ، وكان قبل ذلك في بلد المذنب .. وتوفي في الضبط وقبره معروف حتى اليوم في مقبرتها .

وأما قبله فالظاهر أنه لم يكن بالقصيم علماء مشهورون ، بل كان عندهم مطاوعة ، يصلون بهم ، ويعلمونهم القرآن .

ثم تولى القضاء بعده تلميذه الشيخ سليمان بن عبدالله بن زامل سنة ١١٦١ ، ثم بعده الشيخ محمد ابراهيم أبا الخيل ، ثم الشيخ عبدالله بن حمد بن اسماعيل ، ثم الشيخ محمد العلي بن زامل المسمى «أبو شامة» ثم الشيخ صالح بن عبدالله الصائغ .

ثم لما تولى عنيزة الإمام سعود بن عبد العزيز رحمه الله سنة ١٢٢٠ أسند القضاء إلى الشيخ عبدالله بن سويلم .

(١) تاريخ بعض الحوادث من ٢٣٢ — ٢٣٨ .

ثم تولى القضاء الشيخ غنيم بن سيف من أهل نادق ، وبعده تولى القضاء أخوه عبدالله بن سيف كما ذكر ذلك العلامة ابن بشر في تاريخه ، ثم الشيخ عبدالله الفائز أبا الخليل ثم الشيخ عبد الرحمن بن محمد القاضي .

وفي سنة ١٢٤٨ أرسل الإمام تركي بن عبدالله الشيخ عبدالله أبا بطن إلى عنيزة ، قاضيا ثم رجع إلى بلده — شقراء .

فلما استشهد الإمام تركي رحمه الله وتولى الإمام فيصل ركب أمير عنيزة ومعه جماعة وجاؤا به مع عائلته ، ومعه زوج ابنته الشيخ محمد بن عبدالله المانع .

ثم تولى القضاء بعده الشيخ علي المحمد من الراشد أهل الزلفى .

ثم في سنة ١٣٠٣ تولى القضاء الشيخ عبد العزيز بن محمد بن مانع .

ثم تولى القضاء بعده الشيخ عبدالله بن عائض سبع سنين . ثم تولى بعده الشيخ ابراهيم بن حمد الجاسر من أهالي بريدة سبع سنين .

ثم تولى بعده الشيخ صالح بن عثمان القاضي نحو ٢٧ سنة . ثم تولى بعده الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع عشر سنين .

ثم تولى بعده الشيخ محمد العبد المحسن^(١) أبا الخليل من أهالي بريدة تسعة أشهر ثم بعده الشيخ عبد الرحمن بن عودان من أهالي شقراء تسع سنين .

ثم بعده الشيخ عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل سنة ١٣٧١ هـ^(٢) .

ثم في سنة ١٣٧٥ هـ نقل قاضي الجمعية الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع إلى قضاء بلدة عنيزة^(٣) .

قال الشيخ محمد مانع معقباً على ما سبق .

(١) الصحيح : محمد بن عبدالله الحسين أبا الخليل وانظر ترجمته في (علماء نجد خلال ستة قرون) للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام .

(٢) الصحيح عام ١٣٧٠ وذلك في ٢٠ شوال منها حتى عام ١٣٧٥ هـ .

(٣) تولى القضاء من آخر سنة ٧٥ حتى عام ٧٩ هـ .

قلت : وقبل ولاية الشيخ عبدالله بن عائض كان يأتي إلى عنيزة أحياناً الشيخ صالح بن الشيخ قرناس من أهالي الرس . ويتولى القضاء . وقد ذكر صاحب «السحب الوابلة» ان الشيخ عبد العزيز بن حمد سبط شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب تولى قضاء عنيزة ولكنه لم يذكر مع قضائها^(١) .

أقول : تولى القضاء بعد الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع الشيخ سلمان بن عبيد آل عبيد من ٧٩/١١/٢٥ إلى ١٣ صفر ١٣٨٣ هـ . وبعده الشيخ محمد بن صالح الخزيم متنبهاً ثم أصيلاً حتى اليوم الحادث والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٣٨٣ هـ .

ثم تولى قضاء عنيزة الشيخ عبدالله بن عبد العزيز بن عبدان من أول عام ١٣٨٤ ولا يزال فيه حتى كتابة هذه السطور في أوائل عام ١٣٩٩ هـ .

عنيزة في النصوص القديمة :

تردد ذكر «عنيزة» كثيراً في نصوص قديمة جاهلية وإسلامية وقد دأب بعض الكتابين على أن يجعل كل نص ورد فيه ذكر عنيزة وارداً في مدينة عنيزة وبعض المقتصدين منهم جعل أكثر تلك النصوص واردة في مدينة عنيزة .

ولكن كان يوجد في بلاد العرب عدة مواضع يسمى كل موضع منها باسم «عنيزة» وقد ذكرها ياقوت .

وتنقسم تلك النصوص إلى ثلاثة أقسام : قسم واضح ان المراد به عنيزة هذه التي أصبحت مدينة مشهورة في القصيم . وقسم ثانٍ : واضح انه يراد به مكان آخر غيرها وذلك إما بنص قديم ، أو بِقَرِينَةٍ دلت على انه لا يراد به مدينة «عنيزة» أو موضعها ،

وقسم ثالث : لم يتضح المراد به : أهو لمدينة عنيزة أم لمكان آخر غيرها .

هذا هو حاصل ما وصلت اليه بعد البحث ، وقد سرت على هذا الموال وذلك — بطبيعة الحال — حسباً أدركه فهمي ، ولعل بعض الباحثين يخالفني في بعض ما أورده ولا ضير ،

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٢٣٩ — ٢٤٤ .

فلكل فهمه والمهم أن يعتمد الفهم على دليل يصح الركون إليه .

ولنبداً بالأشعار والنصوص التي هي في عنيزة هذه التي أصبحت المدينة الثانية في القصيم :
قال بشر بن ابي خازم الأسدي وهو شاعر جاهلي قديم^(١) :

عفا رسم برامة فالتلاع فكشبان الحفير إلى لقاع
فجنب (عنيزة) فلدوات خيم بها الغزلان والبقر الرناع^(٢)
عفاها كل هطال هزيم يُشبهه صوته صوت اليراع^(٣)
وقفتُ بها أسائلها طويلاً وما فيها مُجأوبة لداع

والدليل على أنه يريد عنيزة هذه أنه شاعر أسدي . وبلاد بني أسد واقعة في شمال القصيم
وغربه وانه قرن ذكر (عنيزة) بذكر مواضع معروفة في القصيم بعضها لا يزال باقياً على اسمه
حتى الآن .

ومن ذلك (رامة) التي تقع إلى الغرب الجنوبي من عنيزة وعلى مسافة هي حوالي ثلاثين
كيلاً . ثم (كشبان الحفير) والحفير الذي ذكره بشر بالتكبير اي بفتح الحاء وكسر الفاء يسمى
الآن «الحفيرة» بصيغة التصغير والتأنيث ، ولعل الاسم — في الأصل — لبئر واحدة في الحفير
انتهت العامة ثم صغرتها لتحقيرها . والحفيرة آبار تزرع فحاً واقعة إلى الغرب من عنيزة فيما بينها
وبين رامة وهي إلى عنيزة أقرب منها إلى رامة . وازدادة الحفير إلى الكشبان تجعلنا نتيقن ان المراد
به هذا المكان الذي أصبح يسمى الآن (الحفيرة) بالتصغير لأنها محاطة بالفعل بكشبان رملية .

ثم ذكر بشر (لقاع) بضم اللام وفتح القاف ونرجح انه الذي يسمى الآن «القاع» في عنيزة
وكان في القديم خارج عنيزة ثم أصبح سوق مدينة عنيزة وتحول الكلمة على مر الزمان إلى القاع
على صيغة لفظ الأرض المستوية الطينية غير غريب اذ لقاع بضم اللام غريب على نطق العامة
فكانهم سكنوا لامة على عادتهم في لغتهم العامية ثم جاء من بعدهم ولم يعرف معنى لقاع بضم

(١) ديوانه ص ٣٩٦ .

(٢) في هذا البيت اقواء . ورتاع : راتعة .

(٣) هطال : سحب يطل منه المطر . والحزيم : الذي لرعده صوت .

اللام فاعتقد انها كلمة قاع ادخلت عليها أداة التعريف «أل» فأصبحت القاع بالتعريف . وهذا له مماثل عند العامة وهو (لُغَاظ) ذلك الوادي الذي أصبح بلدة بين الجمجمة والزلفي إذ كان اسمه القديم لُغَاظ بضم اللام ، ولكن العامة ينطقون به كما ينطقونه بكلمة غاط مدخلا عليها أداة التعريف «أل» .

ويدل على أن المراد به موضع مدينة عنيزة أيضاً أن بشراً رتب المواضع ترتيباً من حيث الموقع فرامة وهي الأولى في الذكر إلى جهة الغرب . ثم الحفير إلى الشرق منها ثم القاع وعنيزة إلى الشرق من الحفير .

بقي اسم لا نجزم بقدمه ولكن كلام بشر يشعر به وهو التلاع جمع تلعة وهو المسيل الصغير من السيل فن الجازم أن تكون (أم تلعة) وهي البدايع الشرقية من التلاع التي ذكرها بشر بن أبي خازم هذا إذا كان يريد بشر تلاعاً معينة ولكن قد يستأنس لذلك أن أم تلعة التي يمكن أن تكون إحدى التلاع التي ذكرها بشر واقعة بين موقع رامة ، وبين (الحفيرة) .

ويروى بيت بشر الثاني بلفظ (خبت) فحاء فباء موحدة فحاء بدل كلمة (جنب) يحجم فنون فباء .

وهكذا ورد في شعر لامرئ القيس الخبتين وصيغة تثنية «خَبَّتْ» إلا أن فيه اشكالاً يجعلنا لا نستطيع الجزم بأن المراد بعنيزة فيه مكان مدينة عنيزة لأنه ذكر مواضع متباعدة إلا إذا افترضنا أن فيه تحريفاً وإن كلمة «لعلع» صحتها (لفلف) كما أن سير السحاب الذي ذكره فيه يخالف سير السحاب في نجد قال امرؤ القيس^(١) :

سقى واردات والقلب ولعلعا مُلِثٌ سماكيٌّ فهضبة أيها
فرّ على الخبتين خبتي (عنيزة) فذات النقاغ فأنحى وتصوباً
فلما تولى من أعالي (طمية) أبستْ به ربح الصَّبَا فتحلباً

فظاهر السياق أن السحاب السماكي يمر على خبتي عنيزة وعلى ذات النقاغ التي نفترض أنها

(١) الثاني في الأصل هو الثالث وجعل الثالث هو الثاني فيكون ترتيبها صحيحاً بالنسبة إلى سير السحاب المطر في نجد .

هي (النفق) جمع نفقة وهي تقع الآن شرقي مدينة بريدة وسنذكرها في حرف النون ونبين ان تسميتها قديمة بإيراد شواهد شعرية على ذلك ان شاء الله . وبعد ذلك عندما يمر السحاب يحبل طمية تهب عليه الصبا وهي الريح الجنوبية الشرقية فيتحلب بالماء .

وطمية كما هو معروف جبل يبعد عن مدينة عنيزة بمسافة ٢٥٠ كيلاً إلى جهة الغرب على أنه يمكن توجيهه بأن امرأ القيس يريد الجهم الذي يسير من الشرق إلى الغرب في أيام البرد إذا كانت الريح شرقية شمالية فإنها تدفعه إلى جهة الغرب وفي العادة أنه إذا هبت عليه ريح الصبا وهي الجنوبية الشرقية فإنها تلتفحه ويتساقط مطره بإذن الله . أما المواضع التي ذكرها فإننا إذا قلنا ان لعلنا — بالعين — محرفة عن لفلن — بالفاء — فإن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس تغدو معروفة لنا ومتقاربة وهي واردات ويراد بها هنا واردات العليا والقلب ولفلن وكلها إلى جهة الغرب من حمى ضرية . اللهم إلا إذا قلنا ان في رواية الأبيات تقدماً وتأخيراً جعل الثاني في الأصل هو الثالث وجعل الثالث هو الثاني فيكون ترتيبها صحيحاً بالنسبة إلى سير السحاب المطر في نجد .

وورد ذكر عنيزة ، في شعر لكعب بن زهير مقرونة في الذكر بأماكن في عالية القصيم مثل الغمار (الغمار) حالياً ، وثادق (ثادج حالياً) والقنان (الموشم في الوقت الحاضر) وساق العناب — في رواية — وهي بجزاء جبل ساق ويسمى الآن «الأصبعة» فيما أعتقد . أما الذي قرنه كعب بن زهير في الذكر بجانب (عنيزة) مباشرة فهو أداني الغضا ومعروف ان غميس عنيزة حتى الآن هو أشهر موضع بالغضا في القصيم في الوقت الحاضر قال كعب رضي الله عنه ^(١) :

واخْلَسَفَهُنَّ ثَادُ السَّغَارِ وَمَا كُنَّ مِنْ ثَادِقٍ بِحَسِينَا
جَعَلَنَ الْقَنَانَ بِأَيْطِ الشَّامِ وَمَاءَ الْعَنَابِ جَعَلَنَ الْبَيْمِنَا
وَبَصْبَصْنَ بَيْنَ أَدَانِي الْغُضَا وَبَيْنَ (عَنِيزَةِ) شَاوَأَ بَطِينَا .
وقال جيهاء الاشجعي ^(٢) :

(١) ديوانه ص ٥٠٠ — ١٠٢ وسبق شرح الايات في رسم : ثادج .

(٢) للمناك ص ٥٩٠ .

فهمت ثم ذكرت ليل لقاحنا بلوى عنيزة، أو بنف قنم
 اذ من عن حسبي مذاود كلما نزل الظلام بفتية أعنام
 فذكر لوى عنيزة ولعله هو الحبل من الرمل الواقع في الشرق من «الزغيبية» والذي يحتفظ
 الآن باسمه القديم «لوى» وسيأتي ذكره في حرف اللام ان شاء الله ولا يبعد عن مدينة عنيزة إلا
 بمسافة لا تزيد على ٨ أكيال .

وورد ذكر عنيزة في قصيدة مالك بن الربب المازني البائية المعروفة قال (١) :

وهل أترك العيس العوالي بالضحي بركبناها تعلموا المتان الفيافا
 إذا عصب الركبان بين (عنيزة) وبولان عاجوا المبقيات النواجيا

والدليل على أنه يريد عنيزة ذاتها انه قرن ذكرها بذكر بولان — وهو قاع كان معروفاً
 بالقديم في طريق حاج البصرة إلى مكة ، بعد الصريف وقبل القريتين ورأيت انه هو الذي
 يسمى الآن القاع الأبيض ، كما سيأتي في حرف القاف ان شاء الله . قال جرير بن حازم
 الجهمي من ارجوزته في منازل حاج البصرة :

حتى إذا أوقت على القصيم وخلفت أرض بني تميم
 قلت لها : جدي ولا تقيمي

فأختلفت تنحط في رماله مثل الخطاط الوعل في أجماله
 تحذو إذا انحطت على مثاله

حتى إذا مرت بقاع (بولان) مزهوة ، تحذي امام الركبان
 عامدة (للقريتين) ما تني لو عطفت لمرتع لم تنثر (٢)

ولا يرد على ذلك ما نقله القالي عن ابن حبيب في تفسيريت مالك بن الربب من قوله :
 عنيزة قارة سوداء في بطن وادي فلج قد شجي بها الوادي ، فسمي الشجي بها (٣) فإن ذلك
 يشير إلى القصة التي تقدم الكلام عليها حول عنيزة والشجا بفتح الجيم والشجي بكسرهما فيما

(١) راجع القصيدة بتمامها مشروحة في أمالي القالي ج ٣ ص ١٣٨ وما بعدها .

(٢) المناسك ص ٦٣١ .

(٣) الأمالي ج ٣ ص ١٤١ .

يظهر بدليل أننا لم نجد من فسره بهذا التفسير من المتقدمين غير ابن حبيب والله أعلم .
 وبما يؤيد كون المراد بعنيزة في قصيدة مالك بن الرب إنما هي عنيزة هذه التي في القصيم
 إن مالكا كان يقيم في القصيم ومعه أشرار من العرب يقطعون فيه على الحاج الطريق وقد قدمنا
 ما يفسر ذلك من النصوص في مقدمة هذا المعجم . ونزيد هنا ما ذكره القالي في مقدمة كلامه
 على هذه القصيدة نفسها وهو قوله فيما يرويه عن أبي الحسن المدائني أن سعيد بن عثمان بن
 عفان لما ولاء معاوية بن أبي سفيان خراسان مر بمالك بن الرب في البادية وهو منحدر من
 المدينة يريد البصرة . فخاطبه في أن يخرج معه إلى خراسان وأجزل له العطاء فخرج منه^(١)
 ومعلوم أن طريق البصرة من المدينة ومكة يمر بالقصيم .

وقال النابغة الجعدي يصف سحابا^(٢) :

فأصبح بالقمري يحرق عفاة^(٣) بهيماً كلون الليل أسود داجياً
 فلما دنا للخرج خرج عنيزة وذئب بقر ألقى بين المراسيا

والدليل على أن المراد بعنيزة موضع مدينة عنيزة أنه ذكر خرج عنيزة وهو موضع مذكور بأنه
 هناك فقد جاء في شرح ديوان الخطيب أن الخرج بعنيزة خلف القريتين في طريق البصرة إلى
 مكة^(٤) .

ودليل آخر وهو أنه ذكر القمري والقمري هو القاع الذي يسمى الآن «قاع الخزما»
 وخريمان وهو الذي ينتهي إليه سيول وادي الرشا (التسرير قديماً) ويقع إلى الغرب من
 «الشقيقه» .

ووردت نصوص عدة تبين اسمه القديم وذكرناها في رسم «الخرما» في حرف الخاء ومنها
 قول أبي علي الهجري وهو يتكلم على وادي التسرير : ثم يخرج أي — الوادي — من ديار

(١) الأمالي ج ٣ ص ١٣٦ .

(٢) شعر النابغة الجعدي ص ١٧٩ — ١٨٠ والبكري : رسم «قمري» .

(٣) عفاة : تراه .

(٤) المنايا لأبي إسحاق الحارثي حاشية ص ٥٨٩ وسيلاني نص البكري على ذلك .

عكس ، فيفضي الى (قاع القمرى) والقمرى في خط بني نهشل من بني دارم يقال لهم «بنو مغربة».. وبين هذا القاع وبين أضاخ خمسة عشر ميلاً^(١).

ودليل ثالث وهو انه ذكر «ذا بقر» وقد حققت في حرف «الباء» انه الموضع الذي يسمى الآن «بقر» بدون كلمة «ذي» ويقع في جنوب الشامية إلى الشرق من مدينة عنيزة وأوردت نصوص المتقدمين التي تدل عليه .

فالتابفة رب مسير ذلك السحاب بأنه أصبح في القمرى أي : قاع الخزما وخريمان بحر عفاء — أي ترابه — والقمرى كما نعلم هو منتهى سيول وادي الرشا (التسريز قديماً) ولذلك لا يستغرب أن يثور منه تراب كثير شأن الأراضي الطينية ثم سار ذلك السحاب مشرقاً كما يفعل السحاب المطر في نجد حتى إذا وصل عنيزة ألقي بها مراسيه كناية عن المطر الغزير وكذلك فعل عندما وصل «بقر» التي على خط سيره وهي إلى الشرق من مدينة عنيزة .

وورد ذكر عنيزة في قصة تردد فيها لفظ (الشجا) بفتح الشين وتشديدها ثم جيم مفتوحة فألف ، وقيل : بأنه ظربٌ قد شَجِيَ به الوادي . وشجى هنا : التي هي الفعل هي بكسر الجيم .

ومعلوم أن الظرب في اللغة بفتح الظاء وتشديدها ، ثم راء مكسورة فباء يطلق على ما يسمى بالعامية النجدية الجبال الصغير ، والصغراء العالية .

قال ابن منظور : الظربُ : ما تتأمن الحجارة ، وحُدَّ طَرَفُهُ وقيل : هو الجبل المنبسط ، وقيل : هو الجبل الصغير ، وقيل : الروابي الصغار^(٢) .

أقول : يصدق ذلك على الظراب : جمع ظرب إذا كانت هي الروابي الصغار من الحجارة .

كما ورد لفظ «أكمة» في قصة أشك في صحتها إذ تكاد تبدو الصنعة عليها سواء في منها أو في سندها ، وقد تناولت عدداً من الأماكن أكثرها في منطقة القصيم وذكرناها عند الكلام على

(١) أبو علي الهجري وأجانه ص ٢٦٩ .

(٢) اللسان : مادة : ظارب .

شري (شرح في القديم) وعلى فرض صححتها فقد بحثنا عن الأكمة عند أهل المعرفة من أهل عنيزة وأين كانت توجد قبل توسع حارة مدينة عنيزة الذي غطى عليها فيما يظن .

وكان أكثر الأقوال قرباً من الصواب قولني :

أحدهما : أنها أكمة سوداء صغيرة من الحجارة واقعة في شرقي مدينة عنيزة الجنوبي قرية من مسجد الضليعة إلى الشرق منها بينها حوالي ثلاث مئة متر ، وأصبحت داخلة الآن في ملك لعبدالله الغنام ، وقد أزال قسماً منها . ثم دخلت بمجملتها في بيوت للسكن وفيها يقع بناء (إدارة الإشراف على التعليم في عنيزة) . وبذلك أصبحت لا تمكن ملاحظتها إلا بالدخول إلى محلها . وكان اسمها في القديم (ضلع الطبق) إضافة إلى (آل طبق) أسرة معروفة :

القول الثاني : انها هي الأكمة التي بني عليها مستشفى عنيزة في الوقت الحاضر .

وهذا هو نص ما يتعلق بعنيزة من قصة ذلك الشيخ الكبير الذي كان يسأل من حوله عن عدد من الأماكن حتى إذا ما أخبروه بها خطأهم ، وقال لهم : ليست بتلك تلك اسمها كذا وإنما هي غيرها : إنها كذا : لموضع لا يبعد عنها كثيراً .

قال : فهل وجدتم عنيزة ؟ قلنا : نعم ، قال : أين ؟ قلنا : عند قفا الطراب الذي سدّ الوادي . قال : ليست تلك عنيزة . ولكن تلك الشجا ولكن عنيزة بينها وبين مطلع الشمس عند الأكمة السوداء^(١) .

قال : فاستخرجها محمد بن سليمان أمير البصرة حيث وصف الشيخ وقال : ان امرأ القيس كان عالماً حيث يقول :

ترامت لنا بين النقا و(عنيزة) وبين الشجا مما أحال على الوادي

وبعث الحجاج رجلاً من بني سليم ، يقال له : عَصيدة لحفر المياه بين البصرة ومكة ، فقال : احفروا بين عنيزة والشجا ، حيث ترامت للملك الضليل فإنها والله لم تَرَ آى له ، إلا على ماء فحفروا فاستخرجوها .

(١) البكري ج ١ ص ٣٢٤ — ٣٢٧

والشجا : ظَرِبُ قد شَجِي به الوادي فلذلك سَمِيَ الشجا قال سالم بن قُحَّان العنبري :

وقد بدا لي في اللوى المنطَرُ رأسُ الشجا مثل القُلُوِّ الابلق^(١)

أقول : الشجا المشار إليه هذا غير الشجي المذكور في منازل طريق حاج البصرة إلى مكة وهو بفتح الشين المشددة وكسر الجيم . ذلك يقع في سافلة نجد قبل حفر أبي موسى الذي يسمى الآن حفر الباطن ذكره الإمام أبو اسحاق الحرني وروى بسنده عن الأصمعي انه قال : إنَّ سمي الشجي بإحاطة الماء به يقال : رجل شَجِر — يا فتى — إذا غَصَّ .

ثم قال الحرني : وبالشجي آبار غذية احتفرها محمد بن سليمان فيما أخبرني ابن أبي سعيد عن التوفلي عن أبيه ، وليست بالبعيدة^(٢) .

أقول : لَعَلَّ كون محمد بن سليمان احتفر هذه الآبار بالشجي بكسر الجيم وكونه استخرج عنيزة هو الذي سبب اللبس لبعض الناس ومع أن الأمر لا يقتضي ذلك لأن محمد بن سليمان هو محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس قد ولي البصرة وطريق الحاج البصري فكان ان اعتنى بهذه الطريق وكان له ولأخيه جعفر بن سليمان آثار كثيرة في الطريق منها في القصير العسكرية ، إحدى القريتين وقد استظهرت انها هي التي تسمى الآن العيارية ، واستمرت له ولعقبه ردياً من الزمن . كما كان لهم القوارة ، ووجدت كتابة أثرية تدل على ذلك على جبل قرب النيبانية يسمى الآن «الكوفرة» سيأتي في حرف الكاف عند ذكر هذا الاسم ان شاء الله تعالى ، ويدل على ذلك هذا النص الذي أورده الإمام الحرني نفسه قال : أخبرني عبدالله بن عمرو عن علي بن محمد بن سليمان عن أبيه قال : القريتان الدنيا منها قرية ابن عامر والأخرى قرية بناها جعفر بن سليمان وبها حصن يقال لها العسفر^(٣) وهي بلد نخل ، تطرد بين أضعافها عيون في مائها غلظ ، وأهلها يستعذبون ماء (عنيزة) وهي على ميلين من القريتين^(٤)

(١) البكري ص ٣٢٧ .

(٢) المناسك ص ٥٧٨ .

(٣) واضح من النصوص ان هذا تحريف صحته العسكرية كما سبق في رسم «العيارية»

(٤) المناسك ص ٥٨٨ — ٥٨٩ .

وطيحي أن يعمر جعفر بن سليمان العسكرية القريبة من عنيزة وإن يستخرج أخوه محمد بن سليمان «عنيزة» التي تجاورها ، وإن يكون محمد بن سليمان قد احتضر آباراً في الشجى في سافلة نجد إلى الشرق الشمالي من حفر الباطن بسبب كونه والياً على البصرة وعلى طريق حاج البصرة إلى مكة ، والله أعلم . ولكن لماذا كان عمل جعفر بن سليمان للعسكرة مذكوراً مشهوراً على الأيام وما عمله أخوه محمد بن سليمان في عنيزة ليس كذلك ؟

والجواب : أن جعفر بن سليمان عمر العسكرية بأن أساح عيونها ، وأعاد بناءها حتى أقام فيها أولاده وغيرهم من الناس ، أما محمد بن سليمان فإن عمله في عنيزة لم يزد على حفر بئر أو آبار فيها لغرض أن يردها الناس من المسافرين وذلك لأن عنيزة كانت روضة تنتهي إليها سيول ، ولم يكن ماؤها قريب النبط وإن كان عذبا .

لذلك ورد في الخبر لفظ استخرجها محمد بن سليمان ولم يرد لفظ عمرها ولفظ استخرجها يدل على أنه استخرج ماءها من الأرض أي حفر فيها آباراً للشرب أو نحوه . دون أن يحدث فيها عمارة .

لذلك لا نعتبر عمله هذا ذا أهمية كبيرة لأنه لم يزد عنيزة ذكراً كثيراً ولا صيتاً شائعاً كالذي حصلت عليه العسكرية التي هي العيارية فيها يظهر من عمل أخيه جعفر بن سليمان . ولذلك — أيضاً — صبح القول بأن عنيزة لم تعمر إلا بعد محمد بن سليمان بقرون كما سبق ذلك . والله أعلم .

وقال جرير^(١) :

يا أثل كابة لا حرمت ترى الندى هل رام بعدي ساجر فالأجرع
وسقى الغمام منيزلاً بعنيزة إما تُصاف جدى ، وإما تُربَع^(٢)

وكابة ذكر الأقدمون ومنهم أبو زياد الكلاني موقعها بما يلخص أنها في الجهة الشمالية من

(١) ديوانه ص ٣٤٢ والقائض ج ٢ ص ٩٦٤ .

(٢) الجندي : المطر الواسع . وتُصاف : يصيبها مطر الصيف . وتربع : يصيبها مطر الربيع .

النباح (الأسياح حالياً) وقد استظهرت انها التي تسمى الآن (كابده) في تلك الجهة وسوف يأتي الدليل على ذلك من شعر جبران العود الغميري في رسم «كابده» في حرف الكاف بإذن الله .
أما ساجر فإنه معروف الموقع من السر وهو الذي يمكن أن يقرن بعنيزة في الذكر .
ثم قال جرير بعد ذلك من القصيدة نفسها .

هل تذكرين زماننا (بعنيزة) والابرقين وذاك ما لا يرجع
والأبرقان : الظاهر أنها اللذان يقعان إلى الجنوب من الأسياح قرب قرية الجعله ويسميا العامة (البرقان) كما يسمون الكبير منها «أبرق السبح» وقال جرير أيضاً^(١) :

أسى خليطك قد أجدّ فراقاً هاج الخزين وجَدَدَ الاشواقا
هل تبصران ظعائنا بعنيزة؟ أم هل تقول : لنا بهنّ لحاقا؟
وقال جرير أيضاً^(٢) :

ما هاج شوقك من رسوم ديار بلوى عُنَيْق أو بصلب مطار
ويروى بلوى عنيزة ولعل ذلك هو الصحيح بدليل قوله من القصيدة نفسها :
أبقى العواصف من معالم رسمها شَذَبَ الخيام ، ومربط الأمهار
أمن الفراق تعبت يوم (عنيزة) كهواك يوم شقائق الأحفار
وربما يستدل على أن المراد بذلك مكان مدينة عنيزة بأن جريراً رحمه الله ذكر مواضع كثيرة في القصم ومنها مواضع لم تذكر في شعر آخر غير شعره فيما بلغني مثل «صلاصل» شمال بريدة ،
والاعراف شرقها وتسمى الآن «العرف» وسبق ذكرها .
وقال شاعر آخر :

خليليّ للتسليم بين (عنيزة) وبين صفّا بَلْدٍ الا تقفان؟

(١) ديوانه ص ٣٩٦ .

(٢) ديوانه ص ٣١٧ والنفاض ج ١ ص ٣٣٣ — ٣٣٤ .

قال ياقوت : صفا بلد هضبة ململة في بلاد تميم^(١) .

أقول : ربما كان لكلمة «صفا» علاقة بكلمة الصفا في عنيزة التي أضيف إليها القصر المشهور في عنيزة وكان يسمى «قصر الصفا» وورد ذكره في تاريخ ابن بشر وغيره^(٢) ، فإذا كان الأمر كذلك جاز أن نقول : ان المراد بعنيزة هذه موضع مدينة عنيزة ولا يرد عليه ما ذكره ياقوت لأن بلاد بني تميم في صدر الإسلام كانت تمتد من ساحل الخليج العربي إلى قرب رامة غربي عنيزة هذا إذا كان قول ياقوت صحيحاً .

ومثل ذلك يقال في هذا النص^(٣) :

خليلي إنا يوم روض عنيزة رأينا الهوى من كل جفن ومحجر
والظاهر أن المراد به موضع مدينة عنيزة ، لأن موضعها كان روضة تنتهي إليها سيول بعض المرتفعات الشرقية ، ولا يزال أهل القصيم يضربون المثل بطيب أرض عنيزة للزراعة .

وهذا شاعر آخر ممن قالوا الشعر في الجاهلية والإسلام وهو أسدي من سكان الجنوب الغربي للقصيم قد ذكر في شعره عنيزة مضافة إلى (جنب عنيزة) كما ذكر ذلك غيره من شعراء الجاهلية ووردت الكلمة عند بعض الرواة عنهم (حبت) وهو عمر بن شاس وقال من قصيدة ذكر في أولها محبوبته (لَيْلَى) التي شغفت قلبه حباً عشية رآها في عاقل (العاقل في الوقت الحاضر) الذي يقع إلى الجنوب من مدينة الرس قال^(٤) :

وَحَلْتُ ظَعَانًا مِنْ آلِ لَيْلَى (يَجِبُ عَنْيْزَةَ) أَصْلًا سَفِينًا^(٥)
يَوْمَ بَهَا الْحَدَّةُ مِيَاهَ (نَحْلُ) وَيُسْبِدِينَ الْمَاجِرَ وَالْعُيُونَا
ظَعَانٍ لَمْ يَقْمَنَّ إِلَى سَبَابِ وَلَمْ يَعْلَمَنَّ مِنْ أَهْلِ مُهْبِتَا
فذكر أن تلك الظعائن يومُ بها — أي يقصد بها — الحدادة وهم جمع حادي الذي يسوق

(١) ياقوت : رسم صَفَا بَلَدٍ .

(٢) عنوان المجد ج ٢ ص ٨٧ . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ١٥٣ .

(٣) ياقوت : رسم «عنيزة»

(٤) شعر عمرو بن شاس الأسدي ص ٧٤ — ٧٥ .

(٥) أصلاً : جمع أصيل وسفين : جمع سفينة .

الابل وهو يحدو أي يرفع عقيرته بالحدادة ، مياه نخل ونخل هي الجنائكة . فكان تلك الطعائن اللاتي هن النساء في الموداج كان الحدادة يفعلون بهن كما فعل حدادة آخرون بطعائن استطرن قلب شاعر أسدي آخر من شعراء الجاهلية الا انه أقدم عهداً من عمر بن شأس هذا . وهو مثله أسدي من أهل القصيم وذلك في قول بشر^(١) .

ألا بان الخليب ولم يزاروا وقلبك في الطعائن مستعار
أسائل صاحبي ولقد أراني بصيراً بالضعائن حيث ساروا
تؤم بها الحدادة مياه (نخل) وفيها عن أبانين ازورار
وقال امرؤ القيس^(٢) :

تراحت لنا يوماً يسفح عُنْزَةً وقد حان منها رحلة وقُلُوصُ
بأسود مُلْتَفَّ الغدائر واردٍ وذئ أشر تشوفه وتشووص^(٣)

والدليل على أنه يريد (عنيزة) في القصيم قوله بعد ذلك من القصيدة نفسها :
كأنني ورحلي والقرباب ونمقي إذا شبَّ للمرو الصغار ويبيض^(٤)
على نقتق هَيْتَق له ولعرسه بمنعرج الدعساء يبيض رصيص^(٥)
إلى أن قال :

ويأكلن من قَوِّ لَعَاءٍ وَرَبَّةٍ تَجَبَّرَ بعد الأكل فهو نَمِيصُ^(٦)
تطير عفاءً من نَسِيلِ كَأَنَّهُ سُدُوسُ أطارته الرِّياح ونُحُوصُ^(٧)

(١) ديوانه ص ٦١ — ٦٢ .

(٢) ديوانه ص ١٢٢ — ١٢٤ .

(٣) بأسود أي : بشر أسود . والغدائر خصلات الشر الملتفة الدلاة ، وذو أشرفم حمز الأسنان ، وهي كلمة لا تزال مستعملة في العامية النجدية ولكن بلفظ وشر للجميع (ووشره) للمفرد وتشوصه : تدلكه بالسواك .

(٤) ويبيض : لمعان .

(٥) التعتق : الظلم ، أي ذكر النعام والخميص : فرخ النعام .

(٦) لعاء : وربة بنات والنعيص : نوع من النبات الضعيف .

(٧) الصفاء : الشر ، وسوس : ثوب حرير والخوص خوص النخل .

تَضَيَّفَهَا حَتَّى إِذَا لَمْ يُسْغَ لَهَا نَفْسِي بِأَعْلَى حَائِلٍ وَقَصِيصٍ^(١)
إِذْ هُوَ ذَكَرَ قَوَّامًا بَعْدَ ذِكْرِ عَنِيْزَةٍ : وَقَوَّامٌ قُصِيْبَاءُ الَّتِي تَقَعُ فِي شِمَالِ الْقَصِيْمِ وَسِيَّانِي ذَكَرَهَا فِي
حَرْفِ الْقَافِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

عنيزات أخرى :

قال أبو علي المجري وهو يتكلم على حمى فيد : وأول أجبله على ظهر طريق الكوفة بين
الأجفر وفيد جبيل (عنيزة) وهو في شق بني سعد بن ثعلبة من بني أسد بن خزيمية ، وإلى جنبه
مائة تسمى الكهفة^(٢) .

أقول : الكهفة ، لا تزال معروفة باسمها القديم وهي في آخر القرى الجنوبية لمنطقة حائل ،
فيها بينها وبين القصيم .

وقال أيضاً بعد أن أنشد لعبد العزيز بن زرارة :

لعمري لقد أشرفت رأس عنيزة ، على رغبة لو شدَّ نفسي مَرِيئُهَا
عنيزة في غير موضع^(٣) وهي ها هنا قرن بأباريات من جانب الميمان بين حرة ليلى
والجباب .

أقول حرة ليلى والجناب واقعان إلى الشرق من خير فيما بينها وبين منطقة حائل كما حقق
ذلك الأستاذ حمد الجاسر^(٤) .

ثم أنشد بعد ذلك البيت :

وخفت نواها من جنوب (عنيزة) كما خَفَّ من نبل المعالي جفيرا^(٥)

(١) تضيئها : نزل بها في قَوْ : والنصي والقصيص : نوعان من النبات .

(٢) أبو علي المجري وأجائله ص ٢٨٠ وهذا النص في البكري رسم وفيد ،

(٣) يريد أنها مواضع متعددة .

(٤) راجع كتاب في شمال غرب الجزيرة :

(٥) أبو علي المجري ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

شبه جزيرة العرب

— ٢ —

[تحدث الأستاذ سعد بن جثيل — في « العرب » ص ٣٩٨ وما بعدها من السنة الرابعة عشرة — عن كتاب « شبه جزيرة العرب » — نجد — تأليف الأستاذ محمود شاكر ، وكان من الملائم مواصلة نشر حديث الأستاذ عن ذلك الكتاب غير أن أسباباً ألحقت إلى تأخير هذا القسم من نقد ذلك الكتاب] .

القصم :

قال الأستاذ محمود شاكر : هو المنطقة المحصورة بين منطقة حائل شمالاً وعالية نجد جنوباً وبين الحجاز في الغرب والنفود في الشرق .

أقول : ظاهر ان المراد بعنيزة هذه (عنيزة) المذكورة في البيت قبله .

ثم أورد المجري من قصيدة طويلة لعمران بن مكنف الحرملی من عوف بن عامر :
فلما تلاحقنا بنعف عنيزة ضحياً وقرن الشمس رخص جديدها

وفي الهامش : نعف (عنيزة) : قرن يحاذي الحفر من كشب^(١) أقول : كشب لا يزال معروفاً باسمه لم يتغير منه شيء ويقع في عالية نجد بعيداً عن القصم^(٢) .

وأنشد الجاحظ للأسدي^(٣) :

وكان أرحلنا بجو مخضب بلوى (عنيزة) من مقبل الترمس
في حيث خالطت الخزامى عرفجا يأتيك قابس اهله لم يقبس

محمد العبودي

(للبحث صلة)

(١) أبو علي المجري وأبحاثه ص ٣٤٨ وتكرر هذا القول في ص ٣٦٢ .

(٢) وهو جبال وعندها حرة مشهورة تسمى «حرة كشب» يقع كشب شمالاً من المويه .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ .

طخفة : الجبل المشهور

من مباحث كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي تقوم «دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر» بنشره ، وقد صدر منه جزءان من تأليف الأستاذ المحقق الشيخ محمد العبودي .

طُخْفَةُ :

جبل مشهور أحمر ، وعر المسالك ، ولذلك تعيش فيه الأروى إلى الآن ، يقع إلى الشرق من ضربة في غرب القصيم . تنطق العامة لفظه ، بضم الطاء مع إمالتها للكسر ، ثم خاء ساكنة ، ففاء فتاء مربوطة تنطق دائماً هاء .

وفي القديم كان ينطق بكسر الطاء . قال ياقوت : طخفة بالكسر ويروي بالفتح عن العمراني : ثم السكون ، والفاء ، والطخاف : السحاب المرتفع ، والطخف : اللبن الحامض وحكي البكري فتح الطاء وكسرها عن الخليل .

قال لgende : ثم طخفة ، وهو جبل أحمر طويل ، حذاؤه بئار ومناهل قال الشاعر الضباني لبني جعفر :

قد عَلِمْتُ مُطَرَفٌ خَضَابُهَا يَزِلُّ عَنْ مِثْلِ النَّقَا ثِيَابُهَا
أَنَّ الضَّبَابَ ^(١) كَرَّمَتْ أَحْسَابُهَا

Hamd-allh, Mustawfi of Qazwin, The Geographical part of the Nuzhat-al-Qulub, (١٠٨)
Translated by G. Le Strange, (Leyden, 1919), 135.

(١٠٩) صحح الأعشى ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٣٧٠/٧ .

(١١٠) G. Rentz, art, "al-Katif" EP. . قارن ذلك بما ذكره ابن بطوطة في رحلته ،
١٧٧/١ .

(١١١) N. M. Lowick, Op. Cit, 324-30.

(١) الضباب فخذ كبير من بني كلاب .

وعلمت (طخفة) مَنْ أربأها إذ السيوف ابتُلِيتْ صِعَابُهَا^(١)
وقال آخر يصف ناقة سمينة^(٢) :

كَأَنَّ فَوْقَ الْمَنِّ مِنْ سَنَامِهَا عِنَقَاءَ مِنْ طِخْفَةٍ أَوْ رِجَامِهَا^(٣)
مُشْرِقَةَ النَّيِّقِ^(٤) عَلَى أَعْلَامِهَا

قرن ذكره بذكر الرجام الذي هو جبل يسمى الآن (الشعب) شعب العُطَيَّانَ وتقدم ذكره
في حرف الشين :

وقال آخر :

وَطِخْفَةٌ ذَلَّتْ^(٥) وَالرَّجَامُ تَوَاضَعَتْ وَدُعِيقُنْ حَتَّى مَا لَهْنُ حَنَانٍ
قال لغدة : ما لهن حنان ، أي : حتى لم يرقْ لهن شيء ، ولم يتحننْ عليهن أحد .
وَدُعِيقُنْ أي : وَطِيقُنْ ، أي : غزتهن الخيل فدعسقت تلك الأماكن^(٦) .

وروى الحرني أن : طخفة لبني كلاب : لبني جعفر خاصة ، قال الأستاذ حمد الجاسر
معلقاً على ذلك : في كتاب «بلاد العرب» : غول للضَّبَاب ، وطخفة وشُعْبَى للضَّبَاب ،
وبعضها لبني جعفر والقبيلتان متجاورتان ، ومنازلهم مختلطة ، ويظهر أنها اختلفا على هذا^(٧) .

قال الحرني : وطخفة : هي التي يقول فيها زهير بن جذيمة حين أنذره بالخييل ، وحذَّره
هوازن ، فقال : أما بنو فلان فبمكان كذا وبنو جعفر بطخفة يصيدون الأراوي .

ومعلوم أن الأراوي جمع أروى ، وهي : الماعز الجبلية ،

(١) بلاد العرب ص ١٠٣ .

(٢) بلاد العرب ص ١٠٤ وهذا الرجز من أرجوزة أنشدتها الإمام الحرني في المناسك ص ٣١٥ .

(٣) الرجام : يسمى الآن «الشعب» راجع هذا الرسم .

(٤) النيق : أعل الجبل .

(٥) يريد : ذل أهل طخفة .

(٦) بلاد العرب ص ١٠٤ .

(٧) «المناسك» : ٥٩٣ .

وقد اشتهرت طخفة بعد ذلك لكونها أصبحت منزلاً من منازل حاج البصرة إلى مكة .
قال الحارثي وهو يتكلم على الطريق من البصرة إلى مكة : ... ومن إمرة^(١) إلى طخفة ستة
وعشرون ميلاً ، وبها — أي طخفة — آبار كثيرة^(٢) .

وقال في موضع آخر : ومن طخفة إلى ضرية ثمانية عشر ميلاً^(٣) .

وقال ياقوت : طخفة : موضع بعد النجاج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة .
أقول : هذا صحيح في أنه بعد المتزلين المذكورين إلا أنه لا يلي النجاج وهو بعيد عنه ،
وبما يلي « إمرة » .

وفي إحدى الأراجيز التي نظمت في طريق الحج البصري إلى مكة قال الراجز .
حتى إذا مررت بماء طخفة عطفتها فلم تمل العطفة
مضت ولم تعرض لتلك النطفة^(٤)

وروي عن أبي السّفّاح الأعرابي أنه قيل له عند موته : أوّس ، فقال : إنا الكرام يوم
طخفة ، قالوا : قل خيراً يا أبا السّفّاح قال : إن أحبّ امرأتي فأعطوها بغيراً ، قالوا : قل
خيراً ، قال : إذا مات غلامي فهو حرّ !^(٥)

ومن الشعر في طخفة قول مزاحم العقيلي يشوق :

فليت ليالينا بطخفة فاللوى رجعت ، وأياماً قصاراً بمأسل^(٦)
فإن تؤثري بالودّ مولاك لا أقلّ أسأت ، وإن تستبيلي أتبدّل
عذارى لم يأكّلن بطيخ قربة ولم يتجنّين العرار بشهل^(٧)

(١) راجع رسم « إمرة » .

(٢) المناusk ص ٥٩٣ .

(٣) المناusk ص ٥٩٤ .

(٤) المناusk ص ٦٣٣ .

(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٦٦ .

(٦) راجع عن اللوى رسم « عريق الدسم » . ومأسل باقي باسمه كتب عنه الشيخ سعد بن جنديل في معجم العالية .

(٧) وشهل قال ياقوت عنه : قرية في الريف ، والآيات في ياقوت رسم « شهل » .

فمطف «اللوى» على طخفة وهو «عريق الدم» الآتي في حرف العين .

وأشد المهجري لجحيفة الضباية من قصيدة وقد أوعدها زوجها إن قالت بيتاً أن يقتلها :

دَعُونِي وَأَبِيَانَا أَقْلَهُنَّ وَيَحْكُم وَإِنْ جَمَعَتْ حَرْباً سَلِيمٌ وَعَامِر
نَعَمْ أَنَا عَنْ هَضْبِ الْقَلْبِ ^(١) وَجَزْجَز ^(٢) وَعَنْ طِخْفَةِ الشَّاءِ لَا بَدَ نَافِر ^(٣)

وقالت أم موسى الكلاية وقد زُوِّجَتْ في حجر ^(٤) بالجمامة : ^(٥)

لله دَرِي أَيُّ نَسْطَرَةٍ نَاطِظِر نَظَرْتُ، وَدُونِي طَخْفَةٌ وَرَجَامُهَا
هَلِ الْبَابُ مَفْرُوجٌ فَانْظُرْ نَظْرَةً بِعَيْنِي أَرْضَا عَزَّ عِنْدِي مَرَامُهَا ^(٦)

فقرنت ذكر طخفة أيضاً بذكر الرجام مضافاً إلى طخفة لقربه منها وهو جبل الشعب في الوقت الحاضر وسبق ذكره ، كذلك فعل السهمري العكلي ^(٧) :

وَنَبِثْتُ لَيْلٍ بِالْغَرَّيْنِ سَلَمْتُ عَلَيَّ وَدُونِي طَخْفَةٌ وَرَجَامُهَا
عَدِيدُ الْحَصَى وَالْأَثَلُ مِنْ بَطْنِ بَيْشَةٍ وَطَرَفَاثَا مَا دَامَ فِيهَا حَامُهَا
وَقَالَ رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّي ^(٨) :

وَقَوْمِي ، فَإِنْ أَنْتَ كَذَّبْتَنِي بِقَوْلِي ، فَاسْأَلْ بِقَوْمِي عِلْمَا
بَسُو الْحَرْبَ يَوْمًا إِذَا اسْتَلَامُوا حَسْبُهُمْ فِي الْحَدِيدِ الْقُرُومَا ^(٩)
وَإِذْ لَقِيتُ عَامِرُ النَّسَار ^(١٠) مِنْهُمْ وَطِخْفَةٌ يَوْمًا غَشُومَا

(١) هضب القلب : سباني الكلام عليه استطراداً في رسم «فرقن» وأنه خارج عن منطقة القصم .

(٢) جزجز : لم نستطع معرفته .

(٣) أبو علي الهجري ص ٢٢٤ .

(٤) حجر في موضع مدينة الرياض اليوم راجع بحثاً مستفيضاً عنها للعلامة الأستاذ حمد الجاسر في كتاب «مدينة الرياض عبر التاريخ» .

(٥) ياقوت : طخفة .

(٦) ياقوت : رسم الفريين وقال : هما من أخيلة حمى فبد .

(٧) النقاظس .

(٨) استلاموا لبسوا اللامات استعداداً ، للحرب . واللامات : جمع لامة .

(٩) قال أبو عبيدة : أراد بطخفة والنسار يوم ضربة فلم يمكنه في الشعر فجعله يوم طخفة ، والنسار لقربها من ضربة وتبعد النسار عن طخفة حوالي ٣٣ كيلا وهي إلى الجنوب من طخفة .

وقال الفرزدق (١) :

وَفَضَّلَ آلَ شَبَّةَ كُلِّ يَوْمٍ وقائعُ بِالْمُجَرَّدَةِ المَوَارِي (٢)
وَتَقَنَّبِلُ المُلُوكَ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ فَوَارِسَ يَوْمِ طِخْفَةِ والنَّسَارِ (٣)

ففي هاتين المقطوعتين قرن ذكر طخفة بالنسار وهي جبال تسمى الآن « الأنصر » تحريف
الأنسر : جمع نسر تابعة لعفيف .

وقال أيضاً (٤) :

لمعري لقد لاقت من الشرِّ جعفرُ بِطِخْفَةِ أَيَّاماً طويلاً قَصِيرُهَا
بِطِخْفَةِ والريَّانِ حيثَ تَصَوَّبَتْ على جعفر عقباؤها ونُسُورُهَا

فقرن ذكره بذكر الريان الذي يسمى الآن « مهيل » وسبأني في حرف الميم .

وقال النابغة الجعدي (٥) :

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي شَيْبَانَ عَنِّي فَقَدْ جَلَبَتْ صَرَامٌ لَكُمْ صَرَاهَا (٦)
دَعَاهَا صَوْتُ قُرَّةٍ مِنْ سَوَاجِ فَجَنَّبَنِي طِخْفَةَ فَبَلَى ذُرَاهَا
قال جرير (٧) :

وَتَرَفَعْنَا عَلَيْكَ إِذَا افْتَخَرْنَا لِيَرْبُوعٌ بَوَافِخُ شَامِخَاتِ (٨)
هُمْ سَلَبُوا الجَبَابِرَ تَاجَ مُلْكٍ بِطِخْفَةِ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الكُمَاةِ

(١) ديوان الفرزدق ص ٤٤٣ والقائض ص ٢٣٧ .

(٢) المجردة : السيوف تجرد من أغادها فتعري .

(٣) قال أبو عبيدة : أراد بطخفة والنسار يوم ضرية فلم يمكنه في الشعر فجعله يوم طخفة ، والنسار لقربهما من ضرية وتبعد النسار عن طخفة حوالي ٣٣ كيلاً وهي إلى الجنوب من طخفة .

(٤) ديوانه ص ٤٦٢ .

(٥) شعر النابغة الجعدي ص ٢١١ — ٢١٢ والشرح منه .

(٦) الصرام : يفتح الصاد وضمها : الجنوب ، والصري اللين يترك في صرع الناقة فلا يجتلب فيصير ملحاً ذا رياح .

(٧) ديوانه ص ٨٥ .

(٨) بوافخ شامخات . عاليات يريد أن مقام قومه قد علا وشمخ في السماء .

وقال أيضاً^(١) :

أَلَا رُبَّ جَبَّارٍ وَطِئْنَ جَبِينَهُ صَرِيحاً، وَنَهَبَ قَدْ حَوِينَ إِلَى نَهَبٍ
بِطِخْفَةٍ ضَارِبِنَا الْمُلُوكَ، وَخِيلَنَا عَشِيَّةً بَسْطَامَ جَرَيْنَ عَلَى نَجَبٍ^(٢)

وقال أيضاً^(٣) :

إِنَّا بِطِخْفَةٍ أَوْ أَيَّامٍ ذِي نَجَبٍ نَعْمُ الْفُؤَارِسُ لِمَا التَّفَتَّ الْعَمَلُ
وَذُو نَجَبٍ : يَسْمَى الْآنَ (النَجْبَةُ) وَيَأْتِي فِي حَرْفِ النُّونِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وقال^(٤) :

غَضِبْنَا يَوْمَ (طِخْفَةٍ) قَدْ عَلِمْتُ فَصَفَدْنَا الْمُلُوكَ بِهَا اغْتِسَاراً^(٥)
وقال^(٦) :

وَهَامَاتِ الْجَبَابِرُ قَدْ صَدَعْنَا كَأَنَّ عِظَامَهَا فَلَقَى السَّحَابَ
فَمَا شَهِدَتْ رِجَالَ التَّيْمِ حَرْباً وَلَا أَيَّامَ طِخْفَةٍ وَالنَّسَارِ
وقال^(٧) :

لَوْ كُنْتُ نَعْلَمُ مَا جَهِلَتْ فُؤَارِسِي أَيَّامَ طِخْفَةٍ، وَالدَّمَاءُ تَمُورُ
وقال أيضاً^(٨) :

وَقَدْ جَعَلْتُ يَوْمًا بِطِخْفَةٍ خَيْلَنَا مَجْرًا لِذِي النَّجَبِ الْهَامِ، وَمَضْرَعًا

(١) ديوانه ص ٥٨ .

(٢) النجب (بالحاء) : الخطر العظيم هنا .

(٣) ديوانه ص ٢٥٨ .

(٤) ديوانه ص ٢٨٢ .

(٥) يروي : اقتصاراً : واعتساراً في معناه .

(٦) ديوانه ص ٢٩٩ — ٣٠٠ .

(٧) ديوانه ص ٣٠٢ .

(٨) ديوانه ص ٣٣٩ .

وقال (١) :

واستنزلوا حَسَّانَ وابني مُنْذِرٍ أَيَّامَ طِخْفَةِ السُّرُوجِ تُقَفِّعُ
أقول : وطخفة في الوقت الحاضر كل سكانها تقريباً من الصلبة أغلهم من «الخلوة»
منهم ، وأعتقد أن الخلوة هؤلاء من أعقاب بني محارب ، إذ بنو محارب كانوا محترفين من عرب
ذلك الزمن وكانوا يتخذون الحمر للركوب وهذا هو شأن الخلوة ، وقال ربيعة بن عثمان الذي
يلقب بالشويعر (٢) :

فَسَائِلُ جَعْفَرٍ وَبَنِي أَيَّهَا بَنِي الْبَرْزَى بِطَخْفَةِ وَالْمَلَّاحِ (٣)
غَدَاةُ أَتَتْهُمْ حَمْرُ الْمَنَايَا يَسْقُنُ الْمَوْتَ بِالْأَجَلِ الْمَتَّاحِ
وَأَفْلَتْنَا أَبُو لَيْلَى طَفِيلٌ صَحِيحُ الْجِلْدِ مِنْ أَثَرِ السَّلَاحِ
وفي طخفة كان يوم لبني يربوع من تميم على قابوس بن المنذر ابن ماء السماء ، ولذلك قال
جرير :

وقد جعلت يوماً بطخفة خيلنا لآل أبي قابوس يوماً مُكَدَّرًا (٤)
وقد أكثر جرير من ذكر ذلك اليوم في طخفة كما تقدم ومن ذلك قوله (٥) :
نَحْنُ الْحِمَاةُ غَدَاةُ جَوْفِ طَوِيلِمْ وَالضَّارِبُونَ بِطِخْفَةِ الْجَبَّارِ
وقال أيضاً (٦) :

صَبَرْنَا يَوْمَ طِخْفَةِ قَدْ عَلِمْتَ صُدُورُ الْخَيْلِ تَنْحَطُ فِي الْحَرَابِ (٧)

(١) ديوانه ص ٣٤٧ .

(٢) في البيان والبيان ج ٢ ص ١٠ . البيان الأول والثالث وهي في ياقوت : رسم «ملاح» .

(٣) جعفر أي : جعفر بن كلاب بنو البرزى لقب لبني بكر بن كلاب والملاح : موضع .

(٤) هذا البيت من قصيدة طويلة في ديوانه ص ٢٤٠ — ٣٥١ .

(٥) ديوانه جرير ص ٢٢٨ .

(٦) ديوانه ص ٢٨ .

(٧) تنحط أي : تفرق من المشقة .

وَطِثْنِ مَجَاشِعًا، وَأَخْذَنْ غَضْبًا بَنِي الْجَبَّارِ فِي رَهَجِ الضَّبَابِ^(١)
 وكان من أمر ذلك اليوم أَنَّ الرَّدَاةَ كَانَتْ فِي بَنِي يَرْبُوعَ ، وَمَعْنَى الرَّدَاةِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَكِبَ
 الْمَلِكُ رَكِبَ خَلْفَهُ ، وَإِذَا جَلَسَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسٍ وَشَرِبَ جَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ ، وَشَرِبَ بَعْدَهُ
 فَأَرَادَ حَاجِبُ الْمَلِكِ أَنْ تَجْعَلَ الرَّدَاةُ فِي شَخْصٍ لَا يَرِيدُهُ بَنُو يَرْبُوعَ ، فَأَبَتْ بَنُو يَرْبُوعَ ذَلِكَ ،
 وَرَحِلَتْ ، فَتَزَلَتْ طِخْفَةُ ، وَبَعَثَ الْمَلِكُ إِلَيْهِمْ جَيْشًا فِيهِ قَابُوسُ ابْنِهِ ، وَلِإِنَّ لَهُ آخَرَ ، وَحَسَانَ
 أَخُوهُ فَهَزَمْتَهُمْ بَنُو يَرْبُوعَ وَأَسْرَوْهُمَا فَضَمَّنَ لَهُمَا أَمْوَالًا ، وَجَعَلَ الرَّدَاةَ فِيهِمْ ، عَلَى أَنْ يَطْلُقُوا مِنْ
 أَسْرَا ، فَفَعَلُوا ، فَبَقِيَ الرَّدَاةُ فِيهِمْ .

فَقَالَ الْأَحْوَصُ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ هَرْمِي بْنِ رِيَّاحِ الْيَرْبُوعِي :

بِأَبْنَاءِ يَرْبُوعَ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى بَابَانَهُ يَنْجِي
 عِلَا جَدُّهُمْ جَدُّ الْمُلُوكِ فَأَطْلُقُوا بِطِخْفَةَ أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ عَلَى الْحَكَمِ^(٢)
 وَقَالَ سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ الرَّيَّاحِي^(٣) :

أَلَيْسَ الْأَكْرَمُونَ بَنُو رِيَّاحٍ نَمَوْنِي مِنْهُمْ عَمِّي وَخَالِي
 إِلَى أَنْ قَالَ :

وَذَادُوا يَوْمَ (طِخْفَةَ) عَنْ حِمَاهِمَ ذِيَادَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ النَّهَالِ
 وَقَالَ شَاعِرُ رِيَّاحِيٍّ آخَرُ فِي هَذَا الْيَوْمِ هُوَ عَمْرُو بْنُ حَوْطٍ بْنِ سُلَيْمٍ^(٤) .

قَسَطْنَا يَوْمَ (طِخْفَةَ) غَيْرَ شَكٍّ عَلَى قَابُوسٍ إِذْ كُرِهَ الصَّبَاحُ
 لِعَمْرِ أَيْتِكَ وَالْأَبْنَاءَ تَنْسِي لَنْبَغِمْ الْحَيُّ فِي الْجَلِيِّ رِيَّاحُ
 أَبَا ذَيْنَ الْمُلُوكِ فَهَمَّ لَفَّاحُ إِذَا هَبَجُوا إِلَى حَرْبٍ أَشَاحُوا

(١) يريد بني الجبار قابوس وحسان ابن المنذر أسرتهما بنو يربوع يوم طخفة .

(٢) راجع لهذا اليوم العقد الفريد ج ٦ ص ٧٥ . وأبيات الأحوص في ياقوت : رسم (طخفة) .

(٣) العقد الفريد ج ٦ ص ٥٤ . وياقوت والبكري (طخفة) .

(٤) القفاض ج ١ ص ٦٩ .

وليس ذلك اليوم باليوم الوحيد في طخفة كانت معارك كثيرة في القديم .

ووقعت في صدر الإسلام بين الأعراب في طخفة وفيما قرب منها وقائع كثيرة منها يوم سمي «يوم هراميت» وهي بئر قريبة من طخفة لعل لاسمها علاقة باسم «هرمولة» مورد الماء الواقع في تلك المنطقة الذي سيأتي الكلام عليه في حرف الماء إن شاء الله .

وذلك اليوم كان في أثناء عهد عبدالله بن الزبير قبل أن يتغلب عليه عبد الملك بن مروان ، وهو بين جعفر وبين الضباب وكلا الحيين من بني كلاب قال أبو عبيدة : وكان الذي فعل ببني جعفر الأفاعيل درّاج بن زرعة قتل من بني جعفر تسعة وأقاده عبد الملك — يعني ابن مروان — بثلاثة نفر . وقد قال درّاج في حبسه قبل مقتله قصيدة منها :

ألا يا غُرابَ اليِّنِ أَسْمَعْتَ فَارَبَعَ وَطِرَ بِالَّذِي قَدْ حُمَّ — وَيَحْكُ — أَوْقَعَ
فطار بتحليقٍ وَجِدْتُ بِعَبْرَةٍ أَنَا هَا رَشَاشُ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ مَدْفَعٍ
فليس ليألبينا (بطخفة) والحمى بِمَرْجَعَاتِ فِصَابِكَ شَجْوِكَ أَوْدَعَ
إِذَا أُمُّ سِرْبَاحٍ (١) غَدَتْ فِي ظِلْعَيْنِ عَوَامِدَ نَجْدٍ كَادَتْ الْعَيْنُ تَذْمَعُ (٢)

ونقل ياقوت عن ابن الفقيه قوله : وطخفة : جبل لكلاب ، ولهم عنده يوم . وقال لغدة : وإنما حَدَّ الْحِمَى طِخْفَةً ، وهي يطؤها الطريق وهي التي اقتتل عليها بنو جعفر (٣) والضباب (٤) أيام مات هارون الرشيد أمير المؤمنين (٥) .

قال : وطخْفَةٌ : ماء لجعفر والضباب ، فظفرت به الضباب ، وَقُتِلَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ جَعْفَرٍ كَانَ شَدِيداً (٥) .

أقول : قوله : إنها جبل لبني جعفر والضباب ثم قوله : إنها ماء لهم . لا تنافي فيه إذ الجبال تكون فيها عادة مياه من مياه الموارد في الصحراء وطخفة بالذات كان فيها مورد بل

(١) النقااض ج ٢ ص ٩٢٧ — ٩٣٢ .

(٢) بنو جعفر بن كلاب بن عامر من صعصة .

(٣) الضباب : هم من بني كلاب أيضا . وسيأتي فيما نقله من كلام أبي أحمد العسكري سبب تسميتهم بذلك .

(٤) مات هارون الرشيد عام ١٩٣ هـ .

(٥) بلاد العرب ص ٣٩٠ .

موارد معروفة ومنها مورد ماء كان ينزله حاج البصرة إلى مكة كما سيأتي فيها بعد . بل إنه كان فيها أو قريبها عين كانت قد ساحت وتحدث عنها المتقدمون سيأتي نقل كلامهم .

وذكر أبو عبيدة أن الضباب قتلوا من بني جعفر رجالاً ، وسبوا نساءً قال : وهي وقعة مشهورة بطخفة والزبان في العرب قال : وفي يوم طخفة يقول الحارث بن رومي بن شريك وهو يُحَضِّضُ بني كلاب على الضباب ، وذلك بما صنعوا ببني جعفر ويميرهم بذلك :

تركنم لأفراس الضباب نساءكم وما قتلوا منكم بطخفة كالجزر^(١)
وهنَّ بهم يعنون ما بين مُحَلَّتٍ إلى عَسَسٍ يركنكم سؤة الدهر^(٢)
بطخفة من قتلاكم أخواتها حواسر يرض من عوانٍ ومن بكر^(٣)
حواسر مما قد رأت فعيونها تفيض بماء لا قليل ولا نزر^(٤)

وذكر ياقوت : عُيَصَاءُ وقال : ماء عند أنف طخفة الغربي كانت ثم وقعة .

وقال القحيف العجلي^(٥) :

أتنسون يا خزان (طخفة) نسوة تُركن سبايا بين فيشان والتقب^(٦)
وأنشد المهجري للحرشي يمدح آل منين من عامر من عقيل^(٧) :

رحلنا وخلفنا (بطخفة) جيرة من آل منين كل جار مودع

وقال نعامه بن شريك :

-
- (١) الجزر : جمع جزور ، وهي الناقة التي نحر .
(٢) وهن أي : الخيل ، ومحدث . موضع ، وعسس : جبل بقرب ضرية سيأتي ذكره في حرف العين .
(٣) حواسر : جمع حاسر وهي المرأة التي أزال عن رأسها ووجهها الغطاء والعوان : التي سبق أن تزوجت والبكر التي لم يسبق لها الزواج .
(٤) النقائص ص ٩٢٥ .
(٥) ياقوت رسم «فيشان» .
(٦) خزان : جمع خزز وهو ذكر الأرناب .
(٧) أبو علي المهجري وأبحاثه ص ٢١١ .

اسْتَنْزَلَتْ رَمَاحُنَا سَنَاناً وَشَبَّحَهُ (بطخفة) عِيَانَا
ثُمَّ أَخُوهُ قَدْ رَأَى هَوَانَا لَمْ فَقَدْنَا بَيْنَنَا مَعْدَانَا^(١)

وقال بشر بن بُجَيْر الغنوي يكي منازل قومه حين جلوا عنها^(٢) :

أَلَمْ تَعْرِفْ دِيَارَ بَنِي بُجَيْرٍ بِطَخْفَةِ بَيْنِ غَوْلٍ فَالْبِرَاقِ ؟
وَلَا أَنْ رَأَيْتُهُمْ تَوَلَّوْا سَقَى عَيْنِي مِنَ الْعِبَرَاتِ سَاقِي

فقرن ذكرها بذكر غول القريب من طخفة ، والذي لا تزال تسميته القديمة باقية وسيأتي ذكره في حرف الغين إن شاء الله . أما البراق فهي جمع بركة .

وقد تعدت شهرة (طخفة) دائرة الأعراب في الجزيرة إلى المولدين في العراق قال الرقاشي في قِدر^(٣) :

لَنَا مِنْ 'عَطَاءِ اللَّهِ دَهْمَاءَ جَوْنَةٍ تَنَاوَلْ بَعْدَ الْأَقْرَبِينَ الْأَقَاصِيَا
جَعَلْنَا الْإِبْلَاءَ ، وَالرُّجَامَ وَ(طخفة) لَهَا ، فَاسْتَقَلَّتْ فَوْقَهُنَّ أَنْافِيَا

وليس تاريخ طخفة مقتصرًا على أيام العرب وحروبهم وقاتلهم فيما بينهم ولكن عُرف في تاريخها أثرُ عمرانيٍّ جليلٍ في ذلك الوقت ألا وهو إساحة عين وإجراؤها في تلك المنطقة لبعض الأشراف فقد نقل السمهودي قوله : واحتقر بعض بني حسن بن علي بالجمي واتخذ إلى جنب حفيرته عيناً ساحت ثم خرجت في غربي (طخفة) بشاطئ الريان^(٤) على ثلاثة عشر ميلاً من ضربة ، وهي بيد ناس من بني جعفر ثم من بني ملاعب الأسته من جهة بني أختهم الحسينيين^(٥) .

هكذا أطلق السمهودي رحمه الله القول بأنها في أيدي ناس من بني جعفر اتباعاً لـ

(١) العقد الفريد ج ٦ ص ٧٨ وفيه تعريف بأصحاب الأسماء المذكورة في البيت .

(٢) المؤلف ص ٦٠ .

(٣) الحجان ، في تشبيهات القرآن ص ١٨١ .

(٤) راجع رسم « ميل » حيث رأيت أنه هو الوادي الذي كان يسمى « الريان » في القديم .

(٥) وفاء الوفاء ص ١٠٩٦ .

سبقة ، ولكنه لم يبين الوقت الذي كانت فيه للمذكورين وما إذا كان ذلك في زمنه أو كان سابقاً له وفي أي وقت ذلك إذا كان قبل زمنه . والظاهر أنه نقل من المجري كما يرى أستاذنا حمد الجاسر^(١) والعبارة في المجري فيها بعض التحريف والنقص فيما يظهر وهذا نصها :
واحتفر بعض بني جسر بالحمى ويشاطىء الريان في غربي طخفة وسمى تلك العين (المشقرة) وهي اليوم في أيدي ناس من بني جعفر ، وبين هذه الحفيرة وبين ضربة ثلاثة عشر ميلاً^(٢) .

فالمجري يقول إنها اليوم بأيدي ناس من بني جعفر ويريد في زمنه أي في آخر القرن الثالث الهجري ، هذا إذا لم يكن ينقل ذلك عن قبله فتكون تلك العين التي ساحت في غربي طخفة موجودة قبل ذلك ثم دثرت ، أو لعل هذه العبارة هي التي جعلت طخفة تستحق أن ينظر إلى أي الجهات تتبع ولم يكن يكني فيها أن يقال إنها تابعة للحمى الذي كان تابعاً للمدينة كبقية الجبال هناك . فقد نقل ياقوت عن ابن الفقيه أنه ذكر أن طخفة في أعمال المدينة^(٣) .
ومن الشعر العامي في طخفة قول ابن سبيل يصف نوقاً من قصيدة :

مِرْبَاعِيْن (طخفة) وأداني القريَّات وإن حدرن لِمِرْطَبِه والثنادي^(٤)
بني أن نعيد قول ياقوت في معنى تسمية «طخفة» التي هي تسمية غريبة بالفعل قال :
طخفة بالكسر ويروي بالفتح عن العمراني ثم السكون والفاء . والطخاف : السحاب المرتفع ،
والطخف : اللبن الحامض .

أقول : المتبادر للذهن أن يكون اشتقاقه من الطخاف الذي هو السحاب المرتفع . لأن جبل طخفة يظهر على البعد أول ما يظهر في الأفق البعيد كالسحاب المرتفع ولا ارتفاعه كانت الطيور

(١) مقدمة كتاب «أبو علي المجري وأبحاثه في تحديد المواضع .

(٢) أبو علي المجري وأبحاثه ص ٢٥٣ .

(٣) رسم «طخفة» .

(٤) مرباعين : مراهن في فصل الربيع ، والقريَّات هما مسكة وضربة (راجع هذا الرسم) حدرن : انحدرن ، ومربطة : واد : شمال هجرة عرجا الواقعة إلى الشمال من الدوادمي . والثنادي : برق تقع إلى الشرق من الدوادمي وتنفذ إلى الشمال ولكنها لا تدخل في حدود القصيم .

معجم قبائل الحجاز

جاء اهتمام العربي بعلم النسب بغرض المحافظة على العنصر العربي الأصيل من الذوبان والاندثار ، والانصهار في العناصر الأخرى نظراً لما دخل من أمم وعناصر غير عربية في بوتقة الإسلام وكونت بذلك جنساً مختلطاً فجاء الاهتمام بعلم النسب أحد فروع العلوم التاريخية وتمثل هذا العلم عند العربي بمحافظته على الكفاءة النسبية في الزواج وغيره فلا يتزوج أو يزوّج إلا من هو من أرومته ودوحته ، مستمداً من حديث الرسول ﷺ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : « العرب بعضهم لبعض أكفاء والموالي بعضهم أكفاء لبعض » .

كما أن طبيعة العنصر الطيب والأصل النقي أن يتفرع من دوحته أصول طيبة والرسول محمد ﷺ قال : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام »

الجارحة التي تكون فيه توصف بالقوة كما قال وعلة الجرمي عند هريه يوم الكلاب^(١) :
نجوت نجاة ليس فيه ونيرة كأي عقاب عند (تيمن) كاسر^(٢)
خُدّارية سَفْعَاء كَبَدَ ريشها بطخفة يوم ذو أهاضبَ ما طِرُ
إيضاح :

هناك جبل آخر يسميه بعض أهل البدو (طخفة) غير جبلنا هذا الذي نتكلم عليه ، وهو واقع إلى الغرب من طِخْفَةَ الجِمَى ، بمسافة طويلة ، بينها حوالي مئة وسبعين كيلاً ، وهو هضب آخر^(٣) ، اعتقد أنه الذي كان يسمى في القديم هضب القليب ، تغير إلى طخفة .

محمد العبودي

(١) العقد الفريد ج ٦ ص ٧٤ .

(٢) تيمن : هضبة عند وادي الكلاب الذي يسمى الآن (وادي الشعرا) تسمى تيمنا في الوقت الحاضر .

(٣) تكلم عليه الشيخ سعد بن جنيّد في عالية نجد .

معجم قبائل الحجاز

جاء اهتمام العربي بعلم النسب بغرض المحافظة على العنصر العربي الأصيل من الذوبان والاندثار ، والانصهار في العناصر الأخرى نظراً لما دخل من أمم وعناصر غير عربية في بوتقة الإسلام وكونت بذلك جنساً مختلطاً فجاء الاهتمام بعلم النسب أحد فروع العلوم التاريخية وتمثل هذا العلم عند العربي بمحافظته على الكفاءة النسبية في الزواج وغيره فلا يتزوج أو يزوّج إلا من هو من أرومته ودوحته ، مستمداً من حديث الرسول ﷺ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : « العرب بعضهم لبعض أكفاء والموالي بعضهم أكفاء لبعض » .

كما أن طبيعة العنصر الطيب والأصل النقي أن يتفرع من دوحته أصول طيبة والرسول محمد ﷺ قال : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام »

الجارحة التي تكون فيه توصف بالقوة كما قال وعلة الجرمي عند هريه يوم الكلاب^(١) :
نجوت نجاة ليس فيه ونيرة كأي عقاب عند (تيمن) كاسر^(٢)
خُدَّارية سَفَعَاء كَبَدَ ريشها بطخفة يوم ذو أهاضبَ ما طِرُ
إيضاح :

هناك جبل آخر يسميه بعض أهل البدو (طخفة) غير جبلنا هذا الذي نتكلم عليه ، وهو واقع إلى الغرب من طِخْفَةَ الْحِمَى ، بمسافة طويلة ، بينها حوالي مئة وسبعين كيلاً ، وهو هضب آخر^(٣) ، اعتقد أنه الذي كان يسمى في القديم هضب القليب ، تغير إلى طخفة .

محمد العبودي

(١) العقد الفريد ج ٦ ص ٧٤ .

(٢) تيمن : هضبة عند وادي الكلاب الذي يسمى الآن (وادي الشعرا) تسمى تيمنا في الوقت الحاضر .

(٣) تكلم عليه الشيخ سعد بن جندب في عالية نجد .

إذا قُهِوا، والإمام الشافعي رحمه الله اعتبر النسب كفاءة في النكاح .

لهذا نجد قاعدة المحافظة على النسب قاعدة قوية تمتد جذورها إلى الإسلام وإلى الذوق والطبيعة العربية في الجاهلية . حتى أن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني يقول : البدو أصل العرب ومادة الإسلام . أي إن الإسلام انتشر في الأصقاع بواسطة أعراب الجزيرة العربية .

ويقول العرب الآن في أمثالهم الشعبية الدارجة (الكُحَيْلَة ما يركبها إلا الحصان الأصيل) والكُحَيْلَة اسم من أسماء الخيل الأصلية المعروفة الآن ، ويعني هذا المثل : المرأة ذات الأصل والنسب وتشبيه هذه المرأة بالفرس الأصلية كناية عن عدم تزويج هذه المرأة إلا بمن يساويها كفاءة بالنسب والدين والمال والمكانة الاجتماعية أو الزيادة عليها في هذه العناصر الثلاثة .

وعُني علماء العرب في حفظ الأنساب العربية وذلك بتدوينها كما دونت العلوم العربية الأخرى في فترة التدوين في القرن الثاني الهجري^(١) ، وظهرت بعض المؤلفات في الأنساب لعلماء عرب لهدف محاربة الشعوبية وأعداء العنصر العربي ، بعد ظهور أمم أخرى غير عربية مثل الفرس والترك والأرمن والسراني وغيرها .

فحفظت لنا أنساب الأرومة العربية .

ولكن بحكم ضياع التراث العربي إبان فترات الركود الفكري والغزوات الخارجية على البلاد الإسلامية أصبح النسب معرضاً للاندثار لعوامل منها : اندماج قبائل بأخرى ، والمهجرات العربية ، وعدم التدوين لقلّة المتعلمين بين العرب الأقحاح وضياع المؤلفات القديمة أو جهلها وغير ذلك من الأسباب ولكن هذه القبائل والعناصر العربية تحفظ أنسابها عن طريق نقل الخلف عن السلف ، مع تغير بعض الأسماء الأولى لبعض هذه القبائل لغفلة أو لرغبة منهم في عدم ذكر النسب الأول بفعل ما يحدث من ثار ودم وبالتالي تغيير هذه الأنساب قد يكفل لهم الاستقرار لذلك ضاعت بعض المعالم الأولى في علم النسب وربط القبائل المعاصرة بالقبائل

(١) أصول علم الأنساب العربية يعتمد على مؤلفات هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ هـ ومنها ما لا يزال مخطوطاً ككتاب «جمهرة النسب» وكتاب «نسب معد وابن الكبير» وقد وضع المبتدئ الألماني ورنر سكل دراسة عن هذين الكتابين طبع في مجلدين ضخمين «العرب» .

التي تنسب إليها أصلاً في السابق ، وبذلك ضاعت بعض أسس الحضارة العربية فلا يت
بدون أعمدة ولا حضارة بدون علماء .

وكانت محاولات يسيرة من بعض العلماء المعاصرين ممن حاولوا الكتابة في علم الأنساب
رغم صعوبة هذا العلم ولأنه من العلوم الشائكة جداً ، الصعبة المثال هي محاولات كما قلت
يسيرة وفردية إلا أنها مشكورة .

ومن هؤلاء أخي الأستاذ عاتق بن غيث البلادي في كتابه «معجم قبائل الحجاز» الذي
صدر أخيراً في مجلد واحد ، ورغم جهوده التي بذلها في استقصاء مادة الكتاب ، إلا أنه قد
جانب الصواب ، في معظم مادة الكتاب .

وللصدقة التي تربطني بالأخ البلادي فإنني على ثقة تامة أنه يرحب بهذا النقد ترحيب العالم
العربي وأن هذا لا يفسد الوُد الذي بيني وبينه ، ونحن جميعاً طلابُ حقيقة معروفة ، والمعرفة
ضالة المؤمن يبحث عنها أينما كانت ، وهذا مبدأ متعارف عليه في الميدان العلمي الصرف ،
ولذلك نبدأ بمناقشة ما أورده أخي البلادي في كتابه الآنف الذكر ...

ذكر في عدة مواضع تمجيد قبيلة حرب ، بصفة عامة والبلادية منها بصفة خاصة ، وهذا
مبدأ لا أريده له ، حتى لا يذكر عنه التعصب لقبيلته دون غيرها ومن وصفه لقبيلته : (شدة
المراس وانتصارهم على القبائل ومنها قبيلة سليم واحتلال أراضيهم) .

كما خلط وشوّه حقائق ثابتة كثيرة معروفة عند السواد الأعظم من دماء الناس مثل قوله
(ص ٨٦) عن الجمعيات بطن من بني علي من طفيح ، من البطين ، من بني سعد من شملة
من برق من عتيبة .

ومن المعروف أن الطفحة ليسوا من البطين من بني سعد .

وقال عن الجعدة أنهم من البطين من بني علي من طفيح : وأقول الجعدة ليسوا من البطين
ولكنهم من الطفحة أما بنو علي من طفيح فلم يعرف هذا الاسم الذي أورده المؤلف إنما الطفحة
وهم ليسوا من البطين بني سعد والجعدة قبيلة كبيرة الآن من عتيبة مساكنها شُقْصان وبِسل
جنوب الطائف ، وذكرت انسابهم ضمن القبائل الموازية في كتابي «دريد بن الصمة» ص
٢٣ ، ٢٤ .

وعن قبيلة الشيبان أنهم من عيال منصور من عتية وذكر مرة أخرى عنهم أنهم من قبيلة
سلم .

وأقول المعروف أن الشيبان لبسوا من عيال منصور إنما حلفاء لهم وأصلهم الثابت من
ثقيف ، حتى أنه يوجد منهم قبيلة تعرف بالثقفان ، والنسبة إليهم ثقيفي وعيال منصور الآن هم
العصمة والقُصمة والدغالية والدعاجين فقط .

وقال عن قبيلة الدعاجين أنهم من شملة ويسكن أكثرهم الطائف .

وأقول : إنَّ — الدعاجين من عيال منصور من عتية وليسوا من شملة ويسكن أكثرهم
بلاد نجد وليس الطائف .

وكذلك قال عن الدغالية أنهم يسكنون شرقي الطائف ومنهم المهدي . والصواب أن —
الدغالية لا تسكن الطائف إنما مقرهم نجد والمهدي هو المهري بالراء وهو كبيرهم قاطبة .
وذكر أن الأفاضيد من قريش تسكن شمال شرقي الطائف عند المبعوث ولهم حلف في
العصمة من عتية نقلاً عن الأستاذ محمد سعيد كمال —

وأقول : لا يوجد من قريش من يدعى الأفاضيد ، إنما الأفاضيد اسم مزرعة في أسفل
وادي العرفاء وقريش هؤلاء الذين أرادهم المؤلف حلفاء لقبيلة القُصمة وليس العصمة ولهم منهل
القرشية والمبعوث منهل لقبيلة القُصمة وحدهم ومعروف قديماً باسم الفتق ، وجواره سوق عكاظ
المشهور وقد ذكرت ذلك في كتابي «دريد بن الصمة» «وسوق عكاظ في التاريخ والآثار
والأدب» .

وذكر أن الحويطات القبيلة المشهورة الآن شمال المملكة أنهم مزيج من بقايا الأنباط .
فكيف يحزم بهذا ؟ والمعروف عن الأنباط أنهم من الأثم البائدة وأي دليل يستند عليه .
وأنا أرجح أن قبيلة الحويطات من قضاة^(١) بحكم المكان والهجرات العربية من قضاة

(١) «العرب» : بلادهم هي بلاد جُذام قديماً ويرى بعض النُسابين أنهم منهم وقد انتشروا في بلاد كانت تسكنها
عذرة وغيرها من فروع قضاة .

إلى شمال الحجاز بعد ظهور الإسلام وقبله . والله أعلم .
وقال : الزبائية من بني شيان من برق عتية - ومن المعروف أنه لا يعرف هذا الاسم
بينهم .

وقال عن ديار بني سعد مُظَلَّةً وبِئْسَ .

وأقول أن ديارهم المعدن وبُقران والفرعة والذبية والشوحطة .

كما قال في حدود ديار بُلْحَارث من الشمال بنو سعد وعتية . فكأنه يني أن بني سعد ليسوا
من عتية مع أنهم أصل قبيلة عتية الأم .

وقال عن الذويبات : إن مساكنهم قرب مظلة .

والصحيح أنهم يسكنون منطقة الشوحطة وبها مسجد ينسب إلى حليلة السعدية مرضعة
الرسول الأعظم ﷺ وهي منهم ، في وادي الشوحطة ببلاد بني سعد .

وقال عن المناذحة هم الرقبان والصواب عن المناذحة من السادة ذوي عيسى أهل الطائف
الذين منهم بيت القصير والرقبان من بني سعد الثبته .

وقال أن الحشابة من عتية .

والصواب أنهم حلفاء للطفحة من عتية وليسوا من أصل عتية وهم يذكرون في نسبهم
أنهم من هذيل .

وقال الروسان من شملة .

ولكنهم من المرواحه من بني سعد من برق من عتية ، ولا زال قسم منهم في دياره الأولى
بوادي بُقران ، ومنهم من نزح إلى نجد واستوطنوا مُصَدَّةً ، قرب الدوادمي شمالاً ، وأميرهم
كافة ابن جامع ، ومنهم الشاعر السعودي الكبير حسين سرحان . وذكر نسبة الجبرة من القثمة
من عيال منصور من برق من عتية النسبة جبري .

والصحيح النسبة اليهم جباري كما رويت أنا له ونقل عني خطأ .

وكرر أسماء تشوش معلومات القارئ وفي صفحة واحدة مثل قوله الجراذبة من الكرزان من

الحاميد من البقوم والجراذبة من الحاميد من البقوم والجراذبة من محاميد البقوم .

وقال : الزراقية بطن في لِيَّة مجاور القوم ويقال إنهم من اليمن .

وأقول : إن المعروف في الطائف أنهم يَتَّبِعُ في الطائف . وليسوا بطن قبيلة ولأحدهم مزرعة في لِيَّة ولهم برحة الزرق في الطائف وهم فعلاً من اليمن .

وقال : الزُّورَان أهل لِيَّة بطن من عتية .

والحقيقة أنَّ زُورَانَ لِيَّة يدخلون في عتية الطفحة بحلف ، أصلهم من ثقيف ، وهم غير زوران القشة حيث أدمج رَوَّانِيَّ له عن زوران القشة مع زوران لِيَّة ويقال في نسبة زوران لِيَّة أزوري وزوران القشة زويري .

وقال : ذوو صقير بطن من القشة من برقا عتية .

والخطأ لديه في النسبة والصحيح الصقرة والمفرد منهم صقاري كما رويت له ذلك .

وقال : ذوو سعد بطن من الحاميش من عدوان .

والصواب أنهم ذوي سعيد وذوي مسعيد ،

وقال عن القواسم من القشة القواسمة .

والصواب القواسم والصقرة وليس الصفرة وقد ذكرت هذا له .

وقال : القَراحين بطن من قريش .

والصحيح أنه لا يوجد في قريش بطن بهذا الاسم ، إنما القراحين اسم وادٍ به مزارع جنوب الطائف في ديار قريش .

وذكر المؤلف أن قبيلة وقدان من التَّبَتَّة والصحيح أن وقدان من قبيلة عتية قائمة بذاتها^(١) ولا تندرج تحت اسم قبيلة التَّبَتَّة كما ذكر المؤلف .

(١) وقدان لهم نسب صريح متسلل الآباء إلى هوازن والعرب .

وذكر قبيلة المضائية الذي ذكرهم هم ذرية عثمان المصافني ويعرفون بالعثمانيين نسبة إلى عثمان المصافني ، وهم أهل قرية العقرب شرقي الطائف ، ومنهم شيخ عدوان اليوم منصور بن محمد بن عبد الله بن عثمان .

وقال المسودة أحد فرعي هذيل وبعد السؤال والتأكد من ذلك اتضح لنا عدم وجود هذا الاسم في هذيل .

وعند تحدّثه عن العبايد يخلط في الحقائق ولكن المعروف أن العبايد حلفاء للعصمة من عتبية يسكنون وادي القيم من أودية الطائف وهم في الأصل من بلاد المغرب ، ولم يكن هناك صلة نسب بينهم وبين الأستاذ على العبادي رئيس (النادي الأدبي) في الطائف إنما العبادي من جنوب الجزيرة العربية ومن قبيلة معروفة وليس العبايد هنوداً كما ذكر للمؤلف الأستاذ محمد سعيد كمال وقد خلط المؤلف بين عبايد القُثمة الذين هم رؤساء القبيلة قاطبة وعبايد العُصمة . وقال عن الصخريين إنهم بطن من ثُمالة .

وأقول ان المعروف عنهم أنهم من قبيلة ثقيف من هوازن العدنانية وليسوا من ثُمالة الأزديّة القحطانية .

وكلمة الأشراف لم يشرح المقصود منها ولعل أول من أطلق عليه هذا الشريف الرضي ^(١) وأخوه المرتضي ^(٢) في العهد العباسي .

وفي (نادي الطائف الأدبي) حجر أثري كتب عليه ترجمة لأحد نساء أشراف مكة ملقبة بالشريفة ويؤرخ موتها سنة ٥٠٧ هـ كما ذكرها أيضاً العصامي في كتابه « سمط النجوم العوالي » وهذا عكس ما قاله المؤلف أن الأشراف كانوا يلقبون بالسادة حتى جاء أبو نُمي .

(١) الشريف الرضي هو محمد بن الحسين بن موسى يتصل نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة ٣٥٨ وتوفي سنة ٤٠٦ عالم له مؤلفات معروفة وديوان شعر مطبوع وقد ألف في ترجمته مؤلفات مطبوعة .

(٢) المرتضى هو علي بن الحسين ولد سنة ٤٥٥ وتوفي سنة ٥٣٦ له مؤلفات كثيرة قال عنه الذهبي في كتاب « ميزان الاعتدال » : وهو المتهم بوضع كتاب « نهج البلاغة » ومن طالعه جرّم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين ، — علي كرم الله وجهه — .

(٣) « العرب » : حبذا لو كرم الكاتب الكريم الأخ مناحي بإرسال صورة هذا الحجر لنشره .

قال المؤلف عن الصواملة : أنهم بطن من الأشراف ينزل اللبث قرب غُمَيْقَةَ ، ولا بدري إلى أي الأشراف ينسبون .

وذكر لنا الشريف محمد بن منصور أنَّ الصواملة هؤلاء هم أهل رَنَّة والصواملة جميعهم من الأشراف العبادلة من آل أبي نُعْمَى .

كما ذكر عن تفرق العبادلة خارج المملكة . والصحيح أن جميع العبادلة الأشراف داخل المملكة العربية السعودية وليس منهم أحد خارجها ما عدا الملك حسين بن طلال وأهل بيته الأقرين في الأردن وما ذكره المؤلف عن تفرقهم وهم لا تسنده الحقيقة .

وذكر عن آل فليته أنهم حَسَنِيَّون ولكن الشريف محمد بن منصور عارض قول المؤلف فقال : آل فُليَّة أشراف حكموا مكة قبل قتادة بن ادريس وينسبون إلى جدهم فليته أحد أمراء مكة وليسوا حسنيين إنما ينسبون إلى الهواشم .

كما ذكر أنَّ الأشراف ، ذوي هِزاع يسكنون في منطقة العُرج بالطائف .

وأخطأ في نسبهم ورد على ذلك الشريف محمد بن منصور بقوله أيضاً : ذوي هِزاع لا يسكنون العُرج ، إنما يسكنون المدينة ، وينسبون إلى أخ الشريف محمد بن عبد المعين بن عون أول من تولى حكم الحجاز من آل عَوْن .
وذكر عن آل قتادة أنَّ منهم ملوك المغرب .

والصحيح أنَّ أصل ملوك المغرب الآن ليسوا من بني قتادة وهم يرجعون في نسبهم كما ذكر المؤرخون إلى عبدالله الأشر بن محمد النفس الزكية .

وقال : آل سُبَيْح بطن صغير ينزل اللبث قرب غُمَيْقَةَ وَيَدْعُونَ أنهم من الأشراف والأشراف ينكرون عليهم ذلك .

وقد سألت النسابة الشريف محمد بن منصور عن ذلك فقال : آل سُبَيْح هؤلاء من الأشراف ذكرهم صاحب «عمدة الطالب» وجعلهم من عقب أبي جعفر محمد ثعلب بن عبد الله الأكبر حيث قال : وأعقب عيسى بن يحيى عشرة رجال منهم سُبَيْح .

كما صحح لنا الشريف محمد بن منصور نسب القُصُور الأشراف فأوصله إلى سلطان بن حسين ابن محسن بن عبدالله بن أحمد القُصُور زين العابدين بن عبدالله بن حسين بن أبي نُمي ،
 لا كما ذكر المؤلف أنه سلطان بن حسين بن محسن بن حسن بن أحمد بن عبدالله القُصُور . كما
 صحح لنا أيضاً أن شنبه هو فعلاً جد الشنابلة الأشراف وعاش في القرن الحادي عشر .
 وذكر المؤلف أن الحراجلة من الأشراف الشنابلة في شفا بني عمرو ، جنوب الطائف .
 وأقول إنه لا يوجد في الشنابلة من يعرف بهذا الاسم والنسبة وفي شفا بني عمرو من يعرف
 بذوي بآز ، من الأشراف .

وقال : الرميذة قرية أسفل وادي ليثة ، لذوي حسن الأشراف .

والصواب أن الرميذة هي لذوي حسن وليست قرية .

وذكر عن آل دراج أنهم أسرة من الأشراف لهم إمارة ينبع .

وذكر لنا الشريف محمد أنهم يعرفون بذوي هيجار وكانت لهم إمارة ينبع في آخر القرن
 التاسع وأول العاشر الهجريين . كما قال عن الرواجحة فرع من الأشراف ببني قتادة وجدهم
 راجح ابن قتادة .

وصحح لنا الشريف محمد بن منصور هذا فقال الرواجح هؤلاء ليسوا من عقب راجح بن
 قتادة إنما جددهم راجح بن أبي نُمي الأول .

كما نسب الثعالبة الأشراف إلى ذرية أبي نُمي الأول .

ولكن نسبة الأشراف محمد بن منصور قال : إن الثعالبة فوق أبو نُمي الأول ، وهم من
 عقب ثعلب بن مطاعن .

كما صحح لنا الشريف محمد ما ذكره المؤلف عن الأشراف ذوي زيد أنهم في ليثة ، ولهم
 بجيلة وهم من الأشراف العبادلة ونزح عدد كبير إلى مصر .

فقال : الشريف : أهل ليثة جميعاً من العبادلة يخالطهم قليل من الشنابلة ، ولم يترح أحد
 من ذوي زيد إلى مصر ، وجميعهم في الحجاز .

وبجيلة التي ذكرها المؤلف غير معروفة في ليثة وما حولها .

كما أن أخي البلادي يخلط في نسبته القشمة إلى جُشم فيقول مرة : إنه لا دليل لديه في ذلك ، ومرة ثانية يني أن جشم القشمة وهذا تناقض على أساس نفيه وعدم وجود الدليل كما قال إن القشمة بنو ققام وهو اسم معروف ومرة أخرى يقول أنا لا أني أن يكون القشمة من جشم .
وانني أطلب من أخي البلادي إيضاح مصدره الذي عن طريقه جزم أن القشمة بنو ققام لأنني حريص على ذلك بحكم نسبيتي إلى هذه القبيلة ، ولأنني لم أعثر على هذه النسبة الجديدة إلى ققام كما ذكر أخي البلادي .

وانني أذهب مع أكبر علماء بلادنا الكبار أمثال الأساتذة المرحوم محمد بن بلهيد وحمد الجاسر وعبدالله بن خميس وهم معروفون وقد أكدوا جميعاً أن القشمة هم جشم القديمة ومن الأدلة على ذلك أن ديار جشم القديمة هي ديار القشمة الآن وأن بعض اللهجات تحرف القاف جيماً فيقولون جشامي أي قشامي ثم أين تذهب قبيلة جشم الكبيرة المعروفة التي تحل هذه البلاد ، والتي لا ذكر لها الآن إذا لم تكن هي القشمة كما أن بني عمومتهم بني سعد والمقطرة والجمدة وغيرهم من عتية لا يزالون حتى الآن في ديارهم التي هي ديار هوازن . وبنو نصر المعروفون في جشم سابقاً معروفون الآن في القشمة وأنني مع الأساتذة ابن بليهد والجاسر وابن خميس ومحمد سعيد كمال أقول ان القشمة الآن هم جشم سابقاً .

وأخيراً أرجوا من الله العون والتوفيق والصواب للأخ البلادي الذي أكثر من الانتاج الأدبي ونحن نشيد به ولكن نريد الكيف لا الكم .

وانني بهذه المقالة استهدف المساهمة معه واصلاح ما أراه بحاجة إلى إصلاح على قدر جهودي .

مع شكري سلفاً للأخ البلادي والله الموفق ...

مناحي القشامي
نادي الطائف الأدبي

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية

—٦—

[وهذا من مباحث (الجزء الأول) من «المعجم الجغرافي» قسم (المنطقة الشرقية) وهذا الجزء أصبح بين يدي القراء ، و«العرب» نهدف من وراء نشر هذه المباحث أن تلقى من القراء ملاحظاتهم نقداً أو إكمالاً أو تصحيحاً ، لكي يتسنى استكمال ذلك] .

بريمان :

— بضم الباء مصغراً — : منهل يقع بين العُقَيْر والأحساء . جاء وصفه في «دليل الخليج» بأنه على بعد ١٤ ميلاً في الجنوب الغربي من العُقَيْر ، فيه ثلاث آبار ماؤها مرٌّ . وبقرها آثار قصر .



البريمي :

بضم الباء الموحدة وفتح الراء وإسكان المثناة التحتية وكسر الميم بعدها ياء النسبة — : اسم يطلق على واحة ذات قرى ومياه ومزارع واقعة شمال عُمان ، وجنوب إمارة (أبو ظبي) وقد وقع خلاف بين حكومة المملكة العربية السعودية ، وبين الحكومة البريطانية التي كانت تلك الإمارة مشمولة بمجابتها ، وقد زال الخلاف بعد أن سقطت تلك الحماية عن الإمارة ، وقد كان من أثر ذلك الخلاف أن نشرت حكومة المملكة العربية السعودية كتاباً عن البريمي وعن أجزاء أخرى في تلك الجهة ، لإثبات كونها داخلية في ممتلكات المملكة والآن أصبح البريمي داخل حدود إمارة (أبو ظبي) وذهبت أسباب الخلاف ، واشتدت أواصر المحبة بين الإخوة في كلتا الدولتين ، ولا مانع من إيضاح بعض المعلومات الجغرافية عن (البريمي) فهو جزء من بلادنا الحبيبة (بلاد العرب) .

جاء في الكتاب الذي أُلِفَ في هذا الموضوع ما نصه ^(١) :

إن اسم البريمي مأخوذ من أكبر قرى الواحة وأهمها كما هو الحال عادة فيما يتعلق بأسماء الواحات في جزيرة العرب . وتحتوي واحة البريمي على ثمانين قرية وبعض البساتين هنا وهناك ، متجمعة على شكل مثلث ، يبلغ طوله تسعة (أكبال) وعرضه عند القاعدة ستة . وتقع أكبر مجموعة من بساتين النخيل والقرى في الوسط وتضم بلدة البريمي وحاسا ، في حين تقع صحرا قريبا منها إلى الشرق . وأقصى قرى البريمي الواقعة إلى الشمال هي قرية هيلي بينما تقع القرنتان المتلاصقتان القيمي والقطارة إلى الغرب من المجموعة الموجودة في وسط الواحة . وتقع قرية العين ^(٢) على بعد كيلين ونصف جنوب بلدة البريمي عبر أراض خالية . وإلى الغرب من العين وراء بساتين الجاهلي التي تكاد تكون مهجورة توجد قرية المعترض . تبلغ مساحة الثلث الآنف الذكر ٣٧ كيلاً مربعاً تقريباً وتجرى زراعة حوالي خمسها .. إنتهى .

بَرْزَخِيَّةُ

— بضم الباء — : من مياه السَّام في الربع الخالي ، من موارد آل مرة .

بُرْزَاخَةُ :

وقال البكري : — في شرح قول النابغة : — نَقْلًا عن الأصمعي :

بُرْزَاخِيَّةُ أَلَوْتُ بِلَيْفٍ كَأَنَّهُ عِفَاءٌ قَلَاصِي طَارَ عَنْهَا — نَوَائِزُ
قال : بُرْزَاخِيَّةُ تَبْرُخُ بِجَمَلِهَا ، أي تقاعس . قال : ويقال نسبها إلى بُرْزَاخَةِ مَوْضِعٍ
بالبحرين ، ويقال : هو ماء لبني أَسَدَ ، ورواه ابن الأعرابي : قُرَاحِيَّةُ ، نسبها إلى قُرَاحَ ، وهو
سيف هَجَرَ ، وأصل الفَسِيلُ منه . إنتهى .

ليس من المستبعد وجود موضع بالبحرين — وهي المعروفة بالنخل — باسم بُرْزَاخَ أو بُرْزَاخَةِ
— كما في بيت النابغة الذي يصف فيه النخلة ، كما روى الأصمعي وهو الحجة في اللغة ،
ولكن قد تكون رواية ابن الأعرابي أصح لأسباب : منها سهولة تصحيف (قراحية) بكلمة

(١) عرض حكومة المملكة العربية السعودية : ١ — ٣١ .

(٢) أصبح اسم العين يطلق على الواحة كلها .

(بزاخية) ومنها عدم شهرة موضع في البحرين اسمه (بزاخ) أو (بزاخة) مع شهرة (قراح) ومنها أن بزاخة — وهي موضع لا يزال معروفاً بقرب مدينة حائل^(١) — ليس معروفاً بالنخل . ومنها أن هناك من علماء اللغة من روى البيت على ما رواه ابن الأعرابي — كما في «معجم البلدان» لياقوت — في رسم قراح . وقال : إنه سيف القطيف .

البطالية :

بفتح الموحدة والطاء المهملة مشددة بعدها ألف فلام مكسورة فثناة تحتية مشددة فهاء . من القرى المشهورة في الأحساء . قال في «تاريخ الأحساء»^(٢) : نسبة إلى ابن بطل ، أحد رجال العيونيين الذين ملكوا الأحساء في آخر القرن الخامس ، وهي قريبة من مدينة هجر الموجودة في عهد الفتح الإسلامي ، زمن مدينة الأحساء التي اختطها أبو سعيد القرطبي سنة سبع عشرة وثلاث مئة . انتهى .

وعدها الشيخ ابن عبد القادر من قرى المبرز ، وقال^(٣) مالك بن بطل ابن مالك بن إبراهيم العيوني ، إليه تنسب قرية البطالية في الأحساء . انتهى .

وفي «دليل الخليج»^(٤) : أنها تقع على مسافة ثلاثة أميال من المبرز ، وأن فيها ٣٢٥ منزلاً (هذا قبل ٨٠ عاماً) .

وأما تروي من عيني الحارة والجوهرية وبحاري المياه عالية ، ويمكن أن تُملأ بسهولة . انتهى .

وقد زرتها في ١٩—١١—١٣٥٨ هـ ثم في ٢٩ رجب سنة ١٣٥٩ هـ فأتضح لي أن القرية أنشئت على أنقاض مدينة قديمة ، هي مدينة الأحساء التي اتخذها القرامطة قاعدة للمنطقة ، ووجدت القرية تتكون من أربعة أحياء (حارات) تفصل بينها حدائق النخيل الكثيفة ، وتقع

(١) أنظر تحديده في كتاب «شمال المملكة» .

(٢) ٤٥/١ .

(٣) ج ٢ ص ٣٨ عاشية .

(٤) في الكلام على قرى المبرز .

في أرض منخفضة تكثر فيها المياه ، وتدعى تلك الأحياء : (١) الرابية . (٢) الفريق الشرقي .
(٣) الفريق الشمالي . (٤) الفريق الجنوبي .

وفي الجهة الغربية من القرية آثار عمران قديم ، تحيط به النخيل من جميع جهاته ، في أرض مربعة تقريباً طولها نحو خمس مئة متر ، ويطلق أهل تلك الجهة على هذا المكان : (قصر قُريْط) ويدَّعون أن آثار الحمام الذي قتل فيه آخر رؤساء القرامطة لا تزال باقية في هذا المكان ، وأن مَجْرَى الماء متصل به من عين غير بعيدة عن الموقع هذا تُدعى (القُحَيَّات) وتنتشر آثار العمران القديم بين هذا المكان وبين أحياء قرية البُطْلانية ، من مساجد ، وأساسات أبنية وغيرها ، مما يؤكد صحة قول أهل هذه القرية بأن جميع المكان الذي تقع فيه القرية (قصر قُريْط) وما حولها كان بلدة واحدة ، متصلة بالماني إلى عهد ليس بالبعيد .

وفي الجهة الغربية الجنوبية من آثار القصر على مقربة من تلك الآثار فيما بينها وبين عين (الجوهريّة) بحيث يسمع المرء هدير مائها ، يوجد مكان يطلق عليه أهل تلك الجهة (المسجد الجامع) وبعضهم يسميه (مسجد قُريْط) لقربه من موقع القصر المنسوب إلى قُريْط . ومساحة موقع هذا المسجد واحد وتسعون ذراعاً عرضاً وتسعون ذراعاً طولاً ، وفي جهته الغربية رواقان أساطينها قائمة ، وبعض الجدار الغربي لا يزال قائماً .

وهذا المسجد لا محراب له ، وفي جداره القبلي مَشْكَاَتَان (كُوتَان) ضيقتان ، وارتفاعها عن الأرض قليل وشكل بناء الأساطين متفاوت ، مما يدل على أن بناءها كان في فترات مختلفة .

وأهل القرية يختلفون إلى هذا المسجد كثيراً ، وقد أحاطوه بمحار من جميع جهاته خوفاً من أن يقطع في ملكه أحد أصحاب النخيل المحيطة به من كل الجهات .
وقد رُمِّم جانبه القبلي في ذي القعدة سنة ١٣٥٤ .

هذا ما كتبه عما شاهدت في هذه القرية سنة ١٣٥٨ .

ثُمَّ لَمَّا زُرْتُهَا فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٣٩٨ — أَي بَعْد أَرْبَعِينَ سَنَةً — وَجَدْتُ آثَارَ الْقَصْرِ قَدْ زَالَتْ ، وَقَدْ أُنْشِئَتْ وَزَارَةُ الْمَعَارِفِ هُنَاكَ مَدْرَسَةً كَبِيرَةً ، شَمِلَتْ مَسَاحَةً وَاسِعَةً مِنْ

المواضع الأثرية هناك .

كما أُنْشِئَتْ دور ومنازل حديثة في كلِّ نواحي القرية ، طَمَسَتِ المعالمُ الْقَدِيمَةَ الَّتِي كَانَتْ مِنْ
آثَارِ مَدِينَةِ الْأَحْصَاءِ الْمَتَدَّةِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْقَرْيَةِ ، فِي مَسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بَحِثْ تَكُونُ
عَيْنَ (الْجَوْهَرِيَّةِ) وَسَطَهَا ، وَقَدْ أَصْبَحَ مَوْقِعُ الْمَدِينَةِ نَخِيلًا .

وورد اسم البطالية في المؤلفات الحديثة ، ففي سنة ١٢٠٨ سار الإمام سعود بجنوده إلى
البطالية فقتل من أهلها جماعة ، وذلك حين قتل أهل الأحساء أميرهم المعين من قبل الإمام
سعود ، ونقضوا العهد^(١) .

وجاء وصفها في كتاب «دليل الخليج»^(٢) — قبل تسعين عاماً بأنها على مسافة ثلاثة أميال
شرق المبرز ، وأن فيها ٣٢٥ منزلاً ، وسكانها شيعة ، ونخيلها تُسْقَى مِنْ عَيْنِي الْجَوْهَرِيَّةِ وَالْحَارَّةِ .
انتهى .

وقد شملها — ما عمَّ غيرها من قرى المملكة — من العمران ، فتغيرت عما كانت عليه .

البَطْنُ :

على اسم البطن المقابل للظَّهْر — قال : قال جرير^(٣) :

حَيَّ الْمَنَازِلَ بِالْأَجْرَاعِ غَيْرَهَا مَرُّ السِّنِينَ وَأَبَادُ وَأَبَادُ
إِذِ النَّقِيعَةِ مُحَضَّرٌ مَذَانِبُهَا وَإِذْ لَنَا بِشِبَاكِ الْبَطْنِ رَوَادُ
وفي الهامش بالأجراع أيضاً — كما في أحد النسخ .

وشباك موضع . البطن : موضع .

وفي «معجم البلدان» : النقيعة خبراء بين بلاد بني سُلَيْطَ^(٤) وضبة .

(١) «تاريخ الأحساء» ١٠ — ١٣٤ .

(٢) القسم الجغرافي — ٩٨١ .

(٣) ديوانه : ٧٢٥ .

(٤) بنو سُلَيْطَ من بني يربوع من تميم .

قال جرير :

خَلِيلِي هِنَجَا عَبْرَةً وَقَفَا بِنَا عَلَى مَنَزِلٍ بَيْنَ السَّقِيَةِ وَالْحَبْلِ
وعبر صاحب «المناسك»^(١) بكلمة (البطن) عن وادي فلج ، ولعله يقصد بطن الوادي
لأنه ذكر الكلمة بعد كلام جاء فيه : كان من وراء الحضر — يقصد لمن كان في العراق —
منازل للرب قديمة في بطن فلج ومياها عذبة . إلى أن قال : وكان في البطن من وراء ماوية
عند أتواء الوادي — وذلك الموضع يُسمى العوصاء لِأَتَوَائِهِ — الرقنان . وقال أيضاً^(٢) : كان
أبو جعفر حفر بئراً قريباً من رُوَيْة ، وهي فيما بين الشَّجِيّ والحَرْجَاء ، عن يسار المُصْعِلِ في
البطن ، في السَّنْدِ مما يلي الصَّمَان . انتهى المقصود منه ويظهر أنه قصد الصفة التي هي وصف
ذلك الموضع ، وليس علماً لوادي فلج المعروف الآن باسم (الباطن) وإن كان بعض الأخوة
الباحثين يرى أن الوادي كان يسمى البطن أخذاً مما تقدم ومثل قول صاحب «المناسك» قول
الراجز :

الله نَجَّاك من القَصِيمِ
وبَطْنِ فُلَج وبَنِي تَعِيمِ

أمَّا البطنُ الوارد في شعر جرير فهو على ما يظهر من إضافة الشبَّاك إليه يقع شمال وادي فلج
بمسافات ، وأنه ما يعرف الآن باسم (البطن) .

والبطن هذا أرض واسعة منخفضة . تمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي . متاخمة
للمرتفعات الواقعة غرب الوقبا الممتدة إلى نصاب قَرْحَا فالْمَعَائِيَّة ، ممتدة أرض البطن بامتداد
هذه المرتفعات ، ولكنها منخفضة ، ويحف بجوانبها الجنوبية مرتفعات تُدعى ظهرة البطن أما
من الشمال فتحفُّ بها الْحَجَرَةُ . ومن الغرب صحراء الصَّحْن . ومن الغرب أيضاً وادي حسم
(حسب) والمنخفضات الواقعة غرب المعائِيَّة .

وفي البطن مياه كثيرة ، منها الشُّبْرَم والجل وعثامين ، وتقايد وشراف ، والسكر والشبكة
والشبَّاك وعيَّدها واللعاة^(٣) .

(١) : ٥٧٠ .

(٢) : ٦١٤ .

(٣) قد حددت أكثر هذه المواضع في «شمال المملكة» ولم أحدد البطن لوقوعه داخل الحدود العراقية .

والبطن متصل بالحجرة ومياها مختلطة ، ويخترق طريق الحج العراقي القديم صحراء البطن من الجميمة الواقعة بقرب بلدة رفحا شرقها فالعقبة فعتامين فواقصة ، فشراف ، وأكثر صحراء البطن واقعة شمال المملكة داخل الحدود العراقية .

(تقع صحراء البطن بين خطي الطول ٤٣—٤٥ و ٤٥—٤٥ وبين خطي العرض ٣٠—٣٩ و ٣٩—٤٠) والبطن هذا متصل من الغرب بما يعرف قديماً بِحَزْنِ بَنِي يَرْبُوع ، والشباك من مياهم^(١) .

بَطْنُ السَّر :

في «معجم البلدان» : بطن السَّر واد بين هَجَر ونجد ، كان لهم فيه يوم ، قال جرير :
اسْتَقْبَلَ الْحَيُّ بَطْنَ السَّرِّ أَمْ عَسَفُوا فَالْقَلْبُ فِيهِمْ رَهِيْنٌ أَتَيْنَا انْصَرَفُوا
السَّر من الأسماء التي تُطلق على مواضع كثيرة . وستأتي تسمية الكلام في موضعها .

البَطْن :

بالفتح وكسر الطاء المهملة — : أرض واسعة منخفضة . تقع جنوب الظفرة وشرقها ، بينها وبين الكِدْن .

والجانب الشمالي من البطن يُدعى الجِواء والبطنة ، وتكثر المياه في الجِواء ، وهو من بلاد المناصير .

البُعَال :

بفتح الباء والعين المهملة بعدها ألف فلام — : جبل يقع جنوب نُقَيْر ، وشمال مشاش (أبو حَذْرِيَّة) يرتفع عن سطح البحر نحو ١٤٢ متراً .

وهذا هو الذي ذكره ياقوت بقوله : وقال العُمَرَانِيُّ : هو بُعَال بوزن غُرَاب موضع

(١) أنظر عن الشباك «شمال المملكة» : ١٤١٥/٧٠٣ .

بِالْقُصَيَّةِ ، وَأَنْشَدَ :

وَيَسْأَلُ الْبَعَالُ أَنْ يَمُوجَا

ونقل صاحب اللسان عن ابن عَبَّاد أنه جبل بِالْقُصَيَّةِ وسبأني في الْقُصَيَّةِ أنها قرية المعجاء وأنها بِقُرْبِ نُقَيْرِ .

وهناك موضع ورد في شعر كثير ، يقع في تهامة ، بقرب الأبواء وعسفان .

الْبَعْجَاءُ :

اسم آبار حفرها جعفر بن سليمان — في القرن الثالث الهجري — في الخرجاء الواقعة على طريق الحج البصري ، شرقي الحَفَرِ . وهي غير معروفة الآن .

بَعْجَاءُ :

بفتح الباء وإسكان العين المهملة — والعامة يفتحونها مع إسكان الباء — وبالجمم مفتوحة بعدها ألف ممدودة — : ماء يقع شرقي البَجَنِّ على ساحل البحر جنوب قطر ، في منتصف المنحدر الشرقي للمجن ، عند انحداره نحو شاطئ الخليج ، تقع آبار بعجاء والسلع . أما بعجاء فهي مبطنة بالحجارة فيها ماء مقبول ، يتردد عليها المناصير كثيراً .

وأما السلع ، التي تبعد قليلاً إلى الجنوب ، فيستعملها أيضاً المناصير لإبلهم ، غير أنهم يفضلون استعمال مياه بعجاء لأنفسهم ^(١) .

بُعَيْجُ :

بضم الباء وفتح العين المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة فجيم — : ماء يقع غرب جنوب رأس سلوة ، غرب السُّكَّك ، يحف به من الشمال جالٌ يدعى جال بُعَيْج ، يمتد شرقاً شاملياً إلى قرب سلوة ، ويسمى خَشَم بُعَيْج أيضاً — يُشاهد على بُعدٍ من الطريق المتجه من الأحساء إلى

(١) «عرض حكومة المملكة العربية السعودية لقضية البرعي» : ١٦-١ .

سَلَوَة ، قرب الوصول إلى الجافورة .

بَقَر :

على اسم الحيوان المعروف .

قال ذو الرُّمَّة — يَصِفُ غَزَالاً^(١) :

تَنِي الطَّوَارِفَ عَنْهُ دِعْصَتَا بَقَرٍ وَيَافِعُ مِنْ فِرْنَدَادَيْنِ مَلْمُومٍ
تَنِي : تطرد . دِعْصَتَا بَقَرٍ : رَمَلَتَانِ فِي شِقِّ الدِّهْنَاءِ ، يقال لَهَا دِعْصَتَا بَقَرٍ — أَي تَحْجَبَانِ
عَنْ هَذَا الظَّهِ الْأَبْصَارِ .

ويَافِعُ : كَتَبَ مَشْرَفَ . مِنْ فِرْنَدَادَيْنِ وَهِيَ حَبْلَانِ مِنَ الرَّمْلِ . يقال لَهَا فِرْنَدَادَانِ . قال :
وَبِالْفِرْنَدَادِ لَهُ أَمْطِي .

قال أبو عمرو : وَالْأَمْطِيُّ : شَجِيرَةٌ خَضْرَاءُ غَيْرَاءُ لَهَا كَبْنٌ ، فَيَجْمَسُ فَيَصِيرُ صَمَغًا عَرِيًّا .
إِنْتَهَى مِنْ شَرْحِ «دِيوانِ ذِي الرُّمَّةِ» .

ويُظْهِرُ أَنَّ دِعْصَتِي بَقَرٍ مِنْ أَنْفَاءِ الدِّهْنَاءِ الْوَاقِعَةِ غَرْبَ حُزُوءَا غَيْرِ بَعِيدَةٍ عَنْهَا ، إِذْ قَرْنَ ذَكَرَهُمَا
بِالْفِرْنَدَادَيْنِ اللَّذَيْنِ سَبَّأَنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا .

وَالدِّعْصُ هُوَ الْكَثِيبُ الْمُرْتَفِعُ ، وَقَدْ أَبْدَلَتْ الْعَامَّةُ الدَّالَ طَاءً وَالصَّادَ سِينًا (الطُّغْسُ) .

بَقَّة :

بفتح الباء الموحدة والقاف مشددة وآخره هاء .

من قرى بَقِيَّتِي ، فِي الْمُنْطَقَةِ الشَّرْقِيَّةِ .

ويلاحظ أَنَّ الْأَسْمَ يُطْلَقُ عَلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فِي جِهَاتِ الْعِرَاقِ ، بِقَرْبِ الْحِيرَةِ ، وَفِيهِ وَرَدَ
الْمَثَلُ : (بِقَقَّةٍ خَلَفَتْ الرَّأْيَ) .

(١) : ٣٨٧ .

واسم بقّة يُوحي بقدمه .

بَقِيَّةُ :

بضم الباء وبفتحة الهمزة — أولاهما مفتوحة بعدها ياء تحنية ساكنة — ويكتب الاسم خطأ (ابقين) بإسكان الباء على عادة العامة — وتأثر بذلك الإفرنج فكتبوه (ABQAIC) — كان الاسم يطلق على منهل ولكن بعد العثور على النفط في هذه الجهات ، كان الحقل القريب من هذا المنهل من أعظم الحقول ، فصار الاسم يطلق عليه وعلى ما قرّبه ، وشمل منطقة واسعة مما كان يعرف قديماً باسم البيضاء ، ثم أنشئت فيه بلدة ازدهر عمرانها ، حتى أصبحت مدينة وفيها إمارة من إمارات المنطقة يُضاف إليها قرى ومناهل للبادية .

البَكَراتُ :

— جمعُ بَكَرةٍ —

عدها الهمداني من بلاد البحرين^(١) — كما تقدم في الكلام على الأطيط واستشهد بقول امرئ القيس ، والواقع أن قوله ينطبق على البكرات الواقعة في عالية نجد ، التي لا تزال معروفة .

وهناك بكرات أخرى تقع في أسفل الوشم ، وثالثة تقع بمنطقة حائل^(٢) .

والغريب أن الهمداني نفسه ذكر البكرات الواقعة شرقي الوشم وحدد موقعها في كتابه^(٣) .

كما ذكر البكرات الواقعة في عالية نجد ، وحدد موقعها تحديداً صائباً^(٤) :

(١) « صفة جزيرة العرب » : ٣٩٠ .

(٢) أنظر « شمال المملكة » ص ٢٢٣ .

(٣) « صفة جزيرة العرب » ٢٨٥ .

(٤) ص ٢٨٩ .

ولكنه نسي كل هذا عندما أورد قول امرئ القيس الذي ذكر فيه البكرات الأخيرة ، فقال : إنها في بلاد البحرين ، ولا شك أن هذا خطأ ، فكلام امرئ القيس لا ينطبق إلا على البكرات الواقعة في أعلى نجد لأنه قرن ذكرها بموضع قريبة منها .

البَلَّاقِي :

في «معجم البلدان» : البلاق بالفتح والثاء المكسورة مثناة وقاف — : موضع في بلاد بني سعد . قال مالك بن نويرة ، وكان قد سابق بفرس له يقال له نصاب ، وكان سباقه في هذا الموضع فقال :

جَلَا عَنْ وَجْهِهِ الْأَقْرَبِينَ غُبَارُهُ نَصَابُ غَدَاةِ النَّفْعِ نَفَعَ الْبَلَّاقِي
وتقدم خبر مسابقة ابن نويرة بني سعد حين نزل على بناء مما يفهم منه قرب البلاق هذا الموضع من بناء ، الواقع في السَّتَارَيْنِ حسب تحديد الأزهرى . والستاران يعرفان باسم وادي المياه في هذا العهد .

بُلْبُولُ :

بضم الموحَّدتين بينهما لام فواو ساكنة فلام أيضاً . قال في «معجم ما استعجم» : بُلْبُولُ موضع من شقِّ الْبَحْرَيْنِ ، قال الْمُخْبِلُ :

غَشِيَتْ لِلْبَلَى دَمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بُلْبُولَ فَأَلْأَجْرَاعُ أَجْرَاعُ تَوَامٍ

وقال جرير :

تَبِيْعَةٌ هَمَشًا قَالَتْ لِنُسُوْنِهَا : يَا لَيْتَ لِيْلَتِمَ أُبْرَأَ مِثْلَ بُلْبُولٍ

بُلْبُولُ : جبل بالبطن بين الكُرْمَةِ والدَّهْنَاءِ وَالْهَمْشُ : خَلَطُ الْحَدِيثِ ^(١)

وأورد له صاحب «تاج العروس» :

(١) «ديوان جرير» : ٧٥ .

يا طال ما عَارَصَهَا بُلْبُولٌ وَهِيَ تَسْرُولُ وَهِيَ مَا يَسْرُولُ
وفي كتاب «صفة جزيرة العرب»^(١) في الكلام على الوشم : وأشيقر والشفراء وهما لبني
تميم ، وبُلْبُول وفيه يقول عارة حيث دَفَنَ ابْنُهُ :

سَقَى اللَّهَ بُلْبُولًا وَجَرَءَاءَهُ الَّتِي أَقَامَ بِهَا ابْنِي مَصِيفًا وَمَرْبَعًا
كَأَنَّ لَمْ أَذْذُ يَوْمًا بِرَجْمَةٍ مِنْ حَمِيٍّ^(٢) عَدَوًا وَلَمْ أَدْفَعْ بِوِ الضِّيمِ مَدْفَعًا

وفي «معجم البلدان» : بُلْبُول : جبل بالوشم من أرض البجامة عن ابن السكيت ، وفيه
روضة ذُكِرَتْ في الرياض ، وقال الحَفْصِيُّ : بُلْبُولُ جَبَل . وقال أبو زياد : بُلْبُولُ جَبَلُ بِالْبِجَامَةِ
في بلاد بني تميم .

ويوم بُلْبُول من أيام العرب .

قال الثَّمَرِيُّ :

سَخَرْتُ مِنِّي الَّتِي لَوِ عَيْبُهَا لَمْ تَعُدْ تَسْخَرُ بَعْدِي بِرَجُلٍ
لَوِ رَأَيْتَنِي غَادِيًا فِي صُورَتِي بَيْنَ بُلْبُولٍ فَحَزَمِ الْمُتَنَقِّلُ
بِنَفْضِ الْفُذْرَةِ لِي ذُو مِيعَةٍ سَلَسِ الْمَجْدَلُ كَالذُّبِّ الْأَزَلِ

وفي «معجم البلدان» أيضاً : روضة بلبول : جبل بالوشم من أرض البجامة . قال أعشى
بَاهِلَةَ :

كَأَنَّ بَقَايَاهُمْ صَبِيحَةٌ غِيْهِمْ^(٣) بِرَوْضَةِ بُلْبُولٍ نَعَامٌ مُشَرَّدٌ

وفيه أيضاً : الْمُجَزَّلُ : جَبَلٌ أَوْ رَوْضَةٌ بِالْبِجَامَةِ ، وَتَمَّ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ بُلْبُولُ . انتهى وهذا
نصُّ كلامِ نَصْرِ في كتابه^(٣) .

ويظهر من أقوال المتقدمين أن اسم بلبول يطلق على :

(١) ص ٣١٠ (مشورات دار البجامة) .

(٢) لعل الصواب (مزحماً) .

(٣) الورقة : ١٣٤ .

١ — موضع البحرين (المنطقة الشرقية) لا يزال معروفاً ، يقع شمال منطقة الجبيل ، بينها وبين رأس المشعاب ، والاسم يطلق الآن على منطقة فيها رأس من البر داخل في البحر يُدعى بُلْبُول ، سيأتي ذكرها ، وكان لِبْلُول هذا أزمان الغوص على اللؤلؤ شأن ، بحيث كانت تُقام فيه سوق ، وكان مُتَجِعاً للبادية . ويقع جبل مُنَيِّفَة على جانبه الشرقي الجنوبي . ويظهر أن بُلْبُولاً هذا هو الوارد في شعر الخليل السعدي لأنه يقع في بلاد بني سعد في منطقة السود ، على ساحل البحر ، بمقابلة جزيرة (أبو علي) وله خور واسع غزير الماء ، ولهذا كانت سفن الغوص الكبيرة تُرسو فيه ، وبقره مياه يردّها الناس ، ولكنها ليست عذبة .

وفي خبر غزوة علي باشا الكرجي للأحساء في رجب سنة ١٢١٢ أقام في بلبول لأن السفن كانت تنقل له من البصرة وغيرها إلى ساحل بلبول ما يحتاج إليه ، وقد جاء ذكر بلبول في كتاب «لمع الشهاب»^(١) بهذه المناسبة بأنه جزيرة بقرب الكويت من جانب الجنوب على ثلاثة أو أربعة أيام من طريق البر ، ولكن هي لها مقطع من الجزر ، ويمكن ذهاب الدواب إليها والناس مشاة وركباناً ، وفيها ماء معهود كثير جداً وهي مما يلي القطيف من جانب الشمال على ستة أيام أو سبعة أيام ، ثم ذكر السفن التي تنقل ما يحتاج الباشا إلى بلبول وإلى البحرين وإلى العجير^(٢) ، وأن الباشا أقام في بلبول عشرة أيام أو أكثر .

وذكر أيضاً أن الباشا لما رجع من الأحساء بعد عجزه عن الاستيلاء على (الكويت) أقام في بلبول ، وأن بعض أهل الأحساء هربوا إلى جزيرة بلبول عند رجوع الباشا منهزماً . وكرر القول بأنها جزيرة — كما سيأتي في الكلام على العدان^(٣) — وقد أراد حاكم الكويت الشيخ سالم الصباح بناء قصر بقرب هذا الموضع ، فحدثت معركة عرفت بوقعة حمض سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠م) بينه وبين مُطَيّر وغيرهم من الإخوان .

٢ — وبُلْبُولُ أيضاً جبل في الوشم كما في كلام الهمداني ونصر الاسكندردي وياقوت . أما الوارد في قول عمارة فكللام الهمداني صريح بأنه في الوشم وتلك بلاد عمارة على ما قال

(١) ١٣٠ (طبعة دار الملك عبد العزيز) في الرياض .

(٢) يقصد العقير .

(٣) : ١٢٦ .

ابن أبي خَصَصَةَ فِي هِجَاثِهِ

وَأَبْنُ الْمَرْاعِبَةِ حَاسٍ أَغْيَارُهُ بِالْوَشْمِ مَنْزِلَةَ الذَّلِيلِ الصَّاعِرِ^(١)

ولكن لا يعرف الآن في الوشم جبل بهذا الاسم . وقد يكون مُسَمًى الوشم — قديماً — يمتدُّ إلى جبل بلبول الواقع شرق الفقه (سُدَيْر) أو أن بعض المتقدمين خلط بين الموضعين ويحدث هذا عند تحديد المواضع كثيراً .

٣ — جبل في غربيِّ العَرَمَةِ يَدُو من بُعدٍ بارزاً للمُتَّجِه إلى سُدَيْر من الرياض من الطريق المارَّ ببلدة ملهم ، يشاهده المرءُ حين يُقْبِل على وادي العتَّك .

وهذا هو الذي بقرب المَجَزَل ، الوارد في كلام صاحب «معجم البلدان» . وليس في الوشم ، بل في شرقي منطقة سُدَيْر (الفقه قديماً) في جهة مُجَزَل ، وهو الذي بين الكرمة والدنهاء ، إذ الكرمة آخر حدِّ الهامة للمُتَّجِه إلى البصرة ، وهي في الفقه وتلك بلاد تيم الذين مهاجم جرير ، ومن بلادهم^(٢) في الكرمة الخيسُ والخطامة وحرمة وهو الوارد في قول جرير أيضاً : (قد طال ما عارضها بلبول) لأن المُتَّجِه من الهامة نحو البصرة يأشيه هذا الجبل مسافة طويلة .

٤ — أما الوارد في شعري التَّمِيرِيِّ وَأَعْنَى بَاهِلَةَ فيظهر أنه ليس واحداً من الثلاثة المتقدم ذكرها ، لبعد بلاد الشاعرين عنها ، وليس من المستبعد أن يكون في بلاد الشعرين — وهي متجاوزة — موضع رابع يسمى بلبولاً .

البُلُوقة :

بفتح الباء وضم اللام مشددة بعدها واو ساكنة ففاف مفتوحة فهاء — في «تاج العروس» : البُلُوقة المفازة ، والأرض المستوية اللينة أو الرملة التي لا تنبت إلا الرُحَامَى ، والثَّيْرَانُ تَوَلَّعَ بِهِ وَتَغَفَّرَ أَصُولُهُ فَتَأْكُلُ عُرُوقًا فِيهِ .

(١) تجني هذا الشاعر على هذا البلد الطيب ، وهو منزل ذوي عز وفضل ، ولكن الشعراء كما وصفهم الله عز وجل من أهل الكذب إلا من استثنى .

(٢) كتاب «بلاد العرب» ٢٥٣ — ٢٥٥ — ٢٥٧ .

قال ذو الرُّمَّة يصف ثوراً :

يَرُودُ الرُّخَامَى لَا يَرَى مُسْتَرَادَهُ بِبَلُوقَةٍ إِلَّا كَبِيرَ الْمَحَاوِرِ

ورد الاسم بلفظ الجمع في قول الفرزدق^(١) يذكر امرأة من البراجم تزوجت خُزاعياً :

قَرُبَ رِبِيعٍ بِالْبَلَالِقِ قَدْ رَعَتْ بِمُسْتَنْزِ أَغْيَاثٍ بُعَاقٍ ذُكُورُهَا

وفي «معجم البلدان» : بلوقة — بسكون الواو وقاف — قيل : أرض تسكنها الجن .

قال أبو الفتح : بلوقة ناحية فوق كاظمة ، قريبة من البحر ، وهو يقصد نصراً الاسكندري وهو نص كلامه^(٢) ثم نقل عن الحفصي : بلوقة السرى وبلوقة الزنج من نواحي البصرة .

وفي «معجم ما استعجم» : بلُوقَة بناحية البحرين فوق كاظمة .

قال عُمَارَةُ بْنُ طَارِقٍ :

فَوَرَدَتْ مِنْ أَيْمَنِ الْبَلَالِقِ حَيْثُ تَحَجَّيْ مُطَرِّقٌ بِالْفَالِقِ

مُطَرِّقٌ : واد . والفالق : مسيل ماء هناك وقال أبو بكر^(٣) : بلُوقٌ : موضع لا ينبت شيئاً ، تزعم العرب أنه من بلاد الجن . انتهى . ويظهر أن الرجز لا ينطبق على الموضع الذي في جهة كاظمة ، إذ مطرق والفالق على ما يفهم من كلام بعض المتقدمين في نواحي القصيم ، فطرقت من النجاج ، وهناك واد يدعى الفويلق ، والاسم قد يطلق على مواضع . والبالق جمع بلُوقَة وهي صفة من صفات الأرض تنطبق على مواضع كثيرة .

وقول المتقدمين عن بلُوقَة : إنها فوق كاظمة يقصدون في الأعم الأغلب لمن كان في العراق ، فهي على هذا دُونَ كاظمة في نواحي منطقة الكويت .

(١) : ٢٥٦ البلالق : فجوات الرمل تنبت الرخامي وغيرها الواحدة بلوقة .

(٢) كتاب نصر الورقة ٢٣ .

(٣) يقصد ابن دريد في كتاب «الجمهرة» .

بني مَعْنُ :

ويقال : قرية بني مَعْن — مضافة إلى الاسم المعروف بالميم والعين المهملة والنون : من قرى
المفوف ، في واحة الحساء ، وأغرب صاحب «تاريخ الأحساء» حين قال (١) : (نسبت إلى
بطن من حمير سكنوها في القديم فسميت بهم ، انتهى وما أرى هذا صحيحاً ما لم يثبت ذلك
نصاً تاريخياً قديماً ، وهي واقعة وسط النخيل بجانب مجرى عين الأخدود ، وفيها عين تدعى
الرَّعَابِلَة ، عذبة الماء وتبعد عن المفوف مسيرة نصف ساعة مشياً على القدم . في الجهة
الشرقية ، وحرف اسمها في كتاب «دليل الخليج» إلى (بني نعم) .

بني نَحْو :

بالنون بعدها حاء مهملة فواو — ورد هذا الاسم في كتاب «دليل الخليج» في ذكر قرى
المفوف باعتباره قرية تقع على مسافة ميل شرقي المفوف بقرب الطريق إلى الجشة ، فيها عشرون
مترلاً للشيعه ، وقليل من النخيل ، وكثير من العيون مثل حقل أم اللّيف ، وقصبيّة ،
واللّويحي ، وعين برابري جنوبها وعين منصور في الشرق منها . هذا ملخص ما جاء في الكتاب
المذكور ، وقد أوشكت هذه القرية الآن على الزوال بسبب تغير وسائل الري وضعف ماء
العيون .

بنيانُ :

بضم الباء وفتح النون وفتح المثناة التحتية مشددة بعدها ألف فتون — : ماء يقع في الطرف
الشمالي من سبخة قنور ، بمنطقة وادي المياه (الستار قديماً) حدثت فيه وقعة بين بني هاجر وبين
المُجمّان ، قال شاعر من بني هاجر يُدعى ابن عُقيشة — عامي — :
قُلْ لَهْ : تَرَى الْعَضْبَا تَقَفَّتْ بَيَّانُ وَمَا رَاحَ لَهْ مِنْ عِلَّةٍ جَآءَ عِلَّةُ !
العضباء قارة في الأغوار (الغوار) بينها وبين الأحساء ، حدث بقربها وقعة بين القبيلتين ،
هزّما في وقعة بَيَّان .

ومما تجب ملاحظته أن هذا الاسم قد صُحِفَ باسم (بُتْيَان) ومن الغريب أن الماعين يفعان في بلاد بني سعد ، فهذا واقع في الستارين من بلادهم ، وبتْيَانُ — بالبَاءِين الموحَّدتين وبالنونين — قرية لهم تقع في العارض شمال مدينة الرياض على مقربة منها .
وفي بلاد آلِ مَرَّة — في الجِثْيَانِ — بُتْيَان ، ويضاف إليه جَوْبٌ يُدْعَى جَوْبُ بُتْيَان .

البُوح :

بالْباءِ بعدها واو ساكنة فحاء مهملة : من مياه آل مَرَّة ، بمنطقة الدَكَاكَة ، في الرُّنَجِ الخالي .

بَوَزَع :

العين مهملة في «معجم البلدان» : اسم رملة في بلاد بني سعد بن زيد مائة بن تميم . وفي «القاموس» وشرحه : رملة معروفة من رمال بني أسد . وفي «التهذيب» و«الصحاح» و«الغُيَّاب» لبني سعد قال رؤية :
مِنْ رَمَلٍ تَرْنَا أَوْ رِمَالٍ بَوَزَعًا^(١) .

وأقول : لا يُستبعد أن تكون كلمة (أسد) تحريف (سعد) في المصدر الذي نقل عنه صاحب «تاج العروس» إذا الرمال المعروفة في بلاد بني سعد مثل رمال يبرين ورمال جنوب الدهنا بخلاف بني أسد فبلادهم ليست معروفة بالرمال . ثم إن رؤية صاحب الرجز سعدي ، وهذا مما يقوي القول بأن المراد بلاد قومه .

البَوِيرَكَةُ :

بالتصغير — من مياه وادي المياه ، جنوب ثاج ، من موارد العجمان .

(١) في «ديوان رؤية» : ٩١ .

• أعين فراد إذا تقمعا • برمل يرنا أو برمل بوزعا

الْبَيَاضُ :

ضِدُّ السَّوَادِ — يطلق هذا الاسم على مواضع :

قال ذو الرُّمَّة :

رَأَيْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْشًا سَائِفَةً الْبَيَاضِ إِلَى التَّوْحِيدِ^(١)

وجاء في «معجم البلدان» : البياض : موضع بالجمامة ، في موضع قريب من يَبْرِينَ ،
وَأَشَدُّ بَعْضُهُمْ :

أَلَمْ يَكُنْ أَخْبَرَنِي غُلَامِي
أَنَّ الْبَيَاضَ طَامِسُ الْأَعْلَامِ

وقال المهجري بعد إيراد قول الشاعر^(٢) :

فَإِنَّ الَّذِي يُسَمِّي الْبَيَاضَ مَحَلَّهُ بِحَيْثُ التَّقَتْ مِعْزَاؤُهُ وَالسَّوَائِفُ
لَمْ تُؤْتِنِ بِالْمُهْجِرِ نَأْيَ صَدِيقِهِ إِذَا لَمْ تُقَرَّبْهُ الْقِلَاصُ الدَّفَائِفُ

وقال : الْبَيَاضُ بَيْنَ يَبْرِينَ وَالْجَمَامَةِ ، بسائفة الرَّمْلِ والسائفة لَوَى الرَّمْلِ . انتهى^(٣) وهذا
يوضح مقصود ذي الرُّمَّة . وهذا البياض قد حدده الهمداني وقبلة صاحب «بلاد العرب»
الذي أضافه إلى كعب بن ربيعة . وبالح في سمته فقال : البياض صحراء لِقْشِيرٍ وجعدة ،
مسيرة عشرين يوماً ، وهو فلاة بين الفلج ويَبْرِينَ ، ليس به ماء حتى ترد يبرين انتهى مع أنه
ذكر هو والمهجري من مياهه صَدَاءُ التي يضرب بمائها المثل .

وهذا البياض لا يزال معروفاً : يحف به من الشرق ما يعرف قديماً باسم الْأَدَمَى — وتقدم
هذا — ومن الجنوب — قُفٌّ عريض يقع جنوب إقليم الخرج يُدْعَى الدَّامَ ، يمتد جنوباً هذا
القُفُّ حتى يحاذي بلاد الحوطة شرقاً فينتهي وتنسبط الأرض إلى شرق الأفلاج فما بعدها حتى

(١) ١٨١٣ والسائفة الرملة الدقيقة وعلق المحقق بما جاء في «معجم البلدان» من أن البياض موضع بالجمامة وأرض
بنجد لني كعب بن عامر بن صعصعة .

(٢) «أبو علي المهجري» : ٢٠٩ .

(٣) : ١٢٣ .

مع القراء في رسائلهم وتعليقاتهم :

يوم المنهب

جاء في كتابكم عن أبي علي الهجري^(١) : (المنهب قرية لبني سينس ، مقابلة أجا ، من بطن حایل في الغرب ، عن قيد بيومين ، بها هزم أمية بن عبدالله ، عبدالله بن عمرو بن عثمان ... ورمان عن المنهب بيوم ، ونقلتم هذا في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي»^(٢) وأضفتم قول ياقوت ومنه : (ويوم المنهب من أيام طيء المذكورة) .

وقد بحثت عن خبر هزيمة أمية ، وخبر اليوم المذكور ، فلم أر له ذكراً فيما اطّلت عليه ، وأنا أعيدُ بحثاً عن (قبيلة طيء) .

فارجو إرشادي إلى المصدر الذي يفيدني في الموضوع !

حایل — محمد الجارالله

العرب :

١ — أمية المذكور في كلام الهجري هو أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وتكرار كلمة (عبدالله) خطأ وقع في مخطوطة «نوادير الهجري» التي هي مصدر كتابنا عن الهجري .

الرمال ، وهذا المنبسط من الأرض هو البياض ، وهو خارج عن المنطقة التي نتحدث عنها في هذا القسم من «المعجم» .

وسافة البياض هي الرمال الواقعة شرقه ، المتصلة برمال الدهناء وحبالها كالوحيد وحزوا وتلك البلاد التي يعينها ذو الرمة ، فهو ذكر البياض ليوسع البلاد التي يُقصدُ منها المدوح .

محمد الجاسر

شبه جزيرة العرب

— ٢ —

[تحدث الأستاذ سعد بن جثيل — في « العرب » ص ٣٩٨ وما بعدها من السنة الرابعة عشرة — عن كتاب « شبه جزيرة العرب » — نجد — تأليف الأستاذ محمود شاكر ، وكان من الملائم مواصلة نشر حديث الأستاذ عن ذلك الكتاب غير أن أسباباً ألحقت إلى تأخير هذا القسم من نقد ذلك الكتاب] .

القصم :

قال الأستاذ محمود شاكر : هو المنطقة المحصورة بين منطقة حائل شمالاً وعالية نجد جنوباً وبين الحجاز في الغرب والنفود في الشرق .

أقول : ظاهر ان المراد بعنيزة هذه (عنيزة) المذكورة في البيت قبله .

ثم أورد المجري من قصيدة طويلة لعمران بن مكنف الحرمل من عوف بن عامر :
فلما تلاحقنا بنعف عنيزة ضحياً وقرن الشمس رخص جديدها

وفي الهامش : نعف (عنيزة) : قرن يحاذي الحفر من كشب^(١) أقول : كشب لا يزال معروفاً باسمه لم يتغير منه شيء ويقع في عالية نجد بعيداً عن القصم^(٢) .

وأنشد الجاحظ للأسدي^(٣) :

وكان أرحلنا بجو مخضب بلوى (عنيزة) من مقبل الترمس
في حيث خالطت الخزامى عرفجا يأتيك قابس اهله لم يقبس

محمد العبودي

(للبحث صلة)

(١) أبو علي المجري وأبعائه ص ٣٤٨ وتكرر هذا القول في ص ٣٦٢ .

(٢) وهو جبال وعندها حرة مشهورة تسمى «حرة كشب» يقع كشب شمالاً من المويه .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ .

قلت : هذه العبارة يلاحظ عليها أمران :

أولاً : إنه في هذه العبارة قال : إن عالية نجد تحدد بلاد القصيم من الجنوب ، وهو بهذا القول يتناقض ما رسمه على الخريطة في صفحة ٣٤ حيث رسم عالية نجد بخط كبير غرب بلاد القصيم .

ثانياً : إن عالية نجد يراد بها البلاد الموالية لمرتفعات الحجاز من نجد ، فهي تشمل المنطقة الغربية من بلاد نجد وكل غربي بلاد القصيم داخل في مُسمى العالية .
فَلَجَّة :

قال الأستاذ محمود : منهل ماء يتدفق نحو الرمة من جهة الشمال ، من بلاد حائل والحجاز . قلت : الواقع أن فلجة ليست شمال الرمة بل هي منهل يقع جنوب الرمة على طريق حاج البصرة ، بقرب منهل الدفينة فهو غرب بلدة عفيف وليس من بلاد حائل والحجاز ، وقد حدد في كتب المعاجم تحديداً واضحاً .
الشَّرْبَةُ وَشُرْبَةُ :

علق الأستاذ محمود على عبارة الأصمعي (وادي الرمة يقطع بين عدنة والشربة) فقال : الشربة ، وتسمى الآن الشربة ، وهي قرية من الدفينة أول بلاد نجد من جهة الحجاز من الجهة الجنوبية لوادي الرمة .

قلت : في هذه العبارة خلط بين الشربة وشربة وظن أنها موضع واحد ، والشربة بتشديد الشين وفتحها وتشديد الباء الموحدة وفتحها اسم لبلاد واسعة وهي ما يقع بين وادي الرمة وبين الحريب من البلاد .

أما شُرْبَةُ بضم الشين المخففة وسكون لراء وفتح الباء وتخفيفها فهي منهل يُدعى في هذا العهد شربة ، يقع غرب مدينة عفيف ، وقد ذكر محمد بن بلهث كلا الموضعين في كتابه ويبدو لي أنه نقل منه غير أنه التبس عليه الفهم في التفريق بينهما .

الحَرِيب :

قال محمود : وادٍ عظيم تجتمع إليه عدة أودية وشعاب ، ويبدأ من جنوب الطائف .

قلت : الواقع أن الحريب من أودية عالية نجد وليس من أودية الحجاز ، وتبدأ سيوله من ناحية أجلى والذئاب ، ويبعد عن مدينة عفيف غرباً ٧٥ كيلاً ، أما أسفله فإنه يدفع في بطن الرمة غرب أبانين ، فهو بعيد كل البعد عن جنوب الطائف ، فكيف يأتي من جنوب الطائف وهو غير معروف هناك ، وكل الأودية التي تدفع من ناحية الطائف لا تتجاوز سيولها صحراء ركة .

وادي الرشا :

قال الأستاذ محمود : وهو يعدّ روافد الرمة : كما كانت تصل إليه مياه وادي الرشا الذي يأتي من شمال الوشم .

قلت : الملاحظة على هذه العبارة من ناحيتين .

أولاً : إن وادي الرشا لا يأتي من شمالي الوشم ، وأودية شمالي الوشم لا يصل مياه شيء منها إلى وادي الرمة ، أمّا وادي الرشا فإنه من أودية العالية المشهورة ، وموقعه بالنسبة لبلاد الوشم في الغرب ، وسيوله تأتي من غربي ثهلان ، وتدفع فيه روافد عديدة ، وسيله يتجه صوب الشمال حافاً بجبل ثهلان من الغرب ، وهو معروف بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد ، قال الهمداني : بطن الرشاء وهو بظهر ثهلان إلى ذات النطاق .

قلت : ذات النطاق جبل معروف جنوب ثهلان تبدأ منه سيول الرشاء .

ثانياً : لا صلة له بوادي الرمة ولا تصل سيوله إليه ، فهو يبدأ من ذات النطاق ومن غربي ثهلان كما تقدم ، وبعد أن ينكب جبل ثهلان يحوز طريق السيارات المُسَفَّلَت الذي يصل بين مدينة الدوادمي ومدينة عفيف ، وقد أقيم عليه جسر لعبور الطريق ، وبعد أن يتجاوز هذا المكان يسير باتجاه شمالي شرقي حتى ينكب هضبة جبلة ثم يتجه شمالاً ويدفع في روضة الحرما وخريمان جنوب نفود الشقيقة وتستقر مياهه في هذه الروضة ، فهي منتهى سيره ومقر مياهه .

منطقة الجبل :

قال الأستاذ محمود : تمتد جبال الحجاز شمالي المدينة نحو الشمال الشرقي حتى مدينة حائل .

فتكون منطقة مرتفعة تعرف باسم منطقة الجبل أو منطقة حائل .

قلت : الواقع أن من يزور هذه البلاد يدرك أن جبالها تشكل تكويناً طبيعياً متميّزاً فإنها لا تتصل بجبال الحجاز .

عالية نجد :

قال الأستاذ محمود : هي المنطقة المرتفعة الواقعة بين اليمامة شرقاً والحجاز غرباً وبين القصيم وبلاد حائل شمالاً والحجاز واليمامة جنوباً ، وتشمل الأراضي الممتدة على جانبي طريق شقراء الطائف والمنطقة الجنوبية الغربية لها .

قلت : يتضح من مفهوم هذه العبارة أن بلاد القصيم خارجة عن مسمى نجد وقد سبق أن أوضحت تناقض آرائه في تحديد عالية نجد ، وهنا يرى أنها واقعة جنوباً من بلاد القصيم ، وهذا التحديد غير صحيح إذ بلاد القصيم من بُحْبُوحَة نجد وعالياتها من عالية نجد ، وذكر كذلك أن القصيم وحائلاً يحدها معاً من الشمال . ولا أدري كيف تصوّر مفهوم هذا القول .

وذكر كذلك أن اليمامة تحدها من الشرق ومن الجنوب أيضاً ، فأى جزء من بلاد اليمامة يحدها من الجنوب ؟

وفهم من عبارته هذه أيضاً أنه يرى أن عالية نجد لا تعدو البلاد التي تحفُّ بطريق الحجاز — الرياض المسفلت فيما بين شقراء والدوادمي ، وهذا مفهوم ضيق لا يتفق مع آراء الجغرافيين القدماء من العرب ولا ما تعارف عليه أهل نجد في هذا العهد .

وقد استوفيت بحث الموضوع في مقدمة كتابي (المعجم الجغرافي لعالية نجد) الذي صدر حديثاً^(١) .

الدوادمي :

قال الأستاذ محمود : الدوادمي وعفيف قد وجدت على الطريق الرئيسي بين اليمامة

(١) من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

والحجاز واستفادت منه في نشوئها وأعمالها التجارية فمنت نتيجة ذلك .

قلت : هذا القول صحيح فيما يخص عفيفاً ، أما بالنسبة للدوامي فهو صحيح بالنسبة لاستفادتها في تجارتها ، أما نشوؤها فانه سابق لمرور الطريق الرئيسي عليها بما يزيد على قرنين من الزمان .

مرة وسواج وشعباء والمخامر :

قال الأستاذ محمود شاكر : ونرى في المنطقة بعض المرتفعات الصغيرة التي تُكوّن جيالات صغيرة يطلق عليها اسم جبال وهي ذات صخور قديمة بارزة بعد الحث المائي والرّيحى مثل جبل (مرة) و(سواج) و(شعباء) و(المخامر) شرقي عفيف .

قلت : هذه العبارة يلاحظ عليها من عدة وجوه :

أولاً : تحريف الأسماء ، فقد ذكر إمّرة بدون همزة في أوله ، والصحيح أنّ أوله همزة معروف بهذا الاسم قديماً وما زال يعرف به ، قال ياقوت : إمّرة : بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد هاء وراءوها ، وفيه يقول الشاعر :

ألا هل إلى عيش بإمّرة الحمى وتكليم ليلي ما حيث سَيْلُ

ويعني الشاعر بالحمى حمى ضربة ، وهي من بلاد غني ويعربها طريق حاج البصرة ، ويقول الشاعر الشعبي ، مطلق بن رباح الرومي :

مالي حَسَائِفَ يَوْمَ رَاحَ أَبُو نَائِفَ حَطَّ أَمْرُهُ دُونَهُ وَأَبَانَاتُ وَسَوَاجَ

فذكره بفتح الهمزة ، وقد ذكره بعض الأقدمين بالكسر وبالفتح أيضاً .

وكذلك ذكر شعبى بالمد ، والمعروف قديماً وفي هذا العهد أنه مقصور .

قال ياقوت : شعبى : بضم أوله وفتح ثانيه ثم باء موحدة والقصر ، وقال جرير :

ستطلع من ذُرَى شُعْبَى قَوَافٍ عَلَى الْكَنْدِيِّ تَلْتَهَبُ التَّهَابَا

ويقول الشاعر الشعبي عبد العزيز المحمد القاضي :

وَسَرَّحْنَا مِنْ لَهْوَبِ شُعْبَى نِشْهَمَ النِّصَا وَحَطَّنْ طُخْفَةَ الضُّحَى الْعَالِ
وَالْعَصْرِ مَا لَنْ عَنْ سَوَاجِ وَشَرْقَنْ وَعَشْنْ خَرَّازِ وَالشَّقَقِ مَا بَعْدَ مَا لَنْ

ثانياً : الوصف لهذه الأعلام ، فقد وصفها بأنها جيالات صغيرة ، وهذا الوصف يختلف كل الاختلاف عن واقع هذه الجبال ، إذ هي من أكبر جبال نجد وأشهرها .

شُعْبَى :

سلاسل جبلية تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي آخذ بعضها برقاب بعض حافة ببلدة ضرية وبلدة مسكة من الغرب ، بعيدة ما بين الطرفين ، فسيحة ما بين الجانبين ، تبرز في وسطها قمة ذُرَيْع سامقة ، وجبال العساكر في طرفها الشمالي عالية المناكب ، وفيها مناهل وأودية وطرق ودارات مشهورة ، وقد كثرت فيها القرى والنخيل في أوديتها الداخلية . يقول ياقوت في وصفها : عن أبي زياد ، شُعْبَى : من بلاد الضُّبَاب بالحمى حمى ضرية ، وهي جبال واسعة مسيرة يوم وزيادة . وشعبي جبال منيرة متدانية ، قال بعضهم :

إذا شُعْبَى لاحت ذراها كأنها فوالج بُحْتُ أو مُجَلَّلَةٌ دُهْمُ



المَخَامِرِ وَسَوَاجِ :

المخامر هضب أحمر يتكون من عدة هضاب تمتد من الشرق الجنوبي إلى الغرب الشمالي ، وتشمل الهضاب الآتية : فرقين ، هضاب السَّبَاع ، العبيبة ، هضبة الماء ، هضبة قهييان ، هضبة وُرَيْك ، هضبة حُجَيْصَا ، ثم في النهاية جبل سواج . وفي كل هضبة منها ماء ، وقد تأسست فيها قرى بعضها لقبيلة عتيبة ، وبعضها لقبيلة حرب . وكان هذا الهضب يدعى قديماً هضب الأشيق ، وهو من أعلام حمى ضرية . وقد استوفيت تحقيق هذه المواضع في كتابي معجم العالية .

إمرة :

جبل أحمر كبير يقع شمال المخامر . فهذه الجبال التي قال عنها الأستاذ محمود إنها جيالات صغيرة ، هي في الواقع جبال واسعة وشاهقة وشهيرة في جغرافية نجد قديماً وحديثاً ، ولها ذكر

كثير في أشعار العرب وأخبارهم لا يتسع هذا التعليق لاريراد ما ورد فيها .

ثالثاً : الموقع ، والتحديد : قال الأستاذ محمود شاكِر : إنها شرقي عفيف .

قلت : الواقع أنه لا يقع شيء منها شرقي عفيف ، وإنما هي واقعة شمال عفيف نائية عنه ، ولا ينبغي تحديدها بموقع عفيف لبعدها عنه ، فهي واقعة في جنوبي غربي القصيم .

نفوذ العُريق ونفوذ كثيفة :

قال الأستاذ محمود إنها شرقي عفيف ، وذكر الأول بالكاف في آخره (العُريك) وصحته بالقاف تصغير عرق ، وذكر الثاني بالتاء المثلثة ، (كثيفة) وصحته بالتاء ، تصغير مؤنث كفف ، وهما واقعان شمالي عفيف وليس شرقه .

نفوذ الشقيقة :

قال إنه شرق الدوامي ، والواقع أنه شمال الدوامي بعيد منه ولا ينبغي تحديده بموقع الدوامي ، فهو من مواضع منطقة القصيم .

ثم تحدث عن سيول عالية نجد فقال : فقال ثم تجري السيول حسب الميل العام للجزيرة نحو الشمال الشرقي فتسير حتى ترفد وادي الرمة في القصيم مثل وادي جرير حيث يقطع الطريق العام بين شقراء والطائف قبل عفيف ، ووادي الشبرم بعدها ، ووادي داث حيث يبدأ من جبل (مرة) وجبل (سواج) شمالي الطريق العام .

و(وادي الرشا) بين عفيف و(الدوامي) ويبدأ من جبال (الحمام) و(شعباء) و(سواج) جنوبي الطريق العام ، هذا إضافة إلى أودية صغيرة لا تستطيع الوصول إلى وادي الرمة فتغيبص مياهها في الرمال .

قلت : يلاحظ على هذه العبارة من جوانب ، منها أنه ذكر (الجرير) و(الداث) غير معرفين ، وهما لا يعرفان إلا معرفين بالألف واللام ، ومنها الخطأ في تحديد الأعلام الوارد ذكرها في هذه العبارة ، ومنها الخطأ في مواقع ورؤس ومصاب الأودية .

قال : وادي جرير يقطع الطريق العام بين شقراء والطائف ، والواقع أن هذا الوادي لا

يقطعه هذا الطريق ، بل إن مجراه بعيد عن هذا الطريق صوب الشمال .

وقال : ووادي الشبرم يقطعه بعد عفيف ، أي شرق عفيف كما أوضح ذلك في الخريطة التي رسمها لهذه البلاد ، والواقع أن الطريق يقطع هذا الوادي غرب عفيف على بعد ستة وثلاثين كيلاً ، وليس شرق عفيف .

وقال : وادي داث يبدأ من جبل (مرة) (إمرة) و(جبل سواج) شمال الطريق العام : والواقع أن هذا الوادي لا يبدأ من هذه الجبال ، بل بدايته بعيدة عنها كما أن وادي الداث أيضاً بعيد عن الطريق العام ، وكذلك إمرة وسواج بعيدان منه ، داخلان في حدود بلاد القصيم .

ثم قال : و(وادي الرشاء) بين (عفيف) و(الدوادمي) ويبدأ من جبال المخامر وشعباء ، وسواج جنوبي الطريق العام . والواقع يخالف ما ذكره ، أولاً : وادي الرشاء لا يبدأ من هذه الجبال ، بل يبدأ من غربي جبل (شهران) وشرقي (الأسودة) وجبال (النير) .

ثانياً : (المخامر) ، و(شعبي) ، (سواج) ليست جنوب الطريق العام — كما يظن — بل كلها تقع شمالاً من الطريق العام ، بعيدة من الطريق ولا ينبغي تحديدها به لبعدها عنه .

وهنا يتضح مدى جهله بهذه البلاد وتناقضه فيما يكتبه ، فرة — في تحديد الداث يذكر أن جبل سواج شمال الطريق ، ومرة أخرى — في تحديد وادي الرشاء — يذكر أنه جنوب الطريق .

ثم يقول : هذا إضافة إلى أودية صغيرة لا تستطيع الوصول إلى وادي الرمة فتغيب مياهها في الرمال : وحذا لو ذكر بعض هذه الأودية أو الرمال التي تقوص فيها الأودية ، ومن الملاحظ أنه عدّ (وادي الرشاء) من الأودية التي تدفع في (وادي الرمة) والواقع أن (وادي الرشاء) لا صلة له بوادي الرمة ، بل إن سيله ينتهي ويستقر في روضة الخرماء وخريزان ، وقد سبق الحديث عنه في هذا البحث حيث ذكره فيما تقدم وقال إن سيوله تأتي من شمال الوشم ، وهذا تناقض عجيب من خطأ إلى خطأ آخر :

ثم قال : وفي الجنوب الغربي نلاحظ وادي رانية^(١) ، — وقد رسمه براء بعدها ألف —

(١) وردت في بعض المعاجم القديمة بهزة (رنة) والبعض ذكرها بدون همزة (رنية) وهو الأشهر والمعروف في هذا العهد ، أما بألف بعد الراء فغير معروف .

ووادي ييشة فبعد أن يأخذنا اتجاهها شماليا شرقيا ينحرفان نحو الجنوب الغربي ليشكلا وادي الدواسر.

قلت : هذا القول لا يصح .

أولاً : إن سيول ييشة ورنية لا تنحرف نحو الجنوب الغربي ، بل هي منحدره من الجنوب الغربي .

ثانياً : إنها في العصور المتأخرة لا تصل إلى وادي الدوسر بل تسبح في صحاري الفرشة ثم تضعف وتلاشي ، فان تلاحقت عليها السيول تسربت من صحاري الفرشة إلى قرارة المختمة فانتهت فيها لأن كثبان نفوذ عرق الدواسر نمت مع الزمن فكونت حاجزاً طبيعياً يحول بينها وبين وادي الدواسر .

حضر :

قال الأستاذ محمود : حضر جبل يقع شرقي الطائف شمال تربة بينها وبين خرمة : والواقع أن جبل حضر كبير جداً وواسع ، يجعله الذهاب من الطائف إلى الخرمة أو تربة على يمينه ، وكذلك الذهاب من الخرمة إلى تربة ، وليس بينهما ، كما ذكر أن هناك أيضاً جبلاً آخر بهذا الاسم في منطقة حائل ، وقال : وهو بين جبل شمر ونجد . وهو بهذا التحديد يعتبر جبل شمر خارجاً عن حدود نجد .

ثم ختم بحثه عن عالية نجد بذكر عدد سكانها فقال : وما يقم في عالية نجد من السكان لا يزيد على خمسين ألفاً . وهذا القول إنما يدل على جهله بعالية نجد جغرافياً وبشراً ، وأنه إنما يدون معلوماته دون ترو أو معرفة ، وبدون مبالاة بصحة ما يكتبه أو خطئه .

وقد الحق ببحثه هذا خريطة رسمها لعالية نجد بين عليها الأعلام والأودية التي تحدث عنها وقد استحسن الحاقها في هذه الملاحظات ليرى المطلع عليها مدى جهله ومدى استنائه فيما يكتبه عن هذه البلاد فهو يرى أن بلاد القصيم خارجة عن عالية نجد ويرسم عليها الأعلام والأودية حسبما يتصوره لا على خبرة سابقة بطبيعتها أو استناد على مصادر موثوقة وسيرى المطلع على هذه الخريطة الخطأ في رسم الطريق العام من شقراء إلى الطائف .

من نوادر المخطوطات في مكتبة "قونية"

[كنت زرت البلاد التركية مراراً بحثاً عن المخطوطات المتعلّقة ببلادنا ، ولما زرت من تلك البلاد مدينة قونية ، وكان أن اطلعت في مكتبها على مخطوطات قيّمة وإن لم تكن مما قصدت البحث عنه^(١) .

ومن الأخطاء البارزة في هذه الخريطة ، ما يأتي :

- ١ — طريق الرياض إلى الطائف يقطع نفود الشقيقة ، والواقع أنه يقطع نفود السرّ .
 - ٢ — هذا الطريق ينشعب منه طريق القصيم شرق النفود والصواب غربه .
 - ٣ — بلدة الشعراء وضعها شمال الطريق العام ، شمال الدوادمي ، والصواب أنها جنوب الطريق العام وغرب الدوادمي .
 - ٤ — وادي الرشاء وضعه شمال الطريق وصوابه أنه جنوب الطريق .
 - ٥ — جبال المخامر ، وجبل إمرة وجبال شعبي ، ونفود الغريق وضعها جنوب الطريق العام ، والصواب أنها شماله بعيدة منه .
 - ٦ — وادي الشبرم وضعه شرق عفيف والصواب أنه غرب عفيف .
 - ٧ — وادي المياه وضعه من روافد الحجر الغريب والصواب أنه من روافده الشرقية فهو واقع شرق عفيف . وغير ذلك أخطاء أخرى .
- فهي خريطة خاطئة وضعت بدون زور أو تثبيت .

الرياض : سعد بن عبدالله بن جنيّد

(١) تحدّثت عن مخطوطات مكّبات تلك البلاد قبل عشر سنوات — في مجلة «العرب» ، وهذا مما لم أذكره .

من نوادر المخطوطات في مكتبة "قونية"

[كنت زرت البلاد التركية مراراً بحثاً عن المخطوطات المتعلّقة ببلادنا ، ولما زرت من تلك البلاد مدينة قونية ، وكان أن اطلعت في مكتبها على مخطوطات قيّمة وإن لم تكن مما قصدت البحث عنه^(١) .

ومن الأخطاء البارزة في هذه الخريطة ، ما يأتي :

- ١ — طريق الرياض إلى الطائف يقطع نفود الشقيقة ، والواقع أنه يقطع نفود السرّ .
 - ٢ — هذا الطريق ينشعب منه طريق القصيم شرق النفود والصواب غربه .
 - ٣ — بلدة الشعراء وضعها شمال الطريق العام ، شمال الدوادمي ، والصواب أنها جنوب الطريق العام وغرب الدوادمي .
 - ٤ — وادي الرشاء وضعه شمال الطريق وصوابه أنه جنوب الطريق .
 - ٥ — جبال المخامر ، وجبل إمرة وجبال شعبي ، ونفود الغريق وضعها جنوب الطريق العام ، والصواب أنها شماله بعيدة منه .
 - ٦ — وادي الشبرم وضعه شرق عفيف والصواب أنه غرب عفيف .
 - ٧ — وادي المياه وضعه من روافد الحجر الغريب والصواب أنه من روافده الشرقية فهو واقع شرق عفيف . وغير ذلك أخطاء أخرى .
- فهي خريطة خاطئة وضعت بدون زور أو تثبت .

الرياض : سعد بن عبدالله بن جنيّد

(١) تحدّثت عن مخطوطات مكّبات تلك البلاد قبل عشر سنوات — في مجلة «العرب» ، وهذا مما لم أذكره .

في مدينة قونية :

في هذه المدينة مكتبتان تحويان مخطوطات كثيرة ، رغبت في الاطلاع على ما يتيسر لي الاطلاع عليه منها .

فتوجهت في صباح يوم الثلاثاء (١٠/٥/١٩٦٥ م) من (اصطنبول) إلى (أنقرة) في حافلة ، والأجرة عشرون ليرة تركية ، فبلغتها الساعة السادسة مساء ، والمسافة (٤٥٠) كيلاً ومنها واصلت السير إلى (قونية) فكان الوصول إليها الساعة العاشرة والنصف — أي بعد سير أربع ساعات في حافلة والأجرة عشر ليرات ، والسكن في فندق يدعى (بشكابلس) .

ومدينة (قونية) من أجمل المدن التركية ، وأبهجها في النفس ، غير أنني أحسست حين حلتها بالوحدة ، لأنها كما يقول المتنبي : في وصف شُعْبَرِ بَوَّانٍ :

ولكنّ الفتى العربي فيه غريب الوجه واليد واللسان
فإلى ما أتيت هنا من أجله !

ومن المخطوطات التي اطلعت عليها في (مكتبة يوسف آغا) في مدينة (قونية) وقد زرتها يوم الأربعاء (١٠/٦/١٩٦٥ م) ومجموع مخطوطاتها (٥٧٠٣) :

١ — كتاب «المقصور والممدود» رقمه في المكتبة ٢٥٤ (٤٣٦٥) وهو مجموع بحوي :

المقصور والممدود — لابن ولّاد المتوفى سنة ٣٣٢ هـ ، ويقع في ١٨٩ ورقة في ٤٧٨ صفحة وفي الصفحة ١٦ سطراً — جاء في الصفحة الأولى : (على حروف المعجم ، ليقرب وجود الحرف على طالبه ويسهل تقطيع في الورقة) من موضعه ، وابتدأته في هذا الكتاب بما كان متفرقاً مشوّراً مما لا حد له بحصره) .

وفي الورقة ١٨٩ : (هذا آخر الكتاب ، وفرغ منه الحسن بن علي السعلي في شعبان ست وثمانين وثلاثمائة ، وتَمَّتْ المقابلة ، والحمد لله كثيراً) .

الورقة ١٩٠ : (وفرغت من قراءتي هذا الكتاب على أبي الحسين علي بن أحمد بن جعفر بن محمد المهلب في رجب من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

قال أبو الحسين المهلي : إن أبا العباس بن ولاد — رحمه الله — صنف هذا الكتاب في سنة ثلاث وثلاثمائة ، وهو قبل مولد أبي الحسين بسنة .

٢ — كتاب المذكر والمؤنث :

تأليف أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني .

في [١٩١ب] : (قال أبو حاتم : الفصاحة زينة ومروءة : ترفع الحامل ، وتزيد النبيه نباهة ، ويقال : المرء مخبوء تحت لسانه ، يعني إذا نطق فأحسن وأفصح عظم في العين ، وإن كان رثاً الهيئته ، تقتحم العين مرأته ، وإن آثت المذكر وذكر المؤنث وجعل الضاد ظاء ، والظاء ضاداً اقتحمته العين وإن كان بهي المنظر والملبس ، ويقال أيضاً : المرء بأصغريه لسانه وقواده . وقال الأعور الشني :

لسان الفتى نصف ونصف قواده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم — (الورقة ١٩٢) — وكائن ترى من معجب لك شخصه

زيادته أو نقصه في التكلم

وأول الفصاحة معرفة التانيث والتذكير في الأسماء والأفعال والنعت ، قياساً وحكاية .

ومعرفة التذكير والتانيث ألزم من معرفة الإعراب ، وكلتاها لازمة ، غير أن العرب اجتمعت على ترك كثير من الإعراب ، في مثل بنات التاء والواو ، في الأسماء ، والأفعال المضارعة للأسماء ، استثقالاً ، وعلى ترك الإعراب في السكت على الاسم المرفوع والمجرور المتونين ، وعلى المنصوب غير المتون ، حين لم يكن الوقف على الحركات وجفا اللسان عنه .

ثم بعد ذلك أطبق على ترك أكثر الإعراب (١٩٢ب) أهل القرى والأمصار ، وذلك تضييع وتقصير ، ألا ترى أن القرآن لا يقرأ إلا بالإعراب ، لأنه نزل بالإعراب .

ويقال : اللحن يقطع الصلاة . وحدثونا أنه قيل للحن البصري : لنا إمام يلحن . قال : أخروه .

وكانت لغة الرسول — صلوات الله عليه — وأصحابه الفصاحة طبعاً لا تعليمًا .

وأما تانيث المذكر وتذكير المؤنث فمن العجمة عند من يعرب وعند من لا يعرب .

كما أنّ من العجمة أن تجعل الضاد ظاء ، والطاء ضاداً ، والحاء هاء ، والحاء هاء ، وإن لم يستطع الرجل أن يتكلم بها ولم يكن ذلك في فطرة لسانه .

وأما اللّغ فقيم ، وصاحبه معذور لأنه ممنوع من الراء ، فن اللّغ من يجعل الراء غيناً ، فيقول في سرير (سغير) .

ومنهم من يجعلها لاما فيقول : (سليل) .

ومنهم من يجعلها باء ويجعل اللام أيضاً باء .

وقد رأيت من يهز كل راء ولا يقدر على غير ذلك .

وأما أنا فلا أحب الصلاة خلف القسيح اللّغ لأنه يقول : (أيه) وهو يريد (الله) عز وجل .

ويقول : (اللياء) وهو يريد (الرياء) .

ويقول في سُرر : (سُغغ) أو (سُلل) أو (سُيي) .

وإن صليت رجوت أن تكون صلاة جائزة — إن شاء الله — لأن اللّغ في السنة الفصحاء ، ومولدي البادية ، وليس جعل الحاء هاء والحاء هاء في ألسنتهم ، وإنما هي في السنة الأعاجم) .

(٣٩٩) : (تم كتاب المذكر والمؤث عن أبي حاتم السجستاني وتمت المقابلة في شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة) .

والنسخة جيدة ، والخط متقن ، قريب من القاعدة الكوفية .

٢ — كتاب «جامع التعريب» :

وما اطلعت عليه في (مكتبة يوسف أغا) في مدينة (قونية) «جامع التعريب» ورقه (٢٥٩) .

وأوله بعد البسملة والخطبة : (أما بعد فإني بعد أن وقفت على كتاب «المعرب» إبداع الأستاذ أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي ، شكر الله مسعاه ، وجعل الجنة مقره ومثواه ، وكان محتاجاً إلى تمة في الترتيب ، وزيادات فائقة في آثار التعريب ، ظفرت بكتاب

«التذيل والتكيل لما استعمل في اللفظ الدخيل» الذي جمعه الفاضل المتبع جمال الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر بن موسى العذري الرثوي ، الشهير والده بالبشيشي — بخطه ، فوجدته — والله — قد أفرغ الوسع في التبع والاستشهاد ، بهمة تقارب رتبة الاجتهاد ، بل أحسن فيه الجمع وحسن الترتيب ، معونة للطلاب والأديب ، غير أنه فيه تكرار وإطالة ، ربما يفضي إلى الكسل والملالة ، فأحببت أن أختصر عن الأصل ما زاد ، جريباً على المألوف المعتاد ، مع رعاية الاختصار والابحاز ، وتبيين ما يتحقق به الإحاطة والامتيان ، مع زيادات وحسن تلخيص ، تباعد عن الاسهاب والتمحيص ، وسميته «جامع التعريب بالطريق القريب» والله أسأل المعونة والتوفيق .

باب الهمة : الهمة مع الألف : آب : أبو الحسن صاحب «المحكم» هو من أسماء الشهور ، أعجمي معرب . عن ابن الأعرابي : هو من شهور الروم ، سرياني الأصل) .
(ص ٣٦٢) : (هذا آخر ما تيسر من تلخيص الترتيب ، والتذيل على معرب الاستاذ أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي للفاضل المطلع جمال الدين عبدالله بن محمد بن أحمد العذري الشهير بالبشيشي — جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، وعند حبلتي أنيسي كنية الفقير إبراهيم بزمي سنة ١٠٨٣) .

٣) رسائل ابن الحنبلي :

ست رسائل لرضي الدين محمد بن إبراهيم بن الحنبلي الحلبي . رقعها (٢٦٦) كلها بخط الحصفكي الآتي ذكره — وهي :

١) ذبالة السراج ، على رسالة السراج — في الفرائض من ص ١ إلى ٢٢٢ مخطوطة في أواسط رمضان سنة ٩٦٢ ، وفيها إجازة المؤلف لأحمد بن الملا محمد الحصفكي الأصل ، الحلبي الشافعي ناسخ الرسالة ، والإجازة مؤرخة في سنة ٩٦٥ .

٢) قفر الأثر ، في صفو علوم الأثر — في مصطلح الحديث .

٣) الفرع الأثيث ، في أصول الحديث — شرح للرسالة التي قبلها من ص ٢٢٣ إلى ٢٥٨ — بخط الحصفكي المذكور في رجب ٩٦٤ وإجازة المؤلف له .

٤) ظل الحريش ، في منع حل البنج والحشيش . من ص ٣٦١ إلى ٣٨٥ — مخطوطة في ربيع الآخر سنة ٩٥٣ .

٥) تأهيل من خطب ، في ترتيب الصحابة في الخطب . مخطوطة في رمضان سنة ٩٦٥ — من ص ٣٨٩ إلى ٤٠٠ .

٦) إخبار المستفيد ، بأخبار خالد بن الوليد .

من ص ٤٠١ إلى ص ٤١١ .

(سبب تأليفها مرور الشيخ محمد بن أحمد الخالدي الكشي ثم السمرقندي المشهور بمولانا شاه) في جمادى الآخرة سنة ٩٦٤ .

٤ — أبيات كتاب سيويه :

وطالعت في مجموع رقه (٦٦٧) رسالة تحوي «أبيات كتاب سيويه» من ص ٢٢١ إلى ص ٢٥٦ ، أولها بعد البسملة : (جملة أبيات كتاب سيويه ، أبي عمرو بن عثمان — رحمه الله — ألف وخمسون بيتاً ، منها خمسون غير معروفة ، رتبته بالحروف ، مفهرساً :

ألف

الحمد لله العلي الأجل :

وفي ص ٢٥٦ :

يضحي على جذم الجدول كأنه — البيت —

ثم الترتيب بالحروف ، وآخره : (تاريخه جامشقه ابن المستقيم ١١٧٩) جعل ما بعد (جا) تاريخاً باعتبار حساب الجمل (أيجد) .

ورب الشواهد بحسب الحرف الأول من الشاهد .

٥ — ديوان هارون بن صالح التنوخي الشيزي :

واطلعت على (جزء من ديوان أبي الخير هارون بن صالح التنوخي الشيزي ... كان مقامه بالموصل ، وولي ديوان عرض الجيش بها ، في عهد جلال الدين ابن الوزير) كذا جاء في طرة

الكتاب رقم (٤٩٠٦) وجاء فيه : (قافية الدال : وما عملته في ذوي الأجداد من الأجداد ، قلت مادحا الأجل ... عزيز الدين ، صني الإسلام ، أبي المحاسن أبي أبي الفتح ، ومهتأ له بعيد الفطر ستة ثمان وخمسين ونحس مئة ، وفي آخر جادى الآخرة من هذه السنة عزل الوزير جمال الدين محمد بن أبي منصور ، وقبض عليه ، وتولى عز الدين الاستيفاء ، وتوفي جمال الدين في الحبس ، في السنة المذكورة ، والجامعة مع المولى ، في مساعدة أخيه ...

حامم أليك في السغصون تغرد تقرب مني من له البين يبعد ويقع الديوان في ٥١٨ صفحة في الصفحة ٩ سطور ، وبعض الصفحات فيها ما ليس من الديوان وفي هامش الصفحة الأولى ما يشير إلى أن هذه النسخة بخط الشاعر : (تولى جمع ديوانه ... له ، وإحياء لذكره الراجي رحمه ربه ، صفوان بن أبي سالم ... وعملت به نسخة ثانية ، وحفظ هذه بخط المذكور) ويظهر أنها مسودة المؤلف ، لأن كثيراً من القصائد مكتوب في ظهور رسائل ، وقد ألحق بين الصفحات جذازات فيها هوامش .

وفي هامش الصفحة الأولى : (وقف هذا الكتاب الشيخ صدر الدين محمد بن اسحاق رضي الله عنه ، على الزاوية المنيّة عند قبره ، وشرط لا يخرج إلا برهن) .
وصدر الدين هذا هو القونوي الصوفي عالم مشهور توفي سنة ٦٧٢ وهو من أهل قونية ، وفي هذه المكتبة كتب قديمة من كتبه التي أوقفها .

٦ - كتاب «الفصيح» :

وفي هذه المكتبة نسخة نفيسة لقدمها ، مكتوبة بالخط الكوفي ، من كتاب «الفصيح» لثعلب العالم اللغوي المعروف . رقمها (٥٠٠٨) وهي من كتب الشيخ صدر الدين محمد بن اسحاق بن محمد القونوي التي أوقفها .

جاء في الورقة الأولى منها : (كتاب الفصيح : لأبي العباس أحمد بن يحيى ، ثعلب النحوي — لأبي يحيى عبدالله بن الحسين بن عثمان ، جبره الله وعلمه خيراً — لخزانة الأجل مؤيد الدين معد بن أحمد بن مهدي — من كتب الفقير إلى رحمة الله تعالى نجيب الدين بن أبي بكر بن المظفر التبريزي ، ابن أخ الفقيه كمال الدين المظفر) وكل هاؤلاء ملكوها قبل محمد

بن اسحاق الذي أوقفها .

وأول النسخة : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم ، فنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها فأخبر بكتاب ذلك (٩) ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا ، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى ، فأخبرنا بهما ، وألفناه أبواباً .

فن ذلك : باب فعلت — بفتح العين .

وفي الصفحة الـ (٨٥) ما نصه : (تم كتاب الفصيح ، والحمد لله كثيراً ، وصلى الله على محمد وآله وسلم) .

تقع النسخة في ٨٥ صفحة مقاس ١٦ × ١٦ ونصف سم وفي الصفحة ١٣ سطراً . ولا أستبعد أن تكون النسخة من مخطوطات القرن الرابع الهجري .

٧ — ديوان التهامي :

وفي المكتبة تحت رقم (٤٩٠٥) شعر أبي الحسن علي بن محمد التهامي — نسخة قديمة الخط ، وهي من كتب صدر الدين محمد بن اسحاق القونوي التي أوقفها ، وقد تحدثت عنها في موضع آخر تقع في ١٨٩ ورقة مكتوبة سنة ٥٨٩ هـ ، وهي وإن كان ما فيها من الشعر أقل مما في طبعة دمشق سنة ١٣٨٤ — ففيها ما ليس في تلك المطبوعة .

٨ — كتاب « الفسر » :

وفي المكتبة نسخة كاملة من كتاب « الفسر » وهو شرح ابن جني لشعر المتنبي في مجلدات ثلاثة ، رقعها (٤٩٠/٥٩٢) .

وقد طبع الكتاب في العراق ، طباعة نقدها بعض الباحثين (أنظر « العرب » س ١٤ ص ٤١٤) .

وفي (المكتبة الأحمدية) في حلب : « شرح ديوان المتنبي لابن جني » ، رقم ٥٨١ ، مجلد

بالقطع الكامل بخط هبة الله بن عبدالله القرشي سنة ١١٥٨ هـ^(١).

وفي (المكتبة الكتانية) في (الخزانة العامة) بمدينة الرباط ، تحت رقم ١٧٦٨ قطعة من شرح المتنبي المطول لابن جني في ٢٣٨ صفحة إلى اليت :

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفها أحيط ما يفنى بما لا ينفد
— حرف الدال — بخط مغربي .

ثم رأيت في طرة تلك النسخة كتابة يفهم منها نبي كون هذه المخطوطة أن تكون كتاب «الْقَسْر» .

وعلى ذكر هذه الكلمة تحسن الإشارة إلى أن أحد الكتاب أنكر أن يكون اسم شرح ابن جني يدعى (الْقَسْر) (انظر مجلة «المورد» البغدادية — المجلد الثامن العدد الثالث ص ٤٥٧ — ورجح أن يكون صواب الاسم (الْمَقْسَر)

٩ — كتاب في التاريخ :

وفي المكتبة ، تحت رقم (٥٤٨٨) قطعة من كتب كتب بطرتها بخط حديث (من تاريخ الطبري) تبحث في حوادث سنة ١٣٣ وما بعدها إلى سنة ١٥٨ — يظهر أنها من مخطوطات القرن السادس أو أوائل السابع ، ومؤلف الكتاب يروي عن الأصمعي وغيره ، وتكرر كلمة (قال عمر) وفيه معلومات عن عهد المنصور .

ويقع في ٣٦٢ صفحة .

١٠ — تاريخ ابن خلكان :

وفي المكتبة نسخة من تاريخ ابن خلكان رقمها ٥٢٨٥ — تقع في ٣٩٥ ورقة ونحوي ٨٧٣ ترجمة — كما في فهرسها ، وهي كاملة وغير مؤرخة .

وفي آخرها يذكر ابن خلكان انه انتهى من كتابه في جمادى الآخرة سنة ٥٧٢ في القاهرة ، وأنه خرج من القاهرة مع السلطان بيبرس سنة ٦٥٠ فأقام بدمشق عشر سنين ، وعاد للقاهرة .

ما اتفق لفظه وافترق مسماه

من أسماء الأماكن

للإمام محمد بن موسى الحازمي

(٥٨٨/٥٨٨هـ)

— ٥ —

١٣١ — بَابُ بُونَا ، وَتُونَا

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِ الْوَاوِ بَعْدَهَا تُونٌ مُشَدَّدَةٌ — : نَاحِيَةٌ مِنَ الْعِرَاقِ قُرْبَ الْكُوفَةِ ، لَهَا ذِكْرٌ فِي الْأَخْبَارِ ، وَالْأَشْعَارِ ^(١) .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نَقْطَتَانِ ، ثُمَّ وَاوٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ — : كَفَرْتُونَا بَلَدٌ بِالْجَزِيرَةِ ، يُنسَبُ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّوَاةِ ^(٢) .

وهذا في كتاب نصر:

- (١) بُونَا : قَالَ نَصْرٌ : نَاحِيَةٌ مِنْ سَوَادِ الْعِرَاقِ قُرْبَ الْكُوفَةِ . وَقَالَ يَاقُوتٌ : بُونَا بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ وَتَشْدِيدِ نُونِهِ : نَاحِيَةٌ قُرْبَ الْكُوفَةِ ، يُقَالُ لَهَا تَلٌّ بُونَا ، ذَكَرَهَا فِي الْأَشْعَارِ . وَفِي تَلٍّ بُونَا ضَبَطَ الْأَسْمَاءَ بِفَتْحَتَيْنِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ ، وَقَالَ : مِنْ قَرَى الْكُوفَةِ ، وَأُورِدَ شِعْرًا لِلْمَالِكِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْفَزَارِيِّ فِيهَا ، وَمَعَاوِرَةٌ بَيْنَ مَالِكٍ هَذَا وَبَيْنَ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِيعةَ حَوْلَ وَرُودِ أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ فِي شِعْرِهَا . فَضَبَطَ يَاقُوتٌ لِهَذَا الْأَسْمَاءِ مَخَالَفَ لَضَبَطِ نَصْرِ وَالْحَازِمِيِّ .
- (٢) تُونَا : عَرَفَهُ نَصْرٌ كَمَا هُنَا . وَأُورِدَهُ يَاقُوتٌ بِرِسْمِ كَفَرْتُونَا — الْكُفَرُ الْقَرْيَةُ — وَقَالَ يَاقُوتٌ : كَفَرْتُونَا قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْجَزِيرَةِ . وَكَفَرْتُونَا أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِ فِلَسْطِينَ .

وقال : إنه عازم على تأليف الكتاب الذي وعد به .

وأضيف : لقد أطلعني الشيخ محمد بن عبد القادر قاضي المبرز — رحمه الله — على مجلد كبير من تاريخ ابن خلكان في التراجم ، وقال لي : إنه من تاريخ ابن خلكان المطول . وفي ظهر نسخة مكتبة يوسف أغا : تملك لعبد الكريم بن محب الدين القطبي : (استكتبه بمكة سنة ٩٩٣هـ) ؟ .

وعبد الكريم هذا من علماء مكة وله كتاب في تاريخها مطبوع ، ملخص من كتاب عمه قطب الدين المكي النهروالي العالم المعروف ^(١) .

حمد الجاسر

(١) أنظر ترجمته في مقدمة «البرق الجاني في الفتح العثماني» ص ٥٦ .

ما اتفق لفظه وافترق مسماه

من أسماء الأماكن

للإمام محمد بن موسى الحازمي

(٥٨٤/٥٤٨ هـ)

— ٥ —

١٣١ — بَابُ بُونَا ، وَتُونَا

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِ الْوَاوِ بَعْدَهَا تُونٌ مُشَدَّدَةٌ — : نَاحِيَةٌ مِنَ الْعِرَاقِ قُرْبَ الْكُوفَةِ ، لَهَا ذِكْرٌ فِي الْأَخْبَارِ ، وَالْأَشْعَارِ ^(١) .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نَقْطَتَانِ ، ثُمَّ وَاوٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ — : كَفَرْتُونَا بَلَدٌ بِالْجَزِيرَةِ ، يُنسَبُ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّوَاةِ ^(٢) .

وهذا في كتاب نصر:

- (١) بُونَا : قَالَ نَصْرٌ : نَاحِيَةٌ مِنْ سَوَادِ الْعِرَاقِ قُرْبَ الْكُوفَةِ . وَقَالَ يَاقُوتٌ : بُونَا بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ وَتَشْدِيدِ نُونِهِ : نَاحِيَةٌ قُرْبَ الْكُوفَةِ ، يُقَالُ لَهَا تَلٌّ بُونَا ، ذَكَرَهَا فِي الْأَشْعَارِ . وَفِي تَلٍّ بُونَا ضَبَطَ الْأَسْمَاءَ بِفَتْحَتَيْنِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ ، وَقَالَ : مِنْ قَرَى الْكُوفَةِ ، وَأُورِدَ شِعْرًا لِلْمَالِكِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْفَزَارِيِّ فِيهَا ، وَمَعَاوِرَةٌ بَيْنَ مَالِكٍ هَذَا وَبَيْنَ عَمْرِ بْنِ أَبِي رِيعةَ حَوْلَ وَرُودِ أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ فِي شِعْرِهَا . فَضَبَطَ يَاقُوتٌ لِهَذَا الْأَسْمَاءِ مَخَالَفَ لَضَبَطِ نَصْرِ وَالْحَازِمِيِّ .
- (٢) تُونَا : عَرَفَهُ نَصْرٌ كَمَا هُنَا . وَأُورِدَهُ يَاقُوتٌ بِرِسْمِ كَفَرْتُونَا — الْكُفَرُ الْقَرْيَةُ — وَقَالَ يَاقُوتٌ : كَفَرْتُونَا قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْجَزِيرَةِ . وَكَفَرْتُونَا أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِ فِلَسْطِينَ .

وقال : إنه عازم على تأليف الكتاب الذي وعد به .

وأضيف : لقد أطلعني الشيخ محمد بن عبد القادر قاضي المبرز — رحمه الله — على مجلد كبير من تاريخ ابن خلكان في التراجم ، وقال لي : إنه من تاريخ ابن خلكان المطول . وفي ظهر نسخة مكتبة يوسف أغا : تملك لعبد الكريم بن محب الدين القطبي : (استكتبه بمكة سنة ٩٩٣) ؟ .

وعبد الكريم هذا من علماء مكة وله كتاب في تاريخها مطبوع ، ملخص من كتاب عمه قطب الدين المكي النهروالي العالم المعروف ^(١) .

حمد الجاسر

(١) أنظر ترجمته في مقدمة «البرق الجاني في الفتح العثماني» ص ٥٦ .

١٣٢ — باب بَوَارٍ وَنَوَارٍ

أَمَّا الْأَوَّلُ — يَفْتَحُ الْبَاءَ وَتُخْفِفُ الْوَاوِ ، وَآخِرُهُ رَاءٌ — : بَلَدٌ بِالْيَمَنِ لَهُ ذِكْرٌ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ نُونٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ وَاوٌ مُشَدَّدَةٌ — : رَوْضَةٌ النَّوَارِ مَوْضِعٌ ^(١) .

١٣٣ — بَابُ بَيْرُودَ ، وَبَيْرُودَ ، وَبَيْرُوتَ

أَمَّا الْأَوَّلُ — يَفْتَحُ الْبَاءَ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُعْجَمَةِ بِالثَّنَيْنِ مِنْ تَحْتِهَا ، بَعْدَهَا رَاءٌ مَضْمُومَةٌ ، وَآخِرُهُ ذَالٌ مُعْجَمَةٌ — : نَاحِيَةٌ بَيْنَ الْأَهْوَازِ ، وَبَلَدٌ الطَّيْبِ ، يُنسَبُ إِلَيْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ بَحْرٍ بْنُ يَزِيدَ الْبَيْرُودِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْهَرَوِيِّ ، وَغَالِبِ بْنِ حَلْبَسٍ الْكَلْبِيِّ وَجَبَّارَةَ بْنِ مُغَلَّسٍ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو عَرُوبَةَ الْحَرَّانِيُّ ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي آخِرُهُ ذَالٌ مُهْمَلَةٌ — : صُقْعٌ شَامِيٌّ بَيْنَ حِمصَ وَدِمَشقَ ، عَلَى طَرِيقِ الْبَرِّيَّةِ ^(٣) .

وَأَمَّا الثَّالِثُ — آخِرُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نَقْطَتَانِ — : بَلَدَةٌ فِي سَاحِلِ الشَّامِ ، مِنْ الْعَوَاصِمِ ،

(١) تقدم الكلام على هذا في (باب بَوَانٍ وَبَوَانٍ) حيث أضاف نَصْرَهُنَا إِلَى ذَلِكَ الْبَابِ ، وَهُوَ مَوْضِعُهُ ، لَتَقْدِمِ الْأَلْفَ عَلَى النَّونِ .

عند نَصْرِ :

(٢) بَيْرُودَ : قَالَ نَصْرٌ : نَاحِيَةٌ بَيْنَ الطَّيْبِ وَسُوقِ الْأَهْوَازِ . وَعِنْدَ يَاقُوتَ : نَاحِيَةٌ بَيْنَ الْأَهْوَازِ وَمَدِينَةِ الطَّيْبِ ، ثُمَّ نَقَلَ عَنِ الْبُشَيْرِيِّ أَنَّهَا كَبِيرَةٌ بِهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ ، حَتَّى أَنَّهُمْ يَسْمُونَهَا الْبَصْرَةَ الصَّغِيرَى ، وَذَكَرَ مَنْ يُنسَبُ إِلَيْهَا هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَازِمِيُّ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ تَوَفَّى غَازِيَا بِمَدِينَةِ مَلَطِيَّةِ .

(٣) بَيْرُودَ : قَالَ نَصْرٌ بَيْرُودَ : أَوَّلُهُ يَاءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ ثُمَّ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ ذَالٌ مُهْمَلَةٌ صُقْعٌ بَيْنَ حِمصَ وَدِمَشقَ عَلَى طَرِيقِ الْبَرِّيَّةِ ، وَيَحْطُ أَهْلُ الْفَضْلِ . بِتَقْدِيمِ الْبَاءِ . انْتَهَى . وَالْغَرِيبُ أَنَّ هَذَا الَّذِي مِنْ بِلَادِ الشَّامِ لَمْ يَذْكُرْهُ يَاقُوتَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» وَيَاقُوتَ حَمَوِيٌّ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ !

يَنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَرِوَاةُ الْحَدِيثِ ، مِنْهُمْ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزِيدَ الْبَيْرُوتِيِّ وَغَيْرُهُ (١) .

١٣٤ — بَابُ يَبُوتَةَ ، وَيَبُوتَةَ

أَمَّا الْأَوَّلُ — بَعْدَ الْبَاءِ يَاءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ، ثُمَّ نُونٌ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَ الْوَائِ نُونٌ أُخْرَى — : أَرْضٌ مُتَاحِمَةٌ لِأَرْضِ الشَّعْرِ ، وَهِيَ فَوْقَ عُمَانَ وَلَهَا ذِكْرٌ فِي الْأَخْبَارِ ، فِي الشَّعْرِ (٢) .
وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ يَاءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ ، ثُمَّ نُونٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ ، وَبَعْدَ الْوَائِ تَاءٌ فَوْقَهَا نَقْطَتَانِ — : مِثْلُ كَانَ يَسْلُكُهُ حَاجٌّ وَاسِطٌ قَدِيمًا إِذَا قَصَدُوا مَكَّةَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ زُبَالَةَ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ مِيلًا (٣) .

١٣٥ — بَابُ يَيْشٍ ، وَيَيْشٍ وَيَيْسٍ وَيَيْسٍ

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِكَسْرِ الْبَاءِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ وَآخِرُهُ شَيْنٌ مُعْجَمَةٌ — : مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، قَرِيبَ دَهْلَكِ لَهُ ذِكْرٌ فِي الشَّعْرِ .

(١) بيروت : لم يزد نصراً على القول بأنها بلد بالشَّام . وأطال ياقوت الحديث عنها . وذكر أن الأفرنج استولوا عليها في شوال سنة ٥٠٣ هـ وأن صلاح الدين استنقذها سنة ٥٨٣ هـ ثم استولوا عليها مرة أخرى قال : وهي في أيديهم إلى هذه الغاية ، ياقوت توفي سنة ٦٤٦ هـ (١٢٢٨ م) .

من أبواب كتاب نصر .

(٢) يَبُوتَةَ : عَرَفَهَا نصر بقوله : أَرْضٌ فَوْقَ عُمَانَ ، تُتَّصَلُ بِالشَّعْرِ ، انتهى وذكرها ياقوت وغيره ، ولا تزال معروفة ، وقد تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي» قسم المنطقة الشرقية ، والشَّعْرُ — بكسر الشين — ناحية عُمَانَ ، معروف الآن .

(٣) يَبُوتَةَ : قال نصر : منزل على أربعين ميلاً من زُبَالَةَ ، على جادة الطريق قديماً ، إذا خرجوا من واسط . انتهى . ونقل ياقوت عن أبي حنيفة نحو كلام الخازمي ، وزاد : وَيَبُوتَةُ من نواحي اليمامة فيه نَحْلٌ . انتهى ويظهر أن هذا الموضع يقع في الجنوب الشرقي من زباله بينها وبين لينة إذ يفهم من كلام بعض المتقدمين أن طريق الحج من واسط يمر بالأخاديد — أنظر هذا في «معجم البلدان» ثم لينة . ولم أرى يَبُوتَةَ ذكراً فيها بين يدي من الكتب سوى ما تقدم أو نقل عنه .

وَأَمَّا الثَّانِي فَيَفْتَحُ الْبَاءَ — : مِنْ مَخَالِفِ مَكَّةَ^(١) .
وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ نَاءٌ فَوْقَهَا نَقْطَتَانِ مُفْتَوَحَةٌ ، وَآخِرُهُ سَيْنٌ مُهْمَلَةٌ — : مَوْضِعٌ بَيْنَ
الْكُوفَةِ وَالشَّامِ يُقَالُ لَهُ رِجْلَةُ التَّيْسِ^(٢) .

في كتاب نصر سوي (قبس)

(١) يَيْشُ : قَالَ نَصْرٌ : بِلَدٍّ مِنَ الْيَمَنِ . قُرْبَ ذَلِكَ ، وَجَاءَ فِي شَعْرِ عُمَيْرِ بْنِ الْأَيْمَمِ فِي قَتْلِ عُمَيْرِ بْنِ الْحَبَابِ ،
وَهُوَ قَتْلُ بِالْجَزِيرَةِ . انْتَهَى . وَفِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» : يَيْشُ بِكسر أوله — مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، قُرْبَ ذَلِكَ ، لَهُ
ذِكْرٌ فِي الشَّعْرِ ، قَالَ أَبُو دَهْلٍ :

اسْلُمِي أُمَّ دَغْبَلٍ قَبْلَ هَجْرٍ وَتَفَضَّيْ مِنَ الزَّمَانِ وَدَهْرٍ
وَاذْكُرِي كِسْرِي الْمَطْبِي السِّكْمِ بَعْدَمَا قَدْ تَوَجَّهْتَ نَحْوَ مِصْرٍ
لَا تَخْلِي أَتْيَ نَيْبِكَ لَمَّا حَالَ يَيْشُ وَمَنْ بِهِ خَلْفٌ ظَهْرِي

وهذا الشعر يدل على أن ييشا موضع بين مكة ومصر ، أو تكون صاحبه المذكورة كانت باليمن . وقبل هذا جاء
في «المعجم» : يَيْشُ — بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ — مِنْ مَخَالِفِ الْيَمَنِ ، فِيهِ عِدَّةُ مَعَادِنَ ، وَهُوَ وَادٍ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا
أَبُو ثَرَابٍ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ الرِّيحِ وَالسَّوَاقي فِيهَا ، وَهِيَ مِلْكٌ لِلشَّرَفَاءِ بَنِي سُلَيْمَانَ الْحُسَيْنِيِّينَ ، وَقَالَ رُبَيْعَةُ
الْيَمَنِي يَمْدَحُ الصُّلَحِيِّ :

قَرَّبَتْ لِي الْوَقَائِعَ يَوْمَ يَيْشَ فَكَانَ أَجْلُهَا يَوْمَ السَّبَاقِ

وأقول : هو موضع واحد ، مفتوح الباء ، وادٍ عظيم من أشهر الأودية التي تنحدر من السراة ، حتى
تخترق هامة فتصب في البحر الأحمر ، وفروعه العليا الشرقية تمتد من سراة قحطان الواقعة في الجنوب الشرقي
من مدينة أبها ، فتجّه نحو الجنوب الغربي حتى تصب في البحر شمال وادي ضَمَمٍّ على مقربة من جازان ،
وجنوب وادي بَيْضٍ وعُتُودٍ ، ووادي ييش هذا من أطول الأودية وأعظمها ، وعلى ضفتيه قرى كثيرة (يقع
وادي ييش بين خطي الطول ٤٢/٣٠ و ٤٣/٠٠ وخطي العرض ١٦/٥٠ و ١٨/٠٠ ، ما غرب من سيول سراة
قحطان ينحدر في ييش وما شرق ينحدر في وادي بَيْشَةَ الذي يتلغ سيول أكثر الأودية المنحدرة من تلك
السراة وما يقع شمالها من السروات الأخرى إلى سراة غامد .

ولا صلة لوادي ييش بذلك التي هي جزيرة في غربي البحر الأحمر ، وأبو دَغْبَلٍ قصد ييشاً هذا ، وقد نكرر
ذكره في شعره ، وذكر مواضع أخرى في جهته ، وانظر عن ييش «المعجم الجغرافي» منطقة جازان ، تأليف
الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي .

(٢) رِجْلَةُ التَّيْسِ كَذَا عَرَفَهَا نَصْرٌ ، وَبِاقُونَ وَقَالَ : الرِّجْلَةُ وَاحِدَةُ الرَّجْلِ ، وَهِيَ مَسَابِلُ الْمِيَاهِ فِي الْأُودِيَةِ .
وَالرَّجْلُ كَثِيرَةٌ تَحْدُثُ عَنْ بَعْضِهَا فِي «المعجم» «قسم شمال المملكة» ، وَهَنَّاكَ فِي أَسْفَلِ حَرْنٍ بَنِي بَرْبُوعٍ رَجُلٌ لَا
تَرَالُ مَعْرُوفَةٌ بِأَسْمَائِهَا لَا اسْتَبْعَدَ أَنَّ تَكُونَ رِجْلَةُ التَّيْسِ إِحْدَاهَا ، عَلَى أَنَّ الْبَكْرِي ذَكَرَ فِي «معجم ما استعجم»
أَنَّ رِجْلَةَ التَّيْسِ مَوْضِعٌ بَيْنَ بِلَادِ طِيٍّ وَدِيَارِ بَنِي أَسَدٍ ، وَهِيَ حَلِيفَانِ ، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَصَابَتْ بَنُو بَرْبُوعٍ وَبَنُو
سَعْدٍ طَيْفًا وَأَسَدًا ، وَضَبَّةً ، وَكَانَتْ ضَبَّةً تَحُولُ عَنْ نَيْمٍ إِلَى طِيٍّ ، وَتَرْكُوا حَلْفَ بَنِي تَمِيمٍ ، فَحَتَلْتُمْ بَنُو
أَسَدٍ وَأَسْرَتُهُمْ . وَبَرَى مَوْزِلَ أَنَّ رِجْلَةَ التَّيْسِ هَذِهِ هِيَ التَّيْسِيَّةُ لِقَرَابَةِهَا مِنْ بِلَادِ أَسَدٍ وَطِيٍّ .

وَأَمَّا الرَّابِعُ — أَوَّلُهُ قَافٌ مَفْتُوحَةٌ — : قَرِيَّةٌ مِنْ قُرَى صَعِيدٍ يُضَرُّ بِتَسَبُّ إِلَيْهَا لَيْبُ الْقَيْسِيِّ ، مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَرْوِي عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، رَوَى عَنْهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَنِيبٍ ^(١) .

١٣٦ — بَابُ يِلْر ، وَتَبْلِر ، وَيَلِر ، وَيَلِر

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِكسر الباء بعدها ياءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ — : نَاحِيَةٌ بِالرَّيِّ ، يُتَسَبَّبُ إِلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ ، بْنُ أَيُّوبَ الْيَلِي الرَّاهِدُ ، سَمِعَ سَهْلَ بْنَ زَنْجَلَةَ ، وَغَيْرُهُ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ نُجَيْدٍ .

وَأَيْضاً قَرِيَّةٌ مِنْ قُرَى سَرَخَسَ ، يُتَسَبَّبُ إِلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدُونِ بْنِ خَالِدِ الْيَلِيِّ ، رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْعَسْفَلَانِيِّ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ الْجَوْهَرِيُّ ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ تَاءٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوحَّدةٌ مَفْتُوحَةٌ — : وَادٍ عَلَى أَمْيَالٍ بِسِيرَةٍ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَقَصْرٌ بَيْنِي مَقَاتِلَ فِي أَسْفَلِهِ ، وَأَعْلَاهُ يَتَّصِلُ بِسَاقِ وَفٍ كَلْبٍ .

وَأَيْضاً اسْمٌ مَدِينَةٍ تَبَالَهُ فِيهَا يُقَالُ ^(٣)

(١) قَيْسٌ : ذَكَرَ يَاقُوتُ أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِقَيْسِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُرَادِيِّ لِأَنَّهُ فَتَحَهَا ، وَكَانَتْ غَرْبِيَّ النَّيْلِ ، بَعْدَ الْجَزِيرَةِ . وَقَدْ خَرِبَتْ ، وَذَكَرَ مَنْ يُتَسَبَّبُ إِلَيْهَا لَيْباً مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ عِيَاضَ ، يَرْوِي عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو ، رَوَى عَنْهُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ بَنِ أَنِي طَاهِرٌ كَذَا قَالَ وَذَكَرَ أَيْضاً جَزِيرَةَ قَيْسَ ، وَهِيَ كَيْشَ ، فِي بَحْرِ عُمَانَ ، وَوَصَفَهَا لِأَنَّهُ رَأَاهَا .

أورد نصر هذا الباب في حرف التاء .

(٢) يِلْر : قَالَ نَصْرٌ : مَا أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوحَّدةٌ مَكْسُورَةٌ ، فَهُوَ يِلْرٌ فِي الشَّعْرِ ، يُوَصِّفُ خَمْرَهُ . انْتَهَى وَالْكَلَامُ غَيْرُ وَاضِحٍ . أَمَّا يَاقُوتُ فَقَالَ : يِلْرٌ — بِالْكَسْرِ وَاللَّامِ — قَالَ أَبُو سَعْدٍ : ظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْ قُرَى الرَّيِّ . وَقَالَ نَصْرٌ : يِلْرٌ نَاحِيَةٌ بِالرَّيِّ ، يُتَسَبَّبُ إِلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ أَيُّوبَ الْيَلِيِّ ، وَاسْتَرْمَلَ فِي ذِكْرِ مَنْ يُتَسَبَّبُ إِلَيْهَا وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ يَاقُوتُ خَطَطَ بَيْنَ كَلَامِ نَصْرِ وَكَلَامِ أَنِي سَعْدِ السَّمْعَانِيِّ ، فَلِأَوَّلِ لَيْسَ مِنْ عَادَتِهِ ذِكْرُ النَّسَبِ إِلَى الْمَوْضِعِ إِلَّا نَادِراً ، بِخِلَافِ الثَّانِي ، وَكَلَامِ نَصْرِ الَّذِي ذَكَرَ يَاقُوتَ لَيْسَ فِي النُّسخَةِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، أَوْ لَعَلَّهُ نَسَبَ كَلَامِ الْحَازِمِيِّ إِلَى نَصْرِ ، وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ .

(٣) قِيلَ : التَّعْرِيفُ لِنَصْرِ ، وَعَنْهُ نَقَلَ يَاقُوتُ . وَوَادِي تَبْلٍ لَا يَزَالُ مَعْرُوفاً فِي شَرْقِ الْجَزِيرَةِ تَحَدَّثْتُ عَنْهُ فِي «المعجم» قَسَمَ شِيَالُ الْمَلِكَةِ .

وَلَعَلَّ إِطْلَاقَ اسْمِ تَبْلٍ عَلَى تَبَالَةٍ وَرَدَ فِي الشَّعْرِ ، وَتَبَالَةٌ وَادٍ مَشْهُورٌ لَا يَزَالُ مَعْرُوفاً ، وَهُوَ مِنْ رَوَافِدِ وَادِي بَيْشَةَ ، وَفِيهِ قَرْيٌ لَا تَبْلُغُ أَنْ تَكُونَ مَدَنًا .

إِسَارَةُ الْعُضُودَيْنِ

ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة

- ١ -

نشر الأستاذ عبد اللطيف الناصر الحميدان ، هذا البحث المتع في مجلة كلية الآداب من جامعة البصرة في عددها الخامس عشر في هذا العام (١٣٩٩ - ١٩٧٩) وقد كرم فبعث إليّ نسخة منه مفصلة من المجلة رأيت نشرها لأن تلك المجلة ليست منتشرة بين جميع القراء .

ويشفع لي في نشرها على ما عليه من طول أمران أحدهما أنها تتناول تاريخ حقبة تكاد تكون مجهولة من تاريخ بلادنا والأمير الثاني أنني قد أتيدي بعض ملاحظات حولها لا أتفق مع القارئ الكريم في ما أبداه من رأي قد يكون الصواب بجانبه ولكنه لم يتضح لي وما هو نص ذلك البحث المتع .

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ تَاءٌ مَكْسُورَةٌ فَوْقَهَا نَقْطَتَانِ — : جَبَلٌ أَحْمَرٌ شَاهِقٌ ، مِنْ وَرَاءِ تُرْبَةٍ فِي دِيَارِ عَامِرِ بْنِ صَخْصَمَةَ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ دَارَةُ نَبَلٍ ^(١) .

وَأَمَّا الرَّابِعُ — أَوَّلُهُ نُونٌ مَكْسُورَةٌ — : نَبَلٌ مِصْرَ ، وَنَهْرٌ بِالْعِرَاقِ ، حَقَرَهُ الْحَجَّاجُ ، وَهَنَّاكَ قَرْيَةٌ كَثِيرَةٌ يُقَالُ لَهَا النَّبَلُ أَيْضًا يَخْتَرِقُهَا هَذَا النَّهْرُ ، وَهُوَ خَلِيجٌ كَثِيرٌ ، يَتَخَلَّجُ مِنْ الْفَرَاتِ الْكَبِيرِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْوَلِيدِ ، خَالِدُ بْنُ دِينَارِ الشَّيْبَانِيِّ النَّبَلِيُّ ، حَدَّثَ عَنِ الْحَسَنِ وَسَلَمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ ، رَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُ ^(٢) .

- (١) قِيلَ : هذا الكلام لتضمر . ونقله ياقوت بضم غير منسوب ، وأضاف قال ابن مقبل : لِسَمَنِ السَّيَّارِ بِجَانِبِ الْأَحْضَارِ فَجَبَلٌ دَمْعٌ ، أَوْ بِسَفْحِ جُرَارٍ ومن أراد ياقوت هذا البيت اتضح الخطأ في هذا الاسم ، فالباء ليست حرف جر ، بل هي من الاسم وهي (نَبَلٌ) بالياء الموحدة المفتوحة والتاء المثناة الفوقية المكسورة . بعدها مثناة تحية ساكنة فلام . والغريب أن ياقوتاً ذكر تبليلاً هذا الجبل ، وأورد شواهد عليه من الشعر ، ومع ذلك وقع في هذا الخطأ هنا ، وكذا نصر قد ذكره في حرف النون (باب نَبَلٍ وَنَبَلٍ ، وَنَبِيلٍ وَنَبِيلٍ ، وَنَبَلٌ) وكذا فعل الحازمي . والتبيل جبل يقرب دمع في عالية نجد ، يعرف الآن باسم (فريدة دمع) لأنه متفرد منه — ومبيل يؤدي هذا للمنى ، وانظر هذا الاسم في كتاب «عالية نجد» للأستاذ سمد بن جندل — فريدة دمع ، لا فريدة الأكوم كما وقع في القهرس خطأ .
- (٢) التَّيْلُ : أورد ياقوت ما هنا ، وزاد عليه ، وذكر أن التل أيضاً من أنهار الرقة حضرة الرشيد ، ورد في شعر الصنوبري ذكره .

إِسَارَةُ الْعُضُودَيْنِ

ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة

- ١ -

نشر الأستاذ عبد اللطيف الناصر الحميدان ، هذا البحث المتع في مجلة كلية الآداب من جامعة البصرة في عددها الخامس عشر في هذا العام (١٣٩٩ - ١٩٧٩) وقد كرم فبعث إليّ نسخة منه مفصلة من المجلة رأيت نشرها لأن تلك المجلة ليست منتشرة بين جميع القراء .

ويشفع لي في نشرها على ما عليه من طول أمران أحدهما أنها تتناول تاريخ حقبة تكاد تكون مجهولة من تاريخ بلادنا والأمير الثاني أنني قد أتيدي بعض ملاحظات حولها لا أتفق مع القارئ الكريم في ما أبداه من رأي قد يكون الصواب بجانبه ولكنه لم يتضح لي وما هو نص ذلك البحث المتع .

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ تَاءٌ مَكْسُورَةٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ — : جَبَلٌ أَحْمَرٌ شَاهِقٌ ، مِنْ وَرَاءِ تُرْبَةٍ فِي دِيَارِ عَامِرِ بْنِ صَخْصَمَةَ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ دَارَةُ نَبَلٍ ^(١) .

وَأَمَّا الرَّابِعُ — أَوَّلُهُ نُونٌ مَكْسُورَةٌ — : نَبَلٌ مِصْرَ ، وَنَهْرٌ بِالْعِرَاقِ ، حَقَرَهُ الْحَجَّاجُ ، وَهَنَّاكَ قَرْيَةٌ كَثِيرَةٌ يُقَالُ لَهَا النَّبَلُ أَيْضًا يَخْتَرِقُهَا هَذَا النَّهْرُ ، وَهُوَ خَلِيجٌ كَثِيرٌ ، يَتَخَلَّجُ مِنْ الْفَرَاتِ الْكَبِيرِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْوَلِيدِ ، خَالِدُ بْنُ دِينَارِ الشَّيْبَانِيِّ النَّبَلِيُّ ، حَدَّثَ عَنِ الْحَسَنِ وَسَلَمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ ، رَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُ ^(٢) .

- (١) قِيلَ : هذا الكلام لتضمر . ونقله ياقوت بضم غير منسوب ، وأضاف قال ابن مقبل : لِسَمَنِ السَّيَّارِ بِجَانِبِ الْأَحْضَانِ فَجَبَلُ دَمْعٍ ، أَوْ بِسَفْحِ جُرَارٍ ومن أراد ياقوت هذا البيت اتضح الخطأ في هذا الاسم ، فالباء ليست حرف جر ، بل هي من الاسم وهي (نَبَلٌ) بالياء الموحدة المفتوحة والتاء المثناة الفوقية المكسورة . بعدها مثناة تحية ساكنة فلام . والغريب أن ياقوتاً ذكر تبليلاً هذا الجبل ، وأورد شواهد عليه من الشعر ، ومع ذلك وقع في هذا الخطأ هنا ، وكذا نصر قد ذكره في حرف النون (باب نَبَلٍ وَنَبَلٍ ، وَنَبِيلٍ وَنَبِيلٍ ، وَنَبَلٌ) وكذا فعل الحازمي . والتبيل جبل يقرب دمع في عالية نجد ، يعرف الآن باسم (فريدة دمع) لأنه متفرد منه — ومبيل يؤدي هذا للمنى ، وانظر هذا الاسم في كتاب «عالية نجد» للأستاذ سعد بن جندل — فريدة دمع ، لا فريدة الأكوم كما وقع في القهرس خطأ .
- (٢) التَّيْلُ : أورد ياقوت ما هنا ، وزاد عليه ، وذكر أن التل أيضاً من أنهار الرقة حضرة الرشيد ، ورد في شعر الصنوبري ذكره .

إن مما يثير دهشة وحيرة المتتبع لتاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك الغموض الذي يكتنف حقبة طويلة من تاريخ المنطقة الممتدة من كاظمة شمالاً لتنتهي جنوباً بعمان الشمالي ويدخل ضمن ذلك سلسلة من الجزر الواطنة والواقعة في الخليج العربي والمجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل مملوء بالحواجز الرملية وقد استقرت في قاعه أشهر مغاصات اللؤلؤ الطبيعي في العالم من حيث الجودة والانتاج ، وأكبرها حجماً وأوسعها شهرة جزيرة أوال (البحرين) .

أما النهايات الغربية لهذه الرقعة الجغرافية ، المعنية بالبحث فتتصل بالجمامة . لقد تعارف البلدانون العرب الأوائل على إطلاق اسم بلاد البحرين على هذه الرقعة ، وهي بهذا الاتساع والامتداد تشمل في الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية كافة ، ابتداءً بالكويت وانتهاءً بعمان الشمالي . فتاريخ بلاد البحرين هو في الواقع يشكل جزءاً رئيساً وهاماً من تاريخ دول شرق الجزيرة العربية كافة .

إن هذا الاتساع والامتداد لبلاد البحرين وعدم وجود موانع طبيعية تفصلها عما يحيط بها ويجاورها ويصعب اجتيازها ، قد أدى إلى ارتباط تاريخها ارتباطاً عضوياً ووثيقاً بتلك المناطق عبر العصور المختلفة . وهذه الحقيقة تستلزم من الباحث المدقق الذي يحاول التصدي لإمطة اللثام عن الغموض الذي يكتنف تاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصاً وتاريخ الخليج العربي عموماً بأن لا يكتفي بمصادر وأحداث المنطقة وحدها بل عليه أن يحول بناظره نحو المناطق المجاورة ليستوعب أحداثها وينقب في مصادرها الخاصة والعامة .

والواقع فإن منطقة الخليج العربي ليس اصطلاحاً جغرافياً يدل على رقعة محدودة من سطح الأرض فحسب وإنما يشير كذلك إلى لون معين من الحياة ، فهي تعري الباحث في التاريخ الحضاري بدراساتها كم منطقة متحدة داخلياً ، إذ أنه بالرغم من المؤثرات الخارجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعرضت لها عبر العصور فإنها كانت بودة انصهرت فيها هذه المؤثرات المتنوعة وبقيت تمتلك وحدتها الداخلية في البناء والتنظيم ، فوجات المعجرات البشرية المتبادلة بين سواحلها من جهة ، وكذلك فيما بينها وبين السواحل المحيطة بالبحار العربية والتي كانت تجري تحت ضغط الظروف الطبيعية والحاجات البشرية المتبادلة هي من عوامل وحدتها . وبالرغم من وجود المغريات لدراسة الخليج العربي كوحدة فإن هنالك اعتبارات اجتماعية

وتاريخية وسياسية تدعو الباحث لإبراز خصوصيات الدور الذي لعبه كل جزء من أجزائها عبر مختلف العصور وبشكل متميز .

إن بحثنا هذا ما هو في الواقع إلا الحلقة الأولى من سلسلة دراسات تناول تاريخ الخليج العربي في العصر الوسيط والحديث ، وسوف يكرس لإبراز الصورة المميزة لتاريخ بلاد البحرين للفترة الممتدة منذ مطلع القرن الحادي عشر حتى مطلع القرن السادس عشر ، وهي من أشد فترات المنطقة غموضاً الأمر الذي حمل الباحث النجدي سلمان الدخيل على القول بأنه يشكل على المؤرخين الوقوف على حوادثها ووقائعها في أوقاتها^(١) . ومع بروز الأهمية الإقليمية والدولية لمنطقة الخليج العربي في عصرنا الحاضر وظهور الكيانات السياسية المستقلة فيها ، ازداد الاهتمام بتاريخ المنطقة وأخذت تظهر دراسات عديدة وبلغات مختلفة إلا أن الباحثين قد أحجموا حتى الآن عن ارتياد هذه الفترة أو أنهم مروا بها مروراً عابراً لسبب رئيسي هو قلة مصادرها إن لم يكن ندرتها ولادراكهم أيضاً مدى الجهد المضني الذي يحتاجونه لجمع شتات المادة المتناثرة هنا وهناك والتقاط الإشارات من المصادر النادرة وبلغات متعددة . ولقد عبر الأستاذ أبو حاكم عن أسفه لعزوف الباحثين عن محاولة الكشف عن تاريخ الخليج العربي خلال العصور السابقة لعصرنا هذا ووصف دراساتهم التي ظهرت حتى الآن بأنها دراسات عصرية لا تتجاوز « عصر النفط إلا قليلاً »^(٢) . إن هذه الفجوة في معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربي تشكل نقطة ضعف كثيراً ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية وقومية فيها ، كما رسمت صورة تاريخية للمنطقة بنيت أساساً على تجاهل دور العرب في صنع أحداثها لكي ينسجم ذلك ومثل هذه الادعاءات وعلى الرغم من أن مثل هذه الادعاءات قد خفت إلى حد كبير فإن آثارها الثقافية لا تزال باقية ، الأمر الذي يستلزم التصدي بموضوعية لرسم صورة أقرب إلى وقائع التاريخ لتتجاوز على الصورة المنحازة التي رسمت لتاريخها^(٣) .

توطئة في السمات العامة لبلاد البحرين

قبل التطرق لتاريخ بلاد البحرين خلال الفترة المنوه عنها سابقاً ، يستحسن أن نشر ولو إشارة موجزة جداً إلى المظاهر العامة لبيئتها الطبيعية والتي أثرت أعمق الأثر في حياتها وطبعت

تاريخها السياسي والاجتماعي والاقتصادي بطابعها ، وأول هذه المظاهر سعة رقعتها الزراعية بالمقارنة مع كثير من مناطق جزيرة العرب ، حيث تتوفر فيها المياه الغزيرة والعيون التي تجري مياهها على سطح الأرض ، إضافة إلى قرب مياهها الباطنية من سطح الأرض ، وهذا العامل ساعد على امتداد الرقعة الزراعية فيها والتي كانت في العصور الماضية أكثر اتساعاً مما هي عليه اليوم . ويستدل على ذلك أولاً من كثرة أسماء القرى والمستوطنات المأهولة بالسكان والتي أورد ذكرها البلدانون العرب ، إلا أن كثيراً منها قد اختفى من خارطة الإقليم في الوقت الحاضر ، وثانياً أن الأبحاث الحديثة قد أبدت أيضاً اتساع الرقعة الزراعية في الماضي ^(١) .

لقد وفرت هذه الظروف الطبيعية المستلزمات الضرورية لقيام حياة مستقرة تعتمد على الفعاليات الزراعية وسد الطلب على المنتجات الزراعية لكل من سكان البوادي وأسواق الخليج العربي ، بل وتصدير ما يفيض عن ذلك وخصوصاً التمور إلى السواحل المطلّة على البحار العربية والمحيط الهندي .

إن هذه البيئة الزراعية قد فرضت وجود نشاط اقتصادي ذي أوجه متعددة وقيام علاقات إنتاجية وتركيب اجتماعي في المنطقة يختلف في كثير من خصائصه عما حوله من بوادي . ففي مثل هذه البيئة يفرض سعي سكانها لإقامة سلطة تعمل على توفير الأمن والنظام وحمايتهم من خطر سكان البوادي المتربصين دائماً بالمنطقة ، وكذلك الإشراف على توزيع المياه وحماية مصادرها من الاندثار وتنظيم العلاقة بين المستثمرين والمتجعين وأوجه النشاطات الاقتصادية الأخرى ، وكل ما ينشأ عنها من علاقات اجتماعية وقانونية ، الأمر الذي يستلزم وجود أجهزة متخصصة وقوة رادعة . إن السلطة التي تقوم في مناطق الاستقرار من بلاد البحرين سوف يكون من أهدافها الاستراتيجية الثابتة هو التطلع لتحقيق صلة وثيقة بالبيتين المجاورتين ، وهما البيئة الصحراوية ، والبيئة البحرية ، وأن تسعى لإقامة هذه الصلة أما بطريق الإخضاع المباشر أو بإقامة التحالفات القائمة على أساس المنافع المشتركة . وكثيراً ما ينشأ عن ذلك حروب مع سكان هاتين البيتين . إن نجاحها في ذلك سوف يحقق ربط طرق التجارة البحرية بطريق التجارة البرية ، الأمر الذي ينتج عنه نفع اقتصادي كبير لمناطق الأرياف ويحقق الاستقرار السياسي والاقتصادي فيها والنقطة الأخيرة والجديرة بالإشارة هنا هو أن سكان المناطق الزراعية نظراً لارتباطهم بالأرض وبالممتلكات الثابتة هم أطوع للحكام وأسهل خضوعاً للسلطة بل

واستغلالاً من قبلها ومن قبل طبقة الملاكين ، وهذا على عكس الحال في البيتين المجاورتين البحرية والصحراوية .

أما المظهر الثاني لبلاد البحرين فهو البيئة البحرية ، إذ أن طول سواحلها الممتدة على الخليج العربي وكثرة تعاريجها أدى لأن يلعب سكانها دوراً مؤثراً في كافة أوجه النشاط التي تحدث في المنطقة كما أنها أصبحت من المناطق التي تستقبل التأثيرات من خارج حدودها عن طريق سواحلها وجزرها ، ونظراً لكون المناخ والبيئة الصحراوية هي السائدة في بلاد البحرين فإن الأمر قد أدى لأن تصبح بيئة طاردة لسكانها نحو البيئة البحرية المجاورة والتي هي أكثر غنى وضماناً فيما تنقله من ثروة سمكية في مياهها ومن لؤلؤ في أعماقها ومن فرص للريح في النشاط التجاري مع الخارج ، وما هو جدير بالذكر هنا أن النشاط الاقتصادي لسكان السواحل والجزر في حرفتي صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ يتزامن مع النشاط الاقتصادي لسكان الأرياف في بلاد البحرين في جني محصول القمح . على أن هناك وجه شبه بين حياة سكان البيئة البحرية والبيئة الصحراوية فإذا كان البدو يتقلون مع قطعانهم من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ فإن عرب السواحل والجزر يتقلون هم أيضاً من مكان إلى آخر عندما تضطرهم الظروف إلى ذلك ووسائلهم هي سفنهم التي يحملون فيها أهم ممتلكاتهم . فالسفينة لديهم كوسيلة للحياة في عالم البحار تحتل نفس الأهمية التي تحتلها الإبل لدى البدو . فإذا كانت الطبيعة قد سحت على عرب البادية بهذا الحيوان العجيب الذي أطلق عليه جوازاً بسفينة الصحراء ، فإن المعارف البحرية المتميزة لعرب السواحل قد هدتهم لصنع السفن الشراعية وتطويرها بما يتناسب وحاجاتهم في النشاط البحري فطبعوها بطابعهم وحقق لهم بذلك امتداداً لتحدي الطبيعة البحرية استجابة مناسبة جداً ، ثم عن عبقرية فذة بالمقاييس الحضرية لعصرهم فاكسبهم بذلك تفوقاً متميزاً في النشاط البحري ولقرون طويلة جداً^(١) .

إن البيئة البحرية لبلاد البحرين قد ولدت طبقة من السكان لها ثقلاً في الحياة الاقتصادية والسياسية ، لا يجوز للباحث في تاريخ المنطقة إغفالها كما إنها أفرزت زعامات تعتمد في مراكزها على قوتها الاقتصادية الناتجة عن سيطرتهم على قطاعات واسعة وهامة من النشاط الاقتصادي وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ وأصحاب السفن ويستندهم عدد كبير من الاتباع الذين يدينون لهم بالولاء نتيجة لتبعيةهم الاقتصادية لهذه الزعامات وهؤلاء صيادو الأسماك واللؤلؤ والعاملون في

إن هذه القوة المنتجة اقتصادياً تشكل في الواقع قوة عسكرية احتياطية ، كثيراً ما زجها هاؤلاء الزعماء في صراعاتهم السياسية ، فكثير من الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة الخليج عبر عصورها المختلفة لا يمكن فهمها فهماً سليماً من دون الانتباه إلى الدور الذي لعبته هذه القوى في صنع الأحداث في المنطقة .

أما المظهر الثالث والأخير للبيئة الطبيعية لبلاد البحرين والتي لها التأثير الأعظم فهو البيئة الصحراوية السائدة في الإقليم والتي فرضت نمطاً من الحياة الاجتماعية ، هي الحياة القبلية والتي طبعت التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة بطابعها حتى العصر الحديث ، مما حمل أحد المتخصصين بمنطقة الخليج العربي على القول بأن من الخطأ أن نعزو الخلافات حول الحدود في شرق الجزيرة العربية إلى سبب رئيس هو اكتشاف النفط بل يجب الانتباه إلى عامل آخر لا يقل عنه خطورة يسبق اكتشاف النفط ألا وهو الطبيعة القبلية للمجتمع العربي في المنطقة وما يتمسك به من مفاهيم حول حدود السيادة الإقليمية والمستمد من تراثه القبلي^(٦) .

إن الظاهرة الرئيسية للبيئة الصحراوية هي فقرها وعجزها عن سد احتياجات سكانها خصوصاً عندما تزايد أعدادهم ويحدث نقص خطير في مراعي القبائل لذا فهي بيئة طاردة نحو المناطق الأكثر غنى من بلاد البحرين وهي البيئة البحرية الزراعية الأمر الذي يعرض هاتين المنطقتين دائماً لضغط سكان البادية وتوغلهم فيها ويزداد توغلهم كلما أحسوا بضعف السلطة السياسية في هاتين المنطقتين ، ويميل قسم منهم إلى الاستقرار ، ولقد أوضحت دراسة بارث عن البداوة أن الذين يميلون إلى الاستقرار من بين البدو هم الأكثر غنى وكذلك الأكثر فقراً^(٧) .

على أن الأفراد الذين لهم ثقلهم بين القبائل — بالرغم من استقرارهم وامتلاكهم الأراضي — فإنهم يبقون على صلة بقبيلتهم ويحافظون على نفوذهم فيها ، وهم بذلك يشكلون همزة وصل ما بين البدو والسكان المستقرين وما بين القبيلة ومناطق الاستقرار ، وربما يكون استقرار هؤلاء هو في الواقع إضعاف لهذه السلطة لأنهم سوف يكونون جاهزين للعمل كوسطاء مع قبائلهم .

والنقطة الأخيرة التي يجب ذكرها هنا في العلاقة ما بين سكان البادية والسكان المستقرين هو أن عرب البادية في بلاد البحرين يسيطرون دائماً على طرق القوافل التجارية البرية التي تبدأ عادة أو تنتهي بالموانئ الواقعة على ساحل الخليج العربي . لذا فهم كثيراً ما يحاولون السيطرة على هذه الموانئ التجارية ليمدوا منها سيطرتهم أيضاً على الطرق البحرية فتقوم حالة من التعايش ما بين طرق القوافل البرية والطرق البحرية وما بين البدو الذين يسيطرون على الطرق البرية وسكان السواحل والجزر في الخليج العربي الذين يديرون الطرق البحرية .

من هذا ندرك أن القوى القبلية كانت تلعب أدواراً خطيرة كلما سمحت لها الظروف العامة بذلك .

والواقع فإن التفاعل ما بين البداوة والاستقرار وما بين القبيلة والدولة يمثل أحد المظاهر الأساسية لتاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصاً وتاريخ الوطن العربي عموماً . إن هذه السمات البارزة للبيئة في بلاد البحرين وما أفرزته من نتائج قد أوردناها توطئة تساعدنا على تفهم أكثر للوقائع التي سوف نتعرض إليها في الصفحات اللاحقة .

— ١ —

استقرار بني عامر في البحرين

يلاحظ الدارس لتاريخ الخلافة العباسية في فترة ضعفها أن القوى القبلية قد أخذت تلعب أدواراً سياسية رئيسة ضمن مناطق مختلفة من العراق والجزيرتين العربية والفراتية بحيث لا يمكن للباحث تجاهلها .

وقد نجحت بعض هذه القوى القبلية في تكوين كيانات سياسية خاصة بها كالحمدانيين وبني عقيل وبني أسد والمستنق وخفاجة ، إلا أنه بظهور الوصاية السلجوقية على الخلافة العباسية أخذت هذه الكيانات تخفي من الخارطة السياسية الواحدة بعد الأخرى .

ومع نهاية القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد ومطلع القرن السابع/الثالث عشر كانت خارطة القوى القبلية المؤثرة في الحياة السياسية قد تغيرت عما كانت عليه في السابق . ويورد لنا القلقشندي (ت ١٤١٨/٨٢٨) خارطة للتوزيع القبلي في حدود النصف الأول

من القرن السابع للهجري/ الثالث عشر للميلاد معتمداً فيما يورده من معلومات عن هذه القبائل في هذه الفترة وما بعدها على مؤلفين متأخرين لمعلوماتهم أهمية خاصة .

ومن أبرز هؤلاء ابن سعيد المغربي (ت ١٢٨٦/٦٨٥) والحمداني المعروف بابن زماخ المتوفي في مطلع ق ١٤/٨ ، وابن فضل الله العمري (ت ١٣٤٨/٧٤٩) وأخيراً ابن خلدون (ت ١٤٠٥/٨٠٨) . والذي يهتما من هذه المعلومات هو ما يتعلق منها ببلاد البحرين

إن روايات هؤلاء جميعاً تكاد أن تتفق تمام الاتفاق على أن القبيلة التي كانت تمتلك زمام السلطة السياسية خلال القرنين السابع والثامن /الثالث عشر والرابع عشر في كل من البحرين والجمامة هي قبيلة بني عامر بن عقيل . فمن هم بنو عامر وما هو دورهم في الأحداث قبل هذا التاريخ وبعده ؟ للإجابة على هذا السؤال سوف نعود القهقري بضعة قرون إلى الوراء لنستعرض جوانب من تاريخ بلاد البحرين بما له من علاقة ببني عامر .

تجمع المصادر على أن بني عامر يتسبون إلى بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، وأن بطون بني عقيل المشهورة هم بنو عبادة وبنو المستنق وبنو خفاجة وبنو عامر .

وكان العراق وبلاد البحرين أحد المواطن الرئيسة التي استقرت بها هذه البطون ، بعد أن غادرت موطنها في نجد ، وقد لعبت هذه البطون أدواراً مهمة في هذين الاقليمين ، وكثيراً ما أطلق اسم بني عقيل على بطن أو أكثر من هذه البطون ، الأمر الذي يثير بعض الاشكال للباحثين في التمييز بين الفرع والأصل وهذا ما يحدث كثيراً عندما يشار لبني عامر في البحرين ببني عقيل . ويبدو أن ذلك راجع إلى تجاورها في المسكن واختلاطها بعضها ببعض^(٨) .

إن من الأجدي عند دراسة القبائل أن نميز ما بين الاتحادات القبلية وبين زعامة هذا الاتحاد إذ أن بعض العشائر والبطون والأفخاذ كثيراً ما ترتبط بهذا الاتحاد أو تنفصل عنه تحت ضغط الظروف السياسية والطبيعية والاجتماعية .

وفي الحقيقة فإن اسم بطون بني عقيل قد ارتبط ببلاد البحرين منذ أن انتقلوا إليها من مواطنهم في أواخر القرن الثالث/ التاسع على رأي رنر^(٩) ، حيث عاشوا جنباً إلى جنب مع

قبائل كثيرة مثل بكر بن وائل وتميم وعبد القيس وبنو سليم ، وكان أبرز هذه القبائل القبيلتين الأخعيرتين^(١٠) .

إن ترتيب الأحداث يشير إلى أن بطون بني عقيل عندما غادرت موطنها الأصلية في نجد استقرت في البحرين حيث كانت هذه البلاد تحكم من قبل القرامطة ، أو أنهم انتقلوا إليها مع ظهور حركة القرامطة بعد أن تحالفوا معهم . فابن الأثير يذكر في حوادث سنة ٨٩٩/٢٨٦ أن أبا سعيد الجنابي مؤسس دولة قرامطة البحرين قد لقي مؤازرة وتأييد بعض القبائل ذكر منها : عقيل عامر ، وإلى هذه المؤازرة يعود نجاحه . أما ابن خلدون فيروي أنه عندما قامت فتنة القرامطة بالبحرين صار كل من بني سليم والكثير من بني عقيل حلفاء وجنود لأبي طاهر سليمان ابن أبي سعيد الجنابي الذي خلف أباه في حكم قرامطة البحرين في حدود عام ٩١٥/٣٠٣ . كما أنه قال في موضع آخر بأن القرامطة كانوا يستنجدون بعرب البحرين على أعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم^(١١) .

والواقع أن هجرات قرامطة البحرين المتكررة على عمان وبلاد الشام وأرياف العراق خلال القسم الأكبر من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي^(١٢) ، يمكن اعتبارها من بعض الوجوه هجرات قبلية رافقها تسلل واستقرار بعض بطون بني عقيل في هذه المناطق .

فالروايات المتواترة تشير إلى ظهور نشاط بطون بني عقيل في حدود هذا التاريخ . فبنو خضاعة كانوا قد استقروا في خلال هذا القرن على أطراف الفرات الأوسط حيث تصاعد نشاطهم إلى درجة كبيرة في القرون اللاحقة .^(١٣) يضاف إلى ذلك ظهور نشاط المتفق بجوار البصرة بقيادة زعيمهم الأصغر^(١٤) اعتباراً من عام ٣٧٨ ، أما بنو عبادة وبنو مالك من بطون عقيل ، فإن ابن خلدون يعزو تكوين دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة في حدود عام ٩٩٠/٣٨٠ إلى هذين الفرعين بعد أن استطاعوا انتزاع هذه المناطق من أسرة بني حمدان من قبيلة بني تغلب إلا أنه بعد القضاء على دولتهم في الموصل عام ١٠٩٦/٤٨٩ عادت هذه البطون على الأقل الغالية العظمى منهم إلى جنوب العراق حيث استقروا ما بين البصرة وواسط والكوفة ، فعاشت عبادة متجاورة في المسكن مع بني المتفق^(١٥) .

و بمتابعة النشاط القبلي الذي كان يرافق نشاط قرامطة البحرين نجد أن بني هلال بن عامر

بن صمصمة وبني سليم قد استقر قسم منها في بلاد الشام ضمن دائرة النفوذ القرمطي هناك ، إلا أنه بعد أن استطاع المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ / ٩٥٣-٧٥) انتزاع بلاد الشام من القرامطة ، قام بنقل أتباعهم من بني هلال وسليم وإنزالهم ببلاد الصعيد^(١٧) .

أما مصر القسم الأكبر من بني سليم في بلاد البحرين ، فانه بعد ضعف قرامطة البحرين وارتقاء قبضتهم على البلاد خلال القرن الخامس / الحادي عشر ، اتحدت عبد القيس مع بني عامر إحدى بطون عقيل ضد بني سليم وأخرجوهم من البحرين ومعهم قسم من بني المنتفق (الخلط) فعادروها إلى أفريقيا (تونس)^(١٧) .

أن ابن خلدون حينما يتابع نشاط بطون عقيل المختلفة ، يمتاز عن القلقشندي بدقة نسبية في التمييز بين هذه البطون فهو يذكر أنه بعد نزوح سليم والمنتفق (الخلط) إلى أفريقيا ، بقيت في جهات بلاد البحرين سائر بني عقيل ، إلى أن استطاع أحد بطونهم وهم بنو عامر اخوة المنتفق أن يتغلبوا على بني الحسين^(١٨) (العيونيون) ويترعوا الملك منهم في بلاد البحرين وعان .

بقي أن نضيف ملاحظة أخيرة إلى ما ذكره ابن خلدون في أن بني عامر يعيشون إلى الجنوب من البصرة إلى جوار اخوتهم المنتفق^(١٩) ، فإنه قصد بذلك بأن مساكنهم تمتد من جنوب البصرة حتى البحرين ، وقد استندنا في ذلك إلى ما أورده سابقاً من نصوص وإلى ما سوف نورده حول مواطن بني عامر . كما أنه من الممكن أن نشير أيضاً إلى عدم وجود تعارض بين ما ذكره ابن خلدون هنا من أن مواطن المنتفق في البصرة هي إلى جوار بني عامر وبين ما ذكره في موضع آخر من أن بني المنتفق قد انتقلوا إلى أفريقيا (تونس) وعرفوا هناك بالخلط . إذ أن ابن خلدون قد قصد بذلك إلى أن قسماً من المنتفق قد انتقل إلى أفريقيا أما القسم الأكبر فقد استقر بجهات البصرة وقد بقوا في هذه الأماكن دون تغيير كبير حتى العصور الحديثة .

والواقع أن بطون بني عقيل وعلى وجه التخصيص المنتفق وعامر والذنان امتدت ديارهما من البصرة حتى اليمامة وعان كانوا متداخلين فيما بينهم وكان طبيعياً أن تقوم بينهم صلات التعاون والتناحر على حد سواء .

إن هذا التقارب في الأصل والموطن هو الذي حمل البعض على أن يطلق اسم أحد البطون على الأخرى أو أن يستعمل اسماً جامعاً لكافة هذه الفروع في هذه الامتداد الجغرافي والقبلي

المتصل وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمري في القرن الثامن الرابع عشر حينما قال بأن عرب عقيل وبطونها من عامر والمتنفق وغيرهما يعبر عنها بعرب البحرين^(٢٠) .

— ٢ —

علاقة بني عامر بقرامطة البحرين ونشاطهم في هذه الفترة

إن استعراضنا لنشاط بني عامر في هذه الفترة سوف يكون من أهدافه الأولى تأكيد وجود الصلة الوثيقة التي كانت تربطهم ببلاد البحرين ، ثم إضعا ف إن لم يكن بني الفكرة القائلة بأن ظهورهم فيها ونشاطهم كان مرتبطاً أشد الإرتباط بسقوط دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة عام ١٠٩٦/٤٨٩^(٢١) . إذ أن الأحداث التي سوف نورد ها ولعب فيها بنو عامر دوراً رئيساً قد وقعت قبل تاريخ صلة سقوط دولة بني عقيل . على أننا لا نستطيع أن نقطع بعدم وجود صلة بين تصاعد قوتهم وعودة بطون بني عقيل من جهات الموصل إلى جهات البصرة .

لقد سبقت الإشارة إلى ما رواه كل من ابن الأثير وابن خلدون عن قيام تحالف بين قرامطة البحرين وبعض القبائل ، والتي كان من بينها اتفاق تام في الأهداف والمبادئ بين الطرفين إذ ليس هناك ما يشير إلى أن هذه القبائل قد تقبلت معتقدات القرامطة ، كما أنه ليس هناك من دليل على أن الزعامة القرمطية كانت تقيم تحالفاتها على أسس عقائدية دائماً ، بل أنه من المؤكد أن مثل هذه التحالفات قد قامت نظراً لوجود نقاط التقاء سياسية واقتصادية وعسكرية بين الطرفين . إن إقليمي البحرين واليمامة هما من الأقاليم التي تكررت فيها الحركات الخارجة على السلطة المركزية في بغداد قبل ظهور القرامطة ، وأن البعض من هذه الحركات كان ذا أهداف ومبادئ سياسية ودينية معينة ، وقد ساهمت بعض قبائل هذه الأقاليم في هذه الحركات خصوصاً قبائل عبد القيس . وبالرغم من فشل هذه الحركات إلا أنها بالتأكيد قد تركت أثراً في نفوس وعقول السكان وأن أقل ما يمكن أن يقال في ظاهرة التمردات المتعددة في هذه المناطق هو وجود الكراهية للسلطة المركزية وزادها كرهاً الحملات العسكرية التي جردت ضدها وما يرافقها عادة من تنكيل وبطش ، الأمر الذي جعل السكان على استعداد لتأييد كل خروج على هذه السلطة كلما أتاحت لهم الفرصة لذلك . وفي تقديرنا أن العامل الرئيسي الذي يدفع القبائل للتعاون مع الخارجين على السلطة المركزية هو حالة الفقر المدقع التي يعيشها أفرادها نظراً

لفقر يبتهم وعجزها عن سد متطلباتهم وما ينشأ عن هذه البيئة من قيم بدوية ومفاهيم سياسية يتضائل أمامها أي وازع حتى الوازع الديني لذا فهم ينظرون إلى سكان المناطق الحضرية نظرة فيها الكثير من الازدراء والحقد ، لما يتمتع به هؤلاء من رفاه نسبي في العيش مقارنة بحياتهم البائسة . كما أنهم ينظرون إلى المناطق الحضرية على أنها المجال الحيوي لنشاطهم ولسد احتياجاتهم المادية ، بصورة سلمية أو حربية ، فعيشهم في أطراف سيوفهم كلما اضطروا إلى ذلك .

ومن هنا كان التقاء هذه القبائل التي تغلب عليها البداوة في عيشها أو في قيمتها مع الزعامة القرمطية التي قد تتيح لهم فرصة للكسب . أما القرامطة فقد كانوا يرون بالتأكيد في هذه القبائل القوة العسكرية الأساسية التي يمكن بواسطتها تحقيق أهدافهم أو بعضها دون أن تكلفهم أعباء مالية باهضة فهاجموا بواسطتها مناطق واسعة من الهلال الخصيب ومصر والجزيرة العربية وتحقق للطرفين فوائد مادية وسياسية واضحة . على أنه يجب أن نستدرك فنقول أنه لا يمكن أن نتوقع أن تسير العلاقة بين هذين الطرفين بشكل متوافق ولمدة طويلة . إذ لا بد أن تتور المنازعات فيما بينهم لسبب أو لآخر وقد ألمح ابن خلدون إلى ذلك حين قال : كان القرامطة يستمعون بعرب البحرين في حروبهم وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات ^(٢٢) . وكلما ظهرت بوادر ضعف السلطة تزايدت هذه التمردات ، وإذ كنا قد أشرنا فيما سبق إلى اضطراب بعض القبائل المتحالفة مع القرامطة إلى مغادرة البحرين فانه من الصعب ربط هذه المهاجرة بعلاقات سلبية مع السلطة القرمطية لعدم توفر الدليل الواضح الذي يؤثر ذلك إلا أننا نملك بعض الأمثلة الواضحة على خروج بعض حلفاء القرامطة عليهم خصوصاً في فترة ضعفهم وارتخاء قبضتهم على البلاد حيث أصبحوا تحت رحمة حلفائهم .

إن ما يعنينا هنا من هؤلاء الحلفاء هم بنو عامر ومن يمت إليهم بصلة نسب قريب ونتابع هذا النشاط حتى نجاهمهم في الاستيلاء على السلطة في بلاد البحرين .

يقول ابن الأثير أنه في ٩٨٨/٣٧٨ — ٨٩٠ قام زعيم المتفق المعروف بالأصفر (ويرد تارة باسم الأصفر) — وهو لقب له فيما يبدو وليس باسمه الحقيقي — بمحشد جموع كثيرة وحارب القرامطة وانتصر عليهم وأوقع بهم خسائر كبيرة ثم حاصرهم بالأحساء حيث تحصنوا ، فلما امتنعت عليه زحف إلى القطيف فاكسحها وأخذ ما فيها من عبيد وأموال تعود للقرامطة ثم انسحب إلى البصرة ^(٢٣) .

إن ابن الأثير لم يعطنا أية تفاصيل عن الموضع الذي تحرك منه الأصفر ، فلا نعلم أكانت البصرة هي المكان الذي تحرك منها وإليها عاد أم أن ذهابه إلى حدود البصرة كان خشية من أن يتقم منه ؟ ومما يكون من أمر فان زعيم المتفق كان يقوم بنشاطه في مناطق يعتبرها القرامطة واقعة تحت نفوذهم . والدليل على ذلك أنه عندما قام معز الدولة ومعه الخليفة المطيع بالله بالزحف على البصرة عام ٣٢٦ / ٩٤٧-٤٨ لانتزاعها من أبي القاسم البريدي وسلكوا إليها طريق الصحراء احتج قرامطة البحرين على ذلك معتبرين هذا العمل خرقاً لحرمه أراضيهم التي لا يمكن سلوكها بدون إذنههم وقد دفعهم هذا الانتهاك لأراضيهم للانتقام بالتعاون مع ابن الوجيه صاحب عان في الهجوم على البصرة عام ٣٤١ / ٩٥٢-٥٣^(٢٤) . فزعيم المتفق الأصفر كان نشاطه مستمراً في هذه البادية ما بين البصرة والبحرين حتى وفاته ، يعترض طريق الحاج ويرغم البويهيين على أن يدفعوا له مبالغ معينة لقاء عدم تعرضه للحاج^(٢٥) ، ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه الأعمال كانت في السابق موكولة للقرامطة . وأن بروز المتفق في هذه الفترة وفي بادية البصرة دليل واضح على إنكماش نفوذ القرامطة .

أما الرحالة الشهير ناصر خسرو فانه يذكر لنا أنه خلال وجوده في الاحساء عام ٤٤٣ / ١٠٥١ شاهد أميراً عربياً يحاصرها وانه قد مضى على حصارها لها سنة كاملة ، وقد قال له الأمير العربي أنه يعتزم الاستيلاء على الاحساء لأن أهلها لا دين لهم^(٢٦) . على أن الرحالة خسرو لم يذكر لنا اسم القبيلة المتمردة أو زعيم هذه القبيلة ، إلا أنها إشارة مهمة تدل أيضاً على تداعي سلطة القرامطة وخروج بعض القبائل عليهم . وأعقب هذه الأحداث بقليل قيام أحد الأثرياء العرب في جزيرة البحرين الملقب بأبي الهلول واسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج بالاستيلاء على جزيرة أوال (البحرين) عام ٤٥٠ / ١٠٦٨ ، ولقد سارع القرامطة بالاستعانة ببني عامر وبعض بطون عبد القيس ، إلا أن العوام انتصر عليهم في معركة بحرية وأعلن استقلاله في الجزيرة وولاه للخليفة العباسي^(٢٧) . ثم ثار على القرامطة بنو محارب أحد أقوى بطون عبد القيس بزعامه ابن عياش الذي انتزع القطيف منهم في العقد السادس من القرن الخامس / الحادي عشر ثم مد ابن عياش سيطرته على جزيرة أوال متربحاً أياها من العوام^(٢٨) ومن المحتمل جداً أن بني عامر كانوا هم القوة الرئيسية إن لم تكن الوحيدة من بين حلفاء القرامطة التي بقيت إلى جانبهم حتى النهاية . أن دي غوية الذي كتب عن نهاية قرامطة

البحرين معتمداً على الشروح والتعليقات الغنية لمخطوطة نادرة لديوان ابن المقرب تفوق كثيراً مخطوطة بومي ، ذكر بأن بني عامر كانوا قد فرضوا على القرامطة أن يدفعوا لهم جزءاً من حاصلات بلاد البحرين مقابل الحماية أو الخفارة^(٢٩) والخفارة أو الحماية نظام كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام بقرون عديدة وقد ظل موجوداً حتى وقت قريب ، وهم يعتبرونه حقاً من حقوقهم وكان عدم الإقرار لهم بهذا الحق يعرض القوافل التجارية ومناطق الاستقرار لهجاتهم . إن اعتراف القرامطة لبني عامر بهذا الحق هو موقف يبدو سليماً من جانبهم لأنه يخفف عنهم أعباءً أمنية ومالية كبيرة ، ويؤمن سير القوافل التجارية مقابل نفقات قليلة تدفعها السلطة والتجار ، إلا أنه من الوجهة الثانية يعكس ضعف القرامطة وعجزهم عن القيام بهذا العبء أمام قوة بني عامر .

— ٣ —

علاقة بني عامر بالعيونيين

لقد تلا الأحداث التي أشرنا إليها سابقاً والتي هي مؤشر على ضعف وتداعي قوة القرامطة قيام عبدالله بن علي العيوني الذي ينتمي إلى عبد القيس بمحاولته الناجحة في إنهاء حكم القرامطة من بلاد البحرين مستعيناً بسultan السلاجقة أبي الفتح ملكشاه الذي أرسل له قوة كبيرة بقيادة أرتق بك ، فتم له انتزاع القطيف أولاً من ابن عياش عام ٤٦٧ / ١٠٧٦ — ١٠٧٧ وأقام حكومة فيها تدين بالتبعية للخلافة العباسية في بغداد .

ومما هو جدير بالملاحظة أن بني عامر وقفوا إلى جانب القرامطة في محنتهم هذه فقاتلوا جنود العباسيين كما قاتلوا جنود عبدالله بن علي العيوني^(٣٠) .

إن قيام سلطة العيوني الجديدة في بلاد البحرين لم تمنع بني عامر من محاولة فرض نفوذهم عليهم ومطالبتهم بأن يدفعوا لهم مثلما كان يدفع لهم القرامطة ، لذا فقد شهروا سلاحهم ضد الأمير عبدالله بن علي العيوني الذي كان قد قطع عنهم ما كان يدفعه لهم القرامطة من عوائد وجرايات إلا أن الأخير تصدى لهم بقوة وعنف وأوقع بهم هزيمة كبيرة وخسائر فادحة الأمر الذي اضطر قسماً منهم إلى اللجوء إلى قبيلة المنتفق بجوار البصرة^(٣١) .

على أن نشاط بني عامر لم يتضاءل أو يضعف بعد قيام حكم العيونيين واتجاه سلطة العيونيين

نحو الانحدار التدريجي ، بل اننا نستطيع أن نقول إلا فترة قصيرة ، ثم أخذ يتزايد بشكل ملفت للنظر وبصورة طردية يتناسب إنهم كانوا أحد العوامل الرئيسية في إضعاف سلطة العيوينيين وأن ما سوف نورد من وقائع تؤيد ما ذهبنا إليه .

فاين الأثير يذكر في حوادث عام ٤٨٣ / ١٠٩٠ ان زعيم بني عامر قد قام على رأس عشرة آلاف رجل بالزحف من الاحساء نحو البصرة ونهب المدينة نهباً شنيعاً وأحرق بعض مواضعها الأمر الذي حمل السلطة ببغداد على الإسراع في إرسال نجدات كبيرة لإنقاذ المدينة المنكوبة (٣٢) .

إن هذا الحادث يعكس لنا أن بني عامر قد أصبحوا سادة البادية ما بين البصرة وبلاد البحرين وهذا ما يؤيده أيضاً وصف الشريف الأدرسي (ألف كتابه في حدود عام ٥٤٨ / ١١٥٣) لبادية البحرين حيث قال ... «ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة برمتصل لا عمارة فيه ، أي ليس فيه حصن ولا مدينة وإنما به اختصاص لقوم من العرب يسمون عامر ريعة» (٣٣) .

ومها يكن من أمر فأن اشعار ابن المقرب العيويني (ت في حدود عام ٦٣٠ / ١٢٣٢ — ٣٣) طافحة بالإشارة إلى نشاط بني عامر وإلى الصدامات التي كانت تحدث فيما بينهم وبين الحكام العيوينيين وكثيراً ما حاصروا واحات القطيف والاحساء تحت قيادة زعيمهم غفيلة (أو عقيلة) (٣٤) . فقد كان بنو عامر يصرون على أن يدفع لهم العيوينيون من الأموال مثلاً كان القرامطة يدفعونه لهم . إلى أن نجحوا في النهاية في إرغام العيوينيين على الإقرار لهم بذلك . لذا فقد وصف ابن المقرب في إحدى قصائده بلاد البحرين بأنها أرض عامر لأنهم أهل البادية وأصحاب خفارتها (٣٥) .

إن خضوع الحكام العيوينيين لمطالب بني عامر مؤشر واضح على عجزهم عن إخضاعهم بالقوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسة الترضية معهم . وأن ذلك يمكن أن يترجم على أن بني عامر قد أصبحوا يتحملون مسؤولية حاية أرياف البحرين وقوافل التجار والحجاج مقابل مبالغ معينة يحصلونها من المزارعين والسلطة الحاكمة ، الأمر الذي جعلهم على صلة مباشرة بهؤلاء جميعاً مما سوف يمكنهم في المستقبل من تطويرها إلى علاقات ذات طبيعة سياسية أيضاً .

كما أنه من الجهة الأخرى أصبح زعماء بني عامر في وضع مادي مكثف من كسب ود زعماء القبائل الصغيرة عن طريق العطايا والهدايا لكي يعترف هؤلاء بزعامة بني عامر وعدم التعرض من جانبهم إلى طرق القوافل وكل ذلك كان يؤدي إلى تزايد الدور الذي يلعبه بنو عامر في حياة بلاد البحرين .

ولعل ما أورده كل من ابن الأثير وابن خلدون يعكس مدى تزايد قوة بني عامر في نهاية القرن السادس / الثاني عشر فقد ذكر بأنه في سنة ٥٨٨ / ١١٩٢ قام بنو عامر بقيادة زعيمهم عميرة (بن ستان بن عقيلة بن شبانة) بمهاجمة البصرة ونهبها ، وعندما تقدمت قبيلتا خضاعة والمتنق لصددهم تمكنت عامر من هزيمتهم ، وقد تكرر هذا الهجوم عام ٥٩٣ / ١١٩٦ — ٩٧ إن هذه الهجمات يمكن اعتبارها من بعض الوجوه مؤشراً على ضعف العيونيين الذين كان قد وكل إليهم الخليفة الناصر لدين الله حامية أرياف البصرة وطريق الحاج (٣٦) .

لقد أشرنا فيما سبق عند الحديث عن سمات البيئة في بلاد البحرين إلى أن البدو يأخذون بالتغلغل التدريجي في مناطق الاستقرار في ظل ظروف معينة ، وكما أوضح كوبر فإن أي شيء يضعف الحكومة في مناطق الاستقرار ينتج عنه تغلغل البدوة (٣٧) ومن بين الذين يستقرون منهم بعض أفراد الأسر التي تترعم القبائل ، إلا أنهم يحافظون على صلتهم بقبائلهم ، وبحكم استقرارهم يكونون على صلة بالزعامات المؤثرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في مناطق الاستقرار وبما يدور بينهم من منافسات وصراعات فينجرون إلى الاشتراك بها بطريقة أو أخرى مرتكزين في قوتهم على قبائلهم .

وتنطبق هذه الصورة بوضوح على بني عامر منذ النصف الثاني من القرن السادس خصوصاً بعد أن أصبحوا يشكلون جزءاً أساسياً من سكان البحرين ، وكانوا القوة التي ارتكز عليها الحكام العيونيون في المحافظة على مناطق الاستقرار وطرق القوافل من هجمات البدو .

ولقد ازداد ارتباط بني عامر بالأسرة العيونية الحاكمة بالبحرين وذلك عن طريق المصاهرة التي من الواضح أن دوافعها كانت سياسة (٣٨) . فازداد اتصالهم بالحكام العيونيين واشتركوا في الصراعات التي كانت تدور فيما بينهم فكانوا يمنحون تأييدهم إلى هذا الحاكم أو ذلك بحسب مصالحهم . وما هو جدير بالملاحظة هنا أن بني عامر أخذت تظهر بين أفخاذهم زعامات

متعددة ويتسبب كل فخذ إلى زعيمه فهناك الشبانات نسبة إلى زعيمهم شبانة والقديمات نسبة إلى زعيمهم قديمة والغفيلات أو العقيلات نسبة إلى زعيمهم غفيلة أو عقيلة وكل فخذ أو أكثر كان يمنع ولأه لزعيم من زعماء العيونيين المتقاسمين حكم البلاد . إلا أنه من الواضح أن قوة بني عامر الرئيسة كانت تتركز في يد أسرة عميرة بن سنان بن غفيلة . فصادرنا تشير إلى أن زعيم بني عامر راشد بن عميرة أخذ يلعب دوراً هاماً في الحياة السياسية^(٣٩) . فقد اشترك مع أحد أفراد الأسرة العيونية الطامح في السلطة المدعو عزيز بن الحسن في اغتيال الحاكم العيوني محمد بن أبي الحسن مقابل حصول راشد على جميع أموال الحاكم الموجود في القطيف وأوال بالإضافة إلى حصوله على عدد من السفن والآلاف الدنانير التي سوف تدفع له سنوياً .

وقد تم تنفيذ المؤامرة وتولى عزيز بن الحسن السلطة^(٤٠) . إلا أن الفضل ابن القتيل سارع إلى الاستعانة بخاله الحسن بن المقداد بن سنان زعيم أحد أفخاذ بني عامر . كما طلب الفضل المساعدة من الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥/١١٨٠ — ٦٢٢/١٢٢٥) فأنجذه بها . ولما نجح الفضل في استلام السلطة قرب إليه قسماً كبيراً من بني عامر الذين أخذوا يمارسون نفوذاً كبيراً عليه ، فمنحهم ما أرادوا بأن أقطعهم البساتين في أوال والعيون الجارية بما تسقيه من النخيل والأراضي وقسم عليهم جميع مناطق صيد الأسماك . كما ملكهم السفن التجارية وسفن الغوص وما فيها من الغاصة ، وأخذوا يتوارثون ذلك^(٤١) .

وقد أوضح الشاعر ابن المقرب في إحدى قصائده بأن بني عامر قد أصبحوا يملكون كل شيء ويلبسون الحرير ويركبون الخيول المظهمة ويأكلون أحسن الطعام^(٤٢) .

ولعل القصيدة التالية لابن المقرب العيوني تعبر أصدق تعبير عن مدى تغلغل بني عامر في الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد البحرين ، وتعكس مدى الخطر الشديد الذي أصبح يهدد المستقبل السياسي للأسرة العيونية الحاكمة^(٤٣) .

أخذوا الحساء من الكئيب إلى محاً	ديث العيون إلى نقا حلوان ^(٤٤)
والخط من صفواء حازوها فما	أبقوا بها شبرا إلى الظهران ^(٤٥)
والبحر فاستولوا على ما فيه من	صيد إلى در إلى مرجان
ومنازل العظماء منكم أصبحت	دوراً لهم تسكرى بلا أثمان

وَأَمَضُ شَيْءٍ لِلْقَلُوبِ قِطَائِعَ بِالْمُوزَانِ لَهُمْ وَكَرْزَكَانَ^(٤٦).

ومها يكن من أمر فإن هذا التغلغل الواسع لبني عامر في المرافق الاقتصادية للبحرين سوف تنشأ عنه بالتأكيد سيطرة سياسية . لأن كل سيطرة اقتصادية سوف يعقبها حتماً سيطرة سياسية . على أن الذي يحدّر بالذكر هنا هو أن ضعف وتداعي الدولة العيونية في بلاد البحرين ليس منشأه الضغوط الداخلية فحسب ، بل كانت هناك ضغوط خارجية تعرضوا لها صادرة من جزيرة قيس التي حلت محل سيراغ كمركز تجاري رئيس في الخليج العربي ، وقد استطاع ملوكها من بني قبصر بعد عدة هجرات على سواحل وجزر البحرين ، في فرض شروط معاهدة لم تكن لصالح العيونيين . إذ أصبح بموجبها للملك بني قبصر جزء كبير من واردات باستين القطيف والاحساء ومن واردات مفاصات اللؤلؤ بالبحرين^(٤٧) فحرموا بذلك الدولة العيونية من جزء كبير من وارداتها ، إضافة إلى تحكم قيس بتجارة الخليج العربي . ومما هو جدير بالإشارة هنا أن وصف ابن الجاور لجزيرة البحرين أوّال في حدود هذه الفترة يدل على ازدهار حياتها الاقتصادية ، إذ يقول بأن أهلها شبه البحر في كرمهم وأن جزيرة أوّال بها ثلثائة وستين قرية امامية ما خلا قرية واحدة ، وليس هناك أجود من لؤلؤها^(٤٨) .

— ٤ —

قيام إمارة العصفوريين العامرية

إن حالة التمزق والتداعي الذي أخذ يهدد إمارة العيونيين بالسقوط منذ مطلع القرن السابع / الثالث عشر ، قد أثار كما يبدو حالة قلق واسعة بين أعيان بلاد البحرين ، بعد أن أدركوا تمام الإدراك عجز الحكام العيونيين بما هم عليه من الضعف عن حماية الأمن ، الأمر الذي سوف يعرض أموالهم ومصالحهم التجارية للخطر من قبل بني عامر إذا لم يسارعوا لكسب رضاهم ، فأخذ أغنياء البحرين وأعيانها يتسابقون إلى إرضاءهم بالأموال والهدايا ويقومون معهم صلات شخصية وثيقة ، بل ويتواطؤون معهم ضد العيونيين ، وعلى رأس هؤلاء المتواطئين كان إبراهيم بن عبدالله بن أبي جروان أبرز أعيان الاحساء وأثريائها . وقد عاتبه على ذلك الشاعر ابن المقرب العيوني المعاصر للأحداث بقصيدة جاء فيها :

أتراك ترضى أن يحدث جاهل أو عاالم من نازح أو دان

فيقول كان خراب دار ربيعة بعد الحار بنواني جروان^(٩٩)
يأبى لك الطبع الكريم ونخوة عربية شهدت بها الشقلان

وقد تطور الأمر أخيراً إلى اتفاق معظم أعيان الاحساء ووجوهها على تسليم السلطة في البلاد إلى زعيم بني عامر المهلك عصفور بن راشد بن عميرة ، فاتصلوا به واتفقوا معه على خطة يقوم بموجبها بمحاصرة الاحساء على أن يقوموا هم بدورهم بخذلان الحاكم العيوني الأمير الفضل بن محمد بن مسعود واقناعه بعدم جدوى مقاتلة بني عامر بل عليه أن يسترضيهم وأن يفتح لهم أبواب أسوار الاحساء . وفي حالة نجاح هذه الخطة فقد اشترط زعماء الاحساء على الشيخ عصفور بأن يكتفي بالاستيلاء على أملاك الأسرة العيونية جميعها وأن لا يتعرض لغيرها من الممتلكات .

وقد تم تنفيذ الخطة بنجاح وقبض الأمير عصفور على الأمير العيوني الفضل بن محمد وطرده من الاحساء بعد أن كان قد استولى على كافة أمواله وأموال أسرته وكف عن أموال الآخرين^(١٠٠) وهكذا تم لبني عامر الاستيلاء على السلطة في الاحساء وإنهاء حكم الأسرة العيونية فيها وبذلك استطاعوا أن يحققوا الخطوة الأولى والأهم لكي يتموا سيطرتهم على كافة بلاد البحرين على أن مصادرنا لا تسعنا بتاريخ محمد لاستيلاء الأمير عصفور بن راشد بن عميرة العامري على السلطة في الاحساء ، لكن الشيخ محمد بن عبدالله العبد القادر الذي ألف كتاباً في تاريخ الاحساء قد ذكر بأن ذلك قد تم في العقد الرابع من القرن السابع^(١٠١) . ومن الواضح كما سوف نرى بأن هذا التاريخ الذي حدده الشيخ ابن عبد القادر قد قصد به تاريخ استيلاء العصفوريين على كافة بلاد البحرين . والذي يميل إليه أن ذلك قد تم على فترات وأن تاريخ استيلاء الشيخ عصفور على الاحساء هو في حدود العقد الثاني من القرن السابع / العقد الثاني من القرن الثالث عشر ولقد استندنا في تقرير ذلك إلى قائمة الحكام العيونيين ومدة حكمهم في كل من الأحساء والقطيف وأوال والتي أوردها صاحب المخطوطة التيمورية والذي كان معاصراً للأحداث كما يفهم من إشاراته^(١٠٢) .

بعد أن استولى الأمير عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان على واحات الاحساء ، أصبحت تواجه إمارته الفتية مسؤوليات متعددة ، وأهمها هي أولاً حاجتها من الأخطار المحتملة من بقايا الإمارة العيونية في كل من واحات القطيف وجزيرة أوال وثانياً الخطر المنبعث من

مملكة جزيرة قيس التي تملك أسطولاً بحرياً وتجارياً قوياً يتحكم بتجارة وسيادة الخليج العربي ، وإذا كان من الصعب حسم العداوة ما بين بني عامر والعيونيين إلا عن طريق القوة ، إلا أنه من الممكن جداً إقامة علاقات حسنة مع بني قيصر ملوك جزيرة قيس خصوصاً فيما إذا اعترف لهم بحقوقهم في جزء من واردات بساتين الأحساء التي كانت قد ضمنها لهم المعاهدة المعقودة سابقاً بينهم وبين حاكم الدولة العيونية الأمير الفضل الذي كان قد أطاح بحكمه العصفوريون . وإذا ما تحقق ذلك فإن الإمارة العصفورية الناشئة سوف تستطيع المحافظة على منفذها التجاري على الخليج وهو ميناء العقير الذي لا يمكن لها الاستغناء عنه في تجارتها ما بين داخل الجزيرة العربية والعالم الخارجي . كما أنه من الجهة الأخرى ربما سوف يتمكن الأمير عصفور بن راشد من تحييد بني قيصر فيما لو حاول الاستيلاء على بقايا ممتلكات العيونيين .

ومن المرجح جداً أن مثل هذه العلاقة الحسنة ما بين الطرفين قد تحققت كما يفهم من كلام ابن الجاور (ت ٦٩٠ / ١٢٩١) ^(٥٣) ، وكما يستدل من وصف المؤرخ العثماني أحمد منجم باشي (ت ١١١٣ / ١٧٠٢) ^(٥٤) للأمير عصفور أنه مقدم أمراء الملك جمشيد ملك جزيرة قيس ^(٥٥) . فهذا الوصف للأمير عصفور بن راشد يحمل في طياته دلالات معينة هي وجود علاقة حسنة بين الطرفين ، ومما يكن من أمر فإن منطق الأمور يقودنا إلى مثل هذا الاحتمال ، إذ أن ملوك بنو قيصر بالإضافة إلى أنهم سوف يضمنون حقوقهم في جزء من واردات الاحساء فإن قوة الأمير عصفور هي أحد الضمانات المهمة لاستمرار حصولهم على جزء من واردات أوال والقطيف من العيونيين ، إذ يمكن استخدام هذه القوة للضغط من الداخل على العيونيين في سبيل هذا الهدف .

ومما يكن من أمر فأننا نجعل بشكل دقيق الكيفية التي تم بها انتقال القطيف إلى حكم بني عامر ، وكل ما نعرفه أن صاحب المخطوطة التيمورية قد ذكر بأن آخر حاكم عيوني هو الأمير محمد بن محمد بن أبي ماجد كان قد غادر القطيف في حدود عام ٦٣٠ / ١٢٣١ — ٣٢ أو قبلها بقليل وأن حكمه قد اقتصر بعدها على جزيرة أوال ^(٥٦) . أما وصف الحضرة (ت ٧٣٥ / ١٣٣٤ — ٣٥) فإنه كان أكثر وضوحاً عن مصير القطيف بعد مغادرة الحاكم العيوني الأمير محمد بن محمد لها فحين تعرضه للحديث عن استيلاء الأتابك أبو بكر السلغري على جزيرة أوال قال بأن القطيف كان يحكمها آنذاك أقوى شيوخ العرب وأوسعهم نفوذاً هو أبو عاصم بن سرحان

بن محمد بن عمرو [عميرة] بن سنان^(٥٧) . وما لا شك فيه بأن أبا عاصم هذا ما هو إلا أحد زعماء بني عامر وقريب الصلة بالأمير عصفور . والسؤال الذي قد يثار هو كيف استولى العصفوريون على السلطة في القطيف وهل أن أبا عاصم بن سرحان كان يحكم القطيف نائباً عن قريبه الشيخ عصفور بن راشد أم أنه كان مستقلاً عنه تمام الاستقلال ؟ والذي نميل إليه هو أن الصلة وثيقة بين الاثنين وأن الأمير عصفور كانت زعامته معترف بها بين كافة أفخاذ بني عامر ، ونستدل على ذلك من الأحداث التي سوف نتلو مقتل الأمير أبا عاصم حيث أن الشيخ عصفور أخذ يحكم القطيف مثلها مثل باقي بلاد البحرين من دون أن تثور في وجهه معارضة قبلية . من الواضح إذاً أنه في حدود نهاية العقد الثالث / من القرن السابع / الثالث عشر تمكن بنو عامر من بسط سيطرتهم على معظم بلاد البحرين باستثناء جزيرة أوال كما أن سيطرتهم قد امتدت إلى الهامة وعمان أيضاً .

قال ابن سعيد المغربي الذي كان قد زار المشرق العربي مرتين ، الأولى بين عامي ٤٦٨ — ١٢٤٥/٦٥٢ — ١٢٥٤ والثانية عام ٦٦٦ / ١٢٦٧ وهو يصف بلاد البحرين بأن « بين القطيف والهامة مجالات بني عامر ولم يبق معهم لأحد من العرب عز في بلاد الهامة والبحرين ، ومنهم الآن ملوك الصقعين » . ثم وصف بني عامر في موضع آخر فقال بأنهم عرب الهامة والبحرين^(٥٨) .

والواقع فإن الروايات عن نفوذ بني عامر في القرن السابع / الثالث عشر والتي عند ابن فضل الله العمري وابن خلدون والقلقشندي كلها منقولة عن ابن سعيد المغربي وهي تتشابه إلى حد كبير لفظاً ومعنى . فهم ينقلون قوله سألت أهل البحرين في سنة ٦٥١ / ١٢٥٤ حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا « الملك فيها لبني عامر بن عقيل ، وعصفور وبنوه هم أصحاب الأحساء دار ملكهم »^(٥٩) .

كما ترد رواية عن ابن سعيد المغربي تتعلق بنفوذ بني عصفور في الهامة فهو يقول « سألت عرب البحرين لمن الهامة اليوم ؟ فقالوا لعرب من قبس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر »^(٦٠) .

ولعل النص التالي الذي يروى عن ابن سعيد هو أكثر وضوحاً ، فعند حديثه عن بني عامر

قال «وملكوا أرض البجامة من بني كلاب ، وكان ملكهم فيها لمهد الخمسين والستائة عصفور وبنوه»^(٦١) . وما هو جدير بالذكر أن ابن خلدون ينفرد بالقول بأن بني عصفور قد غلبوا أيضاً على عمان^(٦٢) .

— ٥ —

علاقة إمارة العصفوريين بالسلفريين (أتابكة فارس) .

قبل التعرض لعلاقة العصفوريين بأتابكة فارس من السلفريين ، يجدر بنا أن نثبت ملاحظتين هامتين تتعلقان بمجمل الأوضاع العامة في الخليج العربي في الربع الثاني من القرن السابع / الثالث عشر .

فالملاحظة الأولى هي أن بلاد فارس أخذت تتعرض في هذه الفترة لهجمات الخوارزميين الذين كانوا قد غادروا بلادهم على أثر الهزائم القاسية التي ألحقها بهم المغول . ثم ما لبث أن ظهر خطر المغول بعد اختفاء الخوارزميين عن المسرح بقليل فانتشرت هجاتهم في رقعة من إيران . وقد ولدت هذه الهجمات المتكررة تخريبات واسعة واضطراباً في الحياة السياسية والاقتصادية والأمنية في إيران ووصل إلى مياه الخليج العربي وسواحله الشرقية . وفي مثل هذا الجو من الخوف والهلل يمكن لنا أن نتصور اندفاع سيل من المهاجرين نحو المناطق الأكثر أمناً من الخليج . ولما كانت الجزر والشواطئ العربية بعيدة نسبياً عن مراكز الخطر فهي أكثر أمناً ، لذا فإن قسماً من المهاجرين كان لا بد له أن يندفع للاستقرار فيها إذا ما توقعنا أن نسبة مهمة من المهاجرين كانوا من التجار والأثرياء الذين هم من أكثر الطبقات شعوراً بالخوف فأننا نستطيع أن نقول بأن إمارة العصفوريين قد تعزز مركزها الاقتصادي والسياسي باستقبالها لمثل هؤلاء المهاجرين .

والملاحظة الثانية هي أن الإمارة العيونية التي أصبحت ممتلكاتها قاصرة على القطيف وجزيرة أوال ثم بعد ذلك على جزيرة أوال فقط كانت تعاني ضعفاً شديداً في الوقت الذي كان تحت سلطانها أئمن ثروة في الخليج وهي مغاصاة اللؤلؤ ومثل ذلك يمكن أن يقال عن ملوك جزيرة قيس من بني قيسر .

إن مجمل هذه الأوضاع في الخليج العربي كان لا بد أن تحرك الزعماء الطموحين للاستفادة

منها في الحصول على أفضل غنيمة . وكان أسبق هؤلاء أمير هرموز سيف الدين أبو النظر ، إذ استطاع في جمادى الآخرة عام ٦٢٦ / مايس ١٢٢٩ الاستيلاء على جزيرة قيس بعد أن تمكن من قتل الملك سلطان قوام الدين آخر ملوك بني قيصر . وبذلك أنهى حكم هذه الأسرة في جزيرة قيس (٦٣) . وبعد أن تم لأمر هرموز ذلك أرسل نوابه إلى جزيرة البحرين حيث طالبوا حاكمها العيوني الأمير منصور بن علي بأن يدفع لهم من واردات البحرين مثلاً كان يدفعه لبني قيصر على اعتبار أن أمير هرموز أصبح الوارث لكافة ممتلكات وحقوق ملوك قيس بعد أن أدخل قاعدتهم الرئيسية تحت سلطانه . وقد اضطر الأمير العيوني على الإقرار لأمر هرموز بهذه الحقوق (٦٤) .

إلا أنه بعد وفاة أتابك فارس الأمير سعد بن زنكي بن سفريز مودود السلغري عام ٦٢٨ / ٢٣٠ خلفه في الملك ابنه أبو بكر (٦٢٨ / ١٢٣٠ — ٦٥٨ / ١٢٦٠) فثار نزاع بينه وبين أمير هرموز سيف الدين أبو النظر ، ويعلل لنا زكريا القزويني سبب ذلك بأن سكان جزيرة قيس وبسبب ظلم أمير هرموز لهم قد استغاثوا بأبي بكر السلغري في حين أن غفاري القزويني (ت ٩٧٥ / ١٥٦٧ — ٦٨) ومنجم باشي ، يعللان أسباب هذا النزاع بخروج أمير هرموز عن فروض الطاعة والخضوع التي كان يؤديها سابقاً للسلغريين وذلك بعد وفاة أتابك سعد ، مما حمل الأمير الأتابك أبو بكر على أن يحشد ضده جيشاً كبير مستعيناً بأصحاب السفن من أتباع بني قيصر والذين لا بد أن يكون القسم الأكبر منهم من العرب ، وقد استطاع أبو بكر في محرم ٦٢٨ / تشرين الثاني ١٢٣٠ انتزاع جزيرة قيس من أمير هرموز ، وبعد ذلك سعى أبو بكر لأن يسيطر نفوذه على كافة المناطق التي كان لبني قيصر نفوذ عليها فقام بإرسال عماله إلى جزيرة أوال ليطالبوا حاكمها العيوني بأن يدفع له مثل ما كان يدفعه لبني قيصر سابقاً ولأمر هرموز لاحقاً ، ولكن الأموال التي تجبا في هذه المرة كانت تم باسم حقوق الخلافة العباسية في بغداد وأن أبا بكر نائب عنه وقد خضع الأمير العيوني لهذه المطالب . وما يحذر ذكره هنا أن صاحب المخطوطة التيمورية كان من بين موظفي الأتابك الذين كانوا يتولون الإشراف على جباية حقوقه في جزيرة أوال (٦٥) .

على أن الأتابك أبا بكر السلغري لم يكتف بما حصل عليه من العيونيين بل تطلعت نفسه للسيطرة المباشرة على جزيرة أوال ، وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع في خطته هذه من

الأمير عصفور بن راشد ، فأرسل ضدها حملتين بحريتين إحداهما عام ١٢٣٢ / ٦٣٠ — ٣٣ والثانية عام ١٢٣٥ / ٦٣٣ — ٣٦ إلا أن الأمير العيوني محمد بن محمد بن أبي ماجد الذي خلف منصور بن علي في الحكم قد استطاع بيسالة صد هاتين الحملتين^(٦٦) .

إننا نميل إلى الاعتقاد أنه في حدود هذه الفترات بالذات قام بنو عامر بالاستيلاء على القطيف مستغلين الظروف الصعبة التي أخذت تمر بها الإمارة العيونية وهي تواجه أطاع السلفيين .

ومها يكن من أمر فان الأتابك أبا بكر قد أعد حملة بحرية كبيرة عام ١٢٣٨ / ٦٣٦ — ٣٩ اشترك فيها عدد كبير من العرب استطاع من خلالها الاستيلاء على جزيرة أوال وقتل آخر حكام العيونيين الأمير محمد بن أبي ماجد ثم نهب أمواله وأموال أسرته وتعرضوا لتكثير شديد وبذلك يكون حكم العيونيين قد زال من جميع بلاد البحرين وأن الأمر الجدير بالانتباه هنا أن وصاف الحضرة قد سكت تماماً عن الحملات الفاشلة التي قادها أبو بكر ضد عرب البحرين كما أنه حدد ذا الحجة من عام ٦٣٣ / آب ١٢٣٥ كتاريخ لاستيلاء أبي بكر على جزيرة أوال ، وعنه أخذ هذا التاريخ جميع الكتاب المعاصرين الذين قد أشاروا إلى هذه الواقعة . إن سبب متابعتهم لوصاف يعود إلى عدم اطلاعهم على ما أورده صاحب المخطوطة التيمورية بخصوص هذه الوقائع والتواريخ التي ذكرناها . لقد رجحنا أقوال الأخير لأنه معاصر للأحداث والتواريخ التي ذكرناها . فهو أحد الموظفين الذين عملوا في جزيرة أوال في خدمة أبي بكر السلفي^(٦٧) . في حين أن وصاف قد ألف كتابه سنة ٧٢٨ / ١٣٢٨ أي بعد حوالي القرن من وقوع هذه الأحداث . ويعطينا وصاف بعض المعلومات المفيدة عن علاقة أتابكة فارس بالخلافة العباسية حيث قال بأنه بعد الاستيلاء على أوال والتي يسمونها البحرين ثبتت في ديوان الخليفة المعتمد بالله ، وفي كل سنة يكتب دخلها وخراجها ويرسل به إلى بغداد مع معتمد الخليفة في أوال ثم يضيف القول أيضاً بأن الأتابك أبو بكر السلفي بعد أن انتهى مباشرة من أوال اعترم الاستيلاء على القطيف ، إلا أن مناعة تحصيناتها وقوة العرب الذين يحكمونها وكثرة عددهم جعلته يؤجل تنفيذ هذه الخطة لحين استكمال الاستعدادات الضرورية لمثل هذه الحملة^(٦٨) . إلا أنه من المحتمل أن لهذا التردد والتأجيل علاقة بالأخطار التي أخذت تهدد بلاده في هذه الفترة من قبل المغول ، بعد أن أخذت هجراتهم تنتشر في مناطق عديدة من

إيران على الرغم من أنه — وكما يذكر الجويني كان قد سبق له أن أرسل أخاه تهمتن وهو يحمل هدايا ثمينة^(٦٩) . إلى أوكتاي (ت ٦٣٩ / ١٢٤١) الذي تولى حكم المغول بعد وفاة جنكيزخان . ومن الواضح أن الأتابك كان بذلك يحاول استرضاء المغول لتحاشي خطرهم عن بلاده .

بعد مرور أكثر من خمس سنوات على استيلاء الأتابك أبي بكر السلفري على جزيرة أوال ، ساحت له الفرصة ، كما يبدو ، لاحتلال بعض موانيء ساحل بلاد البحرين ، ففي ربيع عام ٦٤١ / ربيع ١٣٤٤ جرد حملة كبيرة استطاع بها الاستيلاء على قلعة جزيرة تاروت ، وقتل أكبر شيوخ بني عامر فيها وهو أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو [عميرة] بن سنان والذي كان كما يبدو حاكماً لمنطقة القطيف . إذ أن وصاف قد نعته بأنه كان « من وجوه العرب ومشايخهم ومن أرباب المجد الشامخ والكرم الباذخ »^(٧٠) . وكتيجة للانتصار الذي أحرزه الأتابك في معركة تاروت استطاع الاستيلاء على مدينة القطيف وواحاتها . كانت خطة الأتابك ترمي إلى حكم هذه المناطق حكماً مباشراً ، فوضع لهذا الغرض حاميات عسكرية فيها . إلا أن وجود هذه القوات الأجنبية قد أثار غضب واستياء بني عصفور ، فأخذوا يشنون الهجمات المتكررة ويضايقونها الأمر الذي حمل الأتابك أبو بكر على أن يقوم باستبدال هذه الحاميات كل سنة بغيرها ، ويزيد من دعمها وتقويتها . لكن ذلك كما يبدو لم يخفف الضغط على قواته ومن أزمته وأعبائها المالية ، لذا فقد لجأ إلى استرضاء العصفوريين بأن أخذ يدفع لشييوخهم اتاوة سنوية مقدارها اثنا عشر ألف دينار مصري ، على أن يكون وقت دفع هذا المبلغ عند جني محصول نخيل واحات القطيف وفي مقابل ذلك يكف العصفوريون عن التعرض للإدارة السلفرية .

ولقد كان بنو عصفور وفي أحايين كثيرة يلجأون إلى التهديد باستعمال القوة كلما شعروا بوجود تلكوة ، من قبل السلفريين في دفع هذه الأتاوة بل أن شيوخ بني عصفور كما يبدو لم يكتفوا بمبلغ الأتاوة السنوية المقررة لهم . إذا يروي لنا وصاف حكاية تعكس بعض مناعب الإدارة السلفرية وهو ينقل ما يرويه عن أحد موظفي الأتابك الذين يعملون في جباية الرسوم في ميناء القطيف .

ومفادها أنه في بعض الأحيان يقوم بعض الشيوخ بإرسال أحد أتباعه إلى موظفي الأتابك

في ميناء القطيف يطالبهم بأن يدفعوا له مبلغاً من المال مع بعض السلع ، وعندما يظهر هؤلاء الموظفون تلكوا في دفع ما يطلب منهم ، يتم إرغامهم على الدفع عن طريق التهديد باستعمال القوة ضدهم ويضيف وصاف إلى ذلك القول بأن عرب البحرين كانوا ينظرون إلى ما يدفع لهم من أتاوة ، كحق من حقوقهم الثابتة ، وأنها بمثابة القدية لقاء قبولهم ببقاء الأتابكة في بلادهم .

في ضوء التجربة الصعبة التي مرت بها الإدارة السلفية في بعض أجزاء بلاد البحرين والتي استمرت لمدة تزيد على العشر سنوات ، ونتيجة للأخطار الخارجية التي أخذت تهدد دولتهم ، وبغية التخلص من بعض هذه الأعباء والاستعداد لمواجهة أخطار محتملة تكون أشد من سابقتها ، قام الأمير أبو بكر بن سعد السلفي بتسليم السلطة في بلاد البحرين للعصفوريين مقابل قيامهم بدفع مبالغ معينة من الأموال سنوياً إلى خزينة الأتابكة في فارس . وقد أورد وصاف ذكر زعيم بني عامر اللذين تم تسليم السلطة إليهما ، وهما عصفور بن راشد بن عميرة ومانع بن علي بن ماجد بن عميرة ، كما أنه أورد ذكر تسليم القطيف إليهما وسكت عن ذكر جزيرة أوال في حين أننا نجد أن كلا من القاضي أحمد غفاري ومنجم باشي قد ذكر اسم الأمير عصفور بن راشد فقط . أما المناطق ، التي كانت قد سلمت إليه ، فعندهما أنها قد شملت كلا من القطيف والبحرين وعان (صحار) والحسا^(٧١) . ومعنى ذلك أن سلطة إمارة عصفور العامرية قد أخذت تشتمل على كافة بلاد البحرين بما فيها أوال ، إضافة إلى أجزاء من نجد (الجمامة) ومن عان . وبما يجدر ذكره هنا أن اسم عان كان قد ذكرها ابن خلدون أيضاً كجزء من ممتلكات إمارة العصفوريين^(٧٢) . وأن مؤلفات العصر الوسيط كثيراً ما تطلق عبارة عان لتعني بها ميناء صحار . لذا فمن المرجح أنه قد استعمل هنا بهذا المعنى . ان التاريخ الذي أعطاه وصاف لاستقلال بني عامر بالسلطة في كافة بلاد البحرين هو عام ٦٥٤ / ١٢٥٦ ، وهذا التاريخ يتعارض بعض التعارض مع ما رواه ابن سعيد المغربي — والذي سبق الإشارة إليه — من أن السلطة في بلاد البحرين كانت في عام ٦٥١ لعصفور وبنيه وأن قاعدة ملكهم هي الحسا . وللتوفيق بين ما رواه كل من وصاف وابن سعيد ، نرى أن هناك احتمالين : فالاحتمال الأول هو أن وصاف ربما لم يكن دقيقاً في هذا التاريخ الذي ذكره حول تسليم السلطة في بلاد البحرين لعصفور بن راشد ، والاحتمال الثاني هو أن رواية ابن سعيد يجب أن تفهم على أن

المقصود بها أن سلطة الشيخ عصفور كانت تشمل على كافة بادية البحرين ، وأن منطقة الاستقرار التي تحت حكمه المباشر هي واحات الحسا فقط ، حيث اتخذ منها قاعدة لنفوذه ، وأن عدم إشارة ابن سعيد لكل من جزيرة أوال والقطيف في روايته ، قد يعني أنها كانتا خارج سلطة الشيخ عصفور . والواقع فإن رواية وصاف حول تسليم القطيف إلى الشيخ عصفور تتضمن الاعتراف بأنه صاحب النفوذ الأول في معظم بلاد البحرين .

بقيت نقطة أخيرة يحذر مناقشتها وهي تتعلق بمدى اتساع نفوذ السلفيين في بلاد البحرين . إذ أن كلا من المستوفي القزويني (ألف كتابه عام ٧٤٠ / ١٣٤٠ وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ / ١٦٥٧) كانا قد ذكرا بأن أبا بكر قد استولى على الأحساء إضافة إلى القطيف وأوال^(٧٣) في حين أن وصاف الحضرة والذي كان عصره أقرب لعهد الأتابك أبي بكر من عصرهما ، لم يذكر اسم الحسا ضمن المناطق التي استولى عليها . يضاف إلى ذلك أن ابن سعيد المغربي قد ذكر في روايته التي مرت بنا سابقاً بأنه في عام ٦٥١ / ١٢٥٣ — ٥٤ ، كانت الحسا قاعدة نفوذ الشيخ عصفور بن راشد في البحرين ، ومعنى ذلك أنها تحت سلطته قبل التاريخ المذكور وقبل التاريخ الذي حدده وصاف لانسحاب السلفيين من بلاد البحرين .

للتوفيق بين هذه النصوص يمكن القول بأن الحسا لم تخضع لحكم الأتابك بشكل مباشر ، وإنما بقيت تحت حكم الشيخ عصفور والذي ربما كان يعترف بتبعية اسمية للسلفيين .

ومها يكن من أمر فلا بد لنا أن نشير إلى الأسباب المحتملة التي كانت تكن خلف انسحاب السلفيين من بلاد البحرين في هذه الفترة وتسليمها إلى الأمير عصفور بن راشد . إذ لا يمكننا أن نغزو ذلك إلى المتاعب العسكرية والمالية التي واجهتهم في حكمها فحسب ، بل يمكن أن نعزى إلى عوامل لا تقل عنها أهمية وهي : أولاً الزحف المغولي المدمر في داخل الأراضي الإيرانية بقيادة هولاكوخان . وثانياً ظهور زعيم طموح في الخليج العربي . وهو محمود بن أحمد الكوسى (الكوشى) القلجاني ، الذي استولى على السلطة في مملكة هرموز التي كانت تشمل على جزء من الساحل الإيراني والعراقي وأخذ يتطلع إلى توسيع دائرة نفوذه واستطاع أن يتحكم بمدخل الخليج العربي ولا بد أن يكون هذا الزعيم قد أثار مخاوف الأتابك أبي بكر من احتمال قيام تعاون بينه وبين العصفوريين ، يكون الهدف منه مواجهة خصمهم المشترك أبي بكر السلفي وإذا ما علمنا بأن للعصفوريين أسطولاً تجارياً قوياً يمكن أن يستخدم أيضاً في عمليات عسكرية ، مثلاً

كان قد سبق للأتابك نفسه أن استعان به في حملاته على جزيرتي قيس وأوال ، لادركتنا مدى المخاطر المحتملة التي قد تهدد السلفريين من قيام مثل هذا التعاون .

كل هذه الاحتمالات التي سبق الإشارة إليها ربما كانت تكن خلف سياسة الأتابك أني بكر الجديدة التي أخذ يتبعها انجاء بني عامر وزعيمهم عصفور بن راشد وذلك بفتح صفحة جديدة معهم وتسليمهم السلطة في كافة بلاد البحرين بما فيها جزيرة أوال . وبذلك يكون قد أضعف احتمالات قيام جبهة مشتركة ضده ، كما أنه سوف يتمكن من الاستفادة من جنوده الذين كانوا يرابطون في البحرين في مواجهة الخطر المغولي المحتمل .

قبل أن ننهي الحديث عن علاقة السلفريين ببلاد البحرين ، نرى أنه من المفيد أن نشير إلى النقود السلفرية التي اكتشفها البعثة الدانماركية في جزيرة البحرين . فقد وجدت قطعة نقدية مصنوعة من الرصاص ، تعود إلى زمن الأتابك أني بكر إلا أنه غير واضح عليها مكان الضرب أو تاريخه . ويقرر لويك الذي كتب بحثاً عن النقود المتداولة في الخليج العربي ، بأن هذه العملة لا بد أن تكون قد ضربت في جزيرة البحرين ، فإن الأمر ليس مؤكداً بل محتملاً . خصوصاً ونحن قد عرفنا فيما سبق أن البحرين قد استقلت وخرجت من دائرة النفوذ السلفري في عهد أني بكر . والواقع فإن اكتشاف النقود في مكان ما لا يحتم على كل حال أن تكون هذه النقود قد ضربت في المكان الذي اكتشفت فيه . وإذا كانت هذه النقود قد ضربت في عهد السيطرة السلفرية على الجزيرة فمن المفروض أن اسم الخليفة العباسي يجب أن يذكر إلى جانب الأتابك ما دام الأخير يعترف بتبعيته إلى الخلافة العباسية . ولما كان اسم الخليفة غير مذكور على هذه العملة . فمن المحتمل جداً أنها كانت قد ضربت بعد سقوط بغداد أي بعد زوال السيطرة السلفرية عن الجزيرة . الأمر الذي يحملنا على رفض فرضية لويك من أن هذه العملة قد ضربت في جزيرة البحرين .

لقد اكتشفت أيضاً في جزيرة البحرين نقود مصنوعة من النحاس وهي تحمل اسم أبش خاتون بنت الأتابك سعد بن أني بكر السلفري (١٢٦٤ — ١٢٨٦) ، وهي آخر حكام السلفريين ، وكان قد تزوج بها منكوتيمور وهو الابن الحادي عشر . لولاكوخان . كما وجدت أيضاً عملة برونزية تعود إلى السلفريين ، وهي لا تحمل تاريخاً ولا اسم الحاكم الذي ضربت باسمه .

ومها يكن من أمران اكتشاف هذه النقود في جزيرة البحرين ، يدل على وجود صلات كثيرة وربما سياسية أيضاً ما بين إمارة العصفوريين وبلاد فارس (٧١) .

— ٦ —

علاقة إمارة العصفوريين بماليك مصر ومغول العراق وإيران

بتدمير المغول لمركز الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦ / ١٢٥٨ ، ثم سيطرتهم على معظم أجزاء إيران والأناضول تكون الحضارة العربية الإسلامية عموماً ، والمشرق العربي خصوصاً قد دخلت مرحلة جديدة وحرجة للغاية ولفترة طويلة نسبياً . فقد كان من نتائج هذا الاحتلال المغولي أن تغيرت الخارطة السياسية لمنطقة واسعة من العالم الإسلامي ، إذ اختفت كيانات سياسية تماماً ، وبرزت كيانات سياسية جديدة ومن هذه الكيانات السياسية التي ظهرت وقدر لها تلعب دوراً مهماً جداً في تاريخ المشرق العربي ، دولة المالك في مصر . وقد برزت أهميتها السياسية والعسكرية بسرعة بعد نجاحها في سحق الهجوم المغولي على بلاد الشام في معركة عين جالوت عام ٦٥٨ / ١٢٥٩ ، ثم نجاحها في توحيد سوريا ومصر في دولة واحدة ، مثلما كانتا في معظم الفترات التاريخية السابقة . كذلك في استمرار تصديها للخطر المغولي ، وتولي دور القيادة في هذا السيل .

إن تجاور هاتين الدولتين — دولة المغول الأيلخانيين في إيران والعراق ودولة المالك في مصر والشام — وتصدي إحداهما للأخرى ، أدى إلى أن يقوم بينهما صراع عسكري وسياسي وثقافي واقتصادي لفترة طويلة ، مما دفع كلاً منهما لكسب الأنصار والحلفاء وحشدتهما لمواجهة الطرف الآخر .

إن إحدى القوى المهمة التي توصل كل طرف لكسبها إلى جانبه وزجها في الصراع الدائر بينهما ، هي القوى القبلية ، وذلك لما تتمتع به هذه القوى من أهمية عسكرية واقتصادية ، إذ كانت مساكنها تتأخم أرياف العراق والشام وتتحكم بطرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج ومن هذا الموقع يكون بإمكانها أن تقدم خدمة عسكرية واقتصادية لأحد الجانبين أو كلاهما . وقد يكون العكس إذ قد تلحق ضرراً لأحدهما أو كليهما . ومن أبرز هذه القوى القبلية ، آل قُصَل الذين كانوا يسيطرون زعامتهم على قبائل طي القوية إضافة إلى قبائل كثيرة كانت منضوية

تحت لوائهم ، فنفوذهم كان يمتد على يواي الشام وأجزاء واسعة من البواي الغربية للعراق وكذلك على أجزاء من نجد (٧٥) .

ومن القوى القبلية المهمة أيضاً قبيلتنا عبادة وخفاجة أصحاب النفوذ الواسع في معظم غرب ووسط وجنوب العراق . ثم أخيراً قبيلة بني عامر والتي تبسط نفوذها في المنطقة الممتدة من جنوب البصرة حتى عمان الشمالي ، ثم يمتد غرباً إلى أجزاء من نجد .

إن الدارس لموقف هذه القوى القبلية من القوتين الكبيرتين المتصارعتين ، يلاحظ أنها كانت متقلبة في ولائها نحوهما وذلك تبعاً لظروفها وما تأمل الحصول عليه من منافع من كل منهما . فهدف القبائل الذي ييهمها قبل كل شيء الحصول على أكبر قدر ممكن من المنافع . إلا أن المالك كانوا في معظم الأحيان هم الفاترون بولاء هذه القبائل . ومها يكن من أمر فإننا مَعْنُون بالدرجة الأولى بمتابعة علاقة العصفوريين بهذه القوى ، وحديثنا سوف يقتصر عليهم بقدر ما تسمحنا به المصادر .

وقبل كل شيء يجب القول أن المصادر لا تسمحنا لكي نقرر بدقة الموقف الذي اتخذته العصفوريون . من ظهور النفوذ المغولي في كل من إيران والعراق ، بالرغم من أننا نميل إلى الافتراض بأن العصفوريين لم يأسفوا كثيراً لزوال دولة بني العباس وسبب هذا الافتراض أن العباسيين قد كانوا سنداً قوياً للعيوينيين الذين كانوا يعترفون بتبعيةهم للخلافة العباسية ولا بد أن زوال الإمارة العيونية على يد الشيخ عصفور قد أدى إلى توتر علاقتهم بالعباسيين ، ولعل ذلك خلق خشية لدى بني عصفور من احتمال انتقام العباسيين ، هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فإن الخصم الآخر للعصفوريين وهم السلغريون الذين كانوا قد فرضوا سيطرتهم لفترة محدودة على أجزاء هامة من بلاد البحرين — هم أيضاً أتباع للعباسيين ويعترفون بسيادتهم ، وكانوا قد فرضوا نفوذهم على الخليج باسم الخلافة العباسية . فالغزو المغولي فضلاً عن كونه قد أزال خطر العباسيين عن بني عصفور ، فانه أيضاً قد أدى إلى إضعاف نفوذ السلغريين في الخليج إلى حد كبير . الأمر الذي ربما أدى إلى شعور بني عصفور بنوع من الارتياح ، رغم الأخطار المحتملة على بلادهم من قبل المغول . هذا وكنا قد افترضنا سابقاً بأن إمارة العصفوريين ربما تعزز مركزها الاقتصادي والسياسي بتقاطر سيل المهاجرين من العراق وإيران خصوصاً من طبقة

التجار وأصحاب الأموال الماربين فرعاً من الخطر المغولي المحيق بهم ، وربما تعزز هذا المركز أكثر بظهور الصراع المغولي المملوكي .

على أن الأمر الذي لا لبس فيه ، هو نشوء علاقة جيدة ما بين بني عصفور وسلطنة المالك في مصر . فالقلقشندي ينقل عن الحمداني المعاصر لما يرويهِ قوله ، بأن بني عامر قد (وفدوا على السلطان بالديار المصرية في دولة الظاهر بيبرس (٦٥٨ / ١٢٥٩ — ٦٧٦ / ١٢٧٧) ، صحبة مقدمهم محمد بن أحمد بن العقدي [العقدي] بن سنان بن غفيلة [غفيلة] بن شبانة بن عامر ، وعوملوا بأتم الأكرام وأفيض عليهم سابغ الأنعام ، ولحظوا بعين الاعتناء^(٧٦) . على أنه لدينا ما يدل على أن هذه العلاقة الحسنة قد أصابها بعض الفتور بعد وفاة السلطان بيبرس فبتجدد الصراع على نطاق واسع وفي كافة الميادين بين المغول والمالك قام آل فضل وآل مرا حلفاء المالك بمهاجمة عرب البحرين عام ٦٨٤ / ١٢٨٥ — مثلاً هاجموا المغول — ونهبوا أموالهم وقتلوا عدداً من رجالهم وكان من بينهم أحد زعمائهم المدعو علي بن ماجد^(٧٧) . إن هذا الهجوم على بني عصفور ربما كان قد تم بتوجيه من المالك لأنهم كانوا قد حالفوا المغول . على أن تطور الأحداث كان قد أرغم الطرفين على إعادة توثيق علاقتها . فالمغول كانوا قد سعوا لا للتحكم بطرق التجارة البرية عبر أوراسيا فحسب ، بل كانوا راغبين بالسيطرة أيضاً على الطرق البحرية الرئيسية التي تربط البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي بالصين والهند^(٧٨) . فقد أرسل الإيلخان أرغون ، البوذي المتعصب (١٢٨٤ — ٩١) في عام ٦٨٩ / ١٢٩٠ يطلب مجيء مشين من الجنويين إلى بغداد على أن يبحر في نهر دجلة هذا وقد صادف في الوقت ذاته وجود سبعائة شخص من الفرنك (من أطني غربي أوروبا في بغداد ، وصلوها عن طريق البحر ، معترمين قضاء فصل الشتاء فيها . فما كان من الإيلخان أرغون إلا أن طلب منهم صنع سفيتين من نوع قادرغه (غراب) ، والتي هي من السفن التي تسير بالأسرعة والمجاذيف ، وتستعمل للأغراض التجارية والحربية . ويمكن لكل سفينة من هذه السفن أن تحمل ما بين ١٠٠ — ١٢٠٠ شخص ، أما طولها فيتراوح ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ قدم . وكان هدف الإيلخان من صنع هذه السفن ، هو لتسيورها في الخليج العربي والبحر العربي لمرقلة المواصلات التجارية ما بين الهند ومصر . إلا أن هذه الخطوة لم يكتب لها النجاح نظراً للتراع الذي ثار بين الجنويين من بحارة السفينتين ، فانقسموا إلى فئتين متناحرتين ، الأمر الذي أدى إلى استحالة استمرار إبحار السفينتين وتنفيذ الخطة المرسومة^(٧٩) لها .

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

والثاني والذي قد يكون هو الأرجح أن يكون قد تم بتحريض من الملك عز الدين عبد العزيز بن إبراهيم الطيبي (ت ٧٢٥/١٣٢٥) والذي سبق وأن ذكرنا بأنه كان يحكم إقليم فارس ومعظم أجزاء الخليج العربي . وأن العراق العربي بما فيه البصرة كان قد أقطعه المغول لوالده ثم أقطع له أيضاً بعد أن أعقب والده في السلطة . فقيام السلطان أبو سعيد بإقطاع البصرة لآل فضل كان يعني خسارة مادية للطيبين ، فطرد آل فضل من البصرة من قبل العصفوريين الذين يدنون بالتبعية لعز الدين عبد العزيز ربما قد يرغب السلطان أبي سعيد على إعادة إقطاعها للطيبين كما كان في السابق .

ومهما يكن من أمر فإن هجوم العصفوريين على آل فضل في البصرة كان فيه خدمة لكل من المالك والطيبين معاً .

على أن العلاقة بين بني عصفور وسلاطين المالك في مصر قد دخلت مرحلة جديدة من القوة والروسخ في عهد السلطان الناصر قلاوون والذي تولى السلطنة ثلاث مرات أطولها وأهمها الفترة التي امتدت من ٧٠٩ إلى ٧٤١ — ١٣٠٩ — ٤٠ ، ويبدو أن هذا السلطان كان يدرك أكثر من غيره مدى النفع السياسي والعسكري والاقتصادي الذي يمكن أن تؤديه العلاقة الحسنة مع أمراء العصفوريين . والأدلة التي سوف نوردّها تؤكد لنا قيام مثل هذه العلاقة . ويبدو أن أحد أشكال هذا التعاون هو أن يتولى العصفوريون التعرض لقوافل الحجاج العراقيين واليرانيين التي قد تسير تحت راية السلطنة المغولية وذلك لمنعها من تحقيق أي كسب سياسي أو اقتصادي من ذلك . إلا أنه بعد ما تصالح السلطان الإيلخاني أبو سعيد مع السلطان الناصر قلاوون قام مباشرة بتسيير قافلة الحج العراقية من البصرة عام ٧٢١ / ١٣٢١ ، قام العصفوريون باعتراض طريق هذه القافلة بألف فارس وأرادوا نهبا . فإكان من المسؤولين عن قيادة هذه القافلة إلا أن سارعوا لإبلاغ بني عصفور بأن القافلة قد سيرت بموافقة السلطان الناصر ، وعندما تأكد لبني عصفور الأمر أجابوهم — لأجل الناصر نخفركم بغير شيء — وسمحوا للقافلة بمواصلة السير إلى مكة .

فلما بلغ الأمر السلطان الناصر سر به وبألف في الإنعام على بني عصفور^(٨٣) .

على أن ابن فضل الله العمري يروي لنا ما يدل على قوة العلاقة ما بين العصفوريين

والسلطان الناصر قلاوون إذ يقول «بأن بني عامر قد توالى وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت الثاني منهم وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل رؤساء بوادي الشام بتسهيل الطريق لوفودهم وقصاصهم ، وتأمينهم في الورد والعود ، وانتال على جماعتهم ، وأخلصت له طاعتهم ...» ثم ان ابن فضل الله قد أوضح بأن بني عامر قد استمروا في التردد على مصر بأعداد كبيرة ، حيث قال «فكان لا يزال منهم وفود بعد وفود ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ، لا يزال يسد تلك الرحاب ويغص بقبابه تلك الهضاب ، بنجيام مشدودة بنجيام ، ورجال بين قعود وقيام» ثم قال «وكانت الإمرة فيهم في أولاد مانع بن عصفور إلى بقية أمراء فيهم وكبراء لهم»^(٨٤) . وقد ذكر لنا ابن فضل الله بعض أسماء زعماء بني عصفور الذين وفدوا على السلطان الناصر قلاوون عدة مرات والتقى هو بهم ، فذكر منهم هلال بن أبي الحسن العامري العقيلي ، والذي وصفه بأنه من كبار قومه^(٨٥) . وكلبي بن ماجد العامري العقيلي ، والذي قابله ابن فضل الله عام (٧٣٢ / ١٣٣١) في مصر وسمع منه بعضاً من شعره ، ووصفه بأنه من أمراء البحرين وأنه ذو وقار وإجلال^(٨٦) .

والواقع فإن الجهاز المملوكي المعقد كان يضم في أقسامه ، قسماً خاصاً بمهمته متابعة شؤون القبائل . وهذا الدائرة تسمى المهندارية ، والموظف المسؤول عنها يسمى المهندار^(٨٧) .

كما أن الإدارة المملوكية قد اعتنت عناية خاصة بمراتب رؤساء القبائل ، فقسّمهم إلى رتب كل بحسب قوته وسعة نفوذه والخدمات المتوقعة منه . وعلى أساس هذه الأهمية ثبت أسلوب مكانته والألقاب التي يجب أن تذكر عند مراسلته .

وفيما يخص أمراء بني عصفور ، فبعد أن ضببطت أسماؤهم ، صنفوا إلى ثلاث مراتب . فأصبحت ألقابهم التي ترد في المراسلات معهم على الشكل التالي : فالمرتبة الأولى منهم مخاطبون في الرسائل بالمجلس السامي الأميري . أما المرتبة الثانية فيخاطبون في الرسائل بالألقاب مجردة من بيا النسب . كالمجلس السامي الأمير ... أما الذين يأتون في المرتبة الثالثة فيخاطبون بلقب مجلس الأمير^(٨٨) .

هذا وقد أورد القلقشندي قائمة تتضمن أسماء أمراء بني عصفور ومرتبة كل منهم في سلم المخاطبات السلطانية ، كل حسب أهميته . وسوف نورد هذه الأسماء في الموضع المناسب ،

محاولين الاستفادة منها في معرفة نوع الإدارة في الإمارة العصفورية العامرية .

بقي لدينا إشارة واحدة يحمل بنا ذكرها ، وهي تخص العلاقة ما بين بني عصفور ومغول العراق . فقد ذكر الحسيني (ت ٧٦٥ / ١٣٦٣ - ٦٤) بأنه في عام ١٣٥٤ / ٧٥٥ قام عرب البحرين بمهاجمة البصرة بهدف الاستيلاء عليها ، فتصدت لهم قوات المغول ، إلا أنها عجزت عن صددهم ومنيت بهزيمة . فما كان من حاكم العراق الشيخ حسن الكبير الجليري — الذي كان قد خلف المغول الأيلخانيين بعد انقراض دولتهم — إلا أن استنجد بالأمير فواز بن مهنا الطائي أحد شيوخ آل فضل والمتحالف مع الجليريين فاستطاع الأمير فواز إيقاع الهزيمة بعرب البحرين من بني عصفور بعد أن قتل من الفريقين عدد كبير^(٨٩) .

والذي يبدو لنا أن هجوم بني عصفور على البصرة كان بهدف تعويض خسارتهم الاقتصادية والسياسية باستيلاء ملك هرموز على جزر البحرين وإرغام الأمراء في بقية أجزاء بلاد البحرين على أن يدينوا له بالتبعية ، وهذا ما سوف نشير إليه عند الحديث عن علاقة بلاد البحرين بمملكة هرموز .

يتضح لنا مما سبق بأن سلاطين الماليك في مصر كانوا أوفر حظاً ونشاطاً من المغول في كسب ولاء رؤساء القبائل العربية المختلفة بما فيهم بني عصفور ، وعلى امتداد رقعة جغرافية واسعة كما كانوا أكثر تقديراً للأدوار التي يمكن للقبائل العربية أن تنهض بها في صنع الأحداث .

(٧)

علاقة العصفوريين بالطييين حكام فارس وجزيرة قيس

إن الاضطراب في الحياة السياسية والاقتصادية في إيران والذي رافق ظهور المغول فيها ، قد انعكس أثره أيضاً في مناطق واسعة من الخليج العربي ، وكان من أبرز نتائج ذلك ضمور بعض القوى السياسية فيه وانكماش حجمها وظهور قوى جديدة نشطت لملء الفراغ في المنطقة . ففي حدود عام ٦٤٢ / ١٢٤٤ — ٤٥ قام الأمير محمود بن أحمد الكوسي القلجاني — الذي ينحدر من أصل عربي ، كما تذكره الشاهنامة — بالاستيلاء على السلطة في مملكة هرموز^(٩٠) لينهي بذلك السلالة الحاكمة القديمة ويؤسس سلالة جديدة أخذت تلعب دوراً خطيراً في الحياة

السياسية والاقتصادية للخليج العربي لفترة طويلة . لقد تطلعت نفس هذا الأمير الطموح لبسط نفوذه على كافة سواحل الخليج العربي والبحر العربي ، ققام في العقد السابع من القرن السابع / الثالث عشر ، بقيادة حملة بحرية وبرية كبيرة هدفها إخضاع عمان الداخل . إلا أن هدفه هذا سرعان ما اصطدم بمعارضة من قبل أمراء عمان الداخل من النهابين ، مما جعله يغير في اتجاه حملته ويوجهها نحو ظفار التي كانت تحكمها أسرة الحبوضيين . وقد شن هجوماً بحرياً عليها بعد أن جند عدداً كبيراً من العرب وقتك بأهلها ونهبها نهباً ذريعاً وانسحب بعدها عائداً إلى قاعدته قلها . إلا أن هذا النصر الذي أحرزه الأمير محمود القلهاقي لم يردون أن يدفع ثمنه غالباً . فقد تاهت قواته في الصحراء وهي في طريق عودتها براً إلى مواطنها ، فأت عدد كبير من أمراء هذه القوات جوعاً وعطشاً . أما بقية أفراد هذه الحملة والتي تركت كحامية في قلهاات ومعها عدد من السفن ، فقد تعرضت هي الأخرى لهجوم شنه عليها رجال قبيلة بني جابر ، فأبادوها وأحرقوا سفنهم الراسية في الميناء . ولقد قدرت المصادر العمانية عدد الذين كانوا قد هلكوا من أفراد هذه الحملة بخمسة آلاف رجل^(٩١) .

ولقد أخطأ ولكنسون حينما ذكر بأن أمير هرموز محمود بن أحمد القلهاقي كان من بين الذين هلكوا في هذه الحملة^(٩٢) ، إذ أن الأمير القلهاقي قد عاش فترة غير قصيرة بعد هذه الحملة .

إن هذه النكبة التي أصيبت بها قوات الأمير محمود القلهاقي لم توقف طموحه للسيطرة على مناطق الخليج العربي ، فقد قام في حدود عام ١٢٧٠ / ١٢٧١ بحملة بحرية ضد جزيرة قيس إحدى أهم المراكز التجارية في الخليج — وتمكن من الاستيلاء عليها . كما تمكن في حدود هذا التاريخ من إخضاع جزر البحرين والقطيف .

ويعدد لنا الشبانكارى (ألف كتابه في حدود عام ١٣٤٢ / ٧٤٣ — ٤٣) ونظرتي (ألف كتابه في حدود ١٤١٣ / ٨١٦) المناطق التي كان قد أخضعها الأمير محمود بن أحمد القلهاقي لسيطرته ، بأنها قد شملت كل من ظفار وقلهاات وقيس والبحرين والقطيف وتروين^(٩٣) ، وأن نفوذه أخذ يمتد من الهند حتى البصرة^(٩٤) .

والذي يبدو لنا أن الأمير محمود قلهاقي لم يتمتع بنفوذه طويلاً في جزر وسواحل بلاد البحرين ، إذ أن اتساع سلطته كان يتهدد مشاريع المغول الاستراتيجية في السيطرة على طرق

التجارة ما بين المحيط الهندي والبحار العربية ، لذا فقد قام الحاكم المغولي لبلاد فارس سوغونجاقي ببناء أسطول في خورسييف عند سواحل فارس وهاجم به أساطيل أمير هرموز عام ١٢٧٢/٦٧١ . إلا أن هذه الحملة منيت بهزيمة كبيرة ، فإما كان من سوغونجاقي إلا أن عاود الكرة مرة أخرى وقام باستعدادات أكبر ، فبنى سفناً جديدة كما صادر سفن بني عصفور ورعاياهم من سواحل وجزر بلاد البحرين واستطاع بذلك تحقيق النصر على أسطول الأمير محمود القلهاقي وتعقبه حتى قلهايات .

إن البرفور أوبين يبدي شكوكه في الرواية القائلة بأن الأمير القلهاقي كان قد استطاع إخضاع جزر البحرين والقطيف . فهو يرى بأنه من غير الممكن لأمر هرموز بعد الهزيمة التي حاقّت بأسطوله أمام أسطول المغول أن يستطيع السيطرة على هذه الأجزاء (٩٥) .

إلا أننا نقول بأنه ليس هناك من مصدر يشير بأنه قد تمّ للأمير محمود القلهاقي بسط نفوذه على جزر وسواحل بلاد البحرين بعد هزمته أمام المغول . إن الأكثر قبولاً أن يقال بأنه يستبعد على أمير هرموز أن يحتفظ بسلطته على بلاد البحرين بعد هذه الهزيمة ومهما يكن من أمر فإن الفترة التي سيطر فيها أمير هرموز على بلاد البحرين ربما كانت قصيرة جداً .

ومما هو جدير بالذكر أن النهائي قد ذكر بأن جزر البحرين كانت قد خضعت لحكم المغول مباشرة بعد زوال سلطة السلفريين ، من دون أن يبين سنده التاريخي في ذلك (٩٦) . ولقد تابعه في ذلك آخرون ممن نقل عنه دون أدنى تمحيص . إن الأدلة التي أوردناها أو التي سوف نوردّها تضعف هذا التصور إلى حد كبير . ويمكن أن نوضح ابتداءً بأن جزر البحرين يصعب إخضاعها بالقوة إلا لمن يملك قوة بحرية ضاربة في الخليج العربي . وحيث أن المغول لم تتوفر لديهم مثل هذه القوة لذا فإن فرض سيادتهم عليها أمر مشكوك فيه إلى حد بعيد .

ومهما يكن من أمر فإن ما لدينا من أدلة تكفي للقول بأن العصفوريين كانوا في هذه الفترة يتبعون بسلطة كاملة في بلاد البحرين وأنهم أقاموا علاقة حسنة مع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس على الرغم من العداء القائم بين هذا السلطان والمغول في العراق وإيران . أما بخصوص ظفار فإن الحبوضيين كانوا أصحاب السلطة الواسعة فيها كما كانوا أصحاب النفوذ الأقوى في حضرموت أيضاً إلى الحد الذي جعلهم يتحدون الدولة الرسولية في اليمن . ومما هو جدير بالذكر

أن كلا من ظفار والبحرين هي من المناطق التي ذكرتها المصادر بأنها كانت خاضعة للأمير محمود القلهاقي .

لقد كانت هناك صلات قوية ما بين العصفوريين في البحرين والحبوضيين في ظفار وحضرموت خلال هذه الفترة ونستدل على ذلك من أنه عندما قام سلطان اليمن المظفر الرسولي عام ٦٧٨ / ١٢٧٩ بإرسال حملة ضد ظفار الحبوضي ، ووصلت هذه القوات إلى ظفار ، سرت إشاعة مفادها ان قوات بلاد البحرين قد وصلت لنجدة الحبوضيين مما أثار مخاوف القوات اليمنية . وبالرغم من أننا لا نملك معلومات كافية عن مدى صحة هذه الإشاعات التي راجت في حينها ، إلا أن مجرد انتشارها يعكس في الواقع وجود الصلة المتينة ما بين ظفار الحبوضي وحكام البحرين . على أن موقف أمراء بني عصفور من ظفار سرعان ما تغير بعد أن نجح سلطان اليمن في إنهاء حكم الحبوضيين فيها . فالخزرجي مؤرخ الدولة الرسولية ، يذكر بأنه « لما افتتح السلطان مدينة ظفار وقتل سالم بن ادريس ارتعدت الأقطار القصية هيبة للسلطان وامتلأت من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين ... فأرسل صاحب عمان بهديته ... ووصلت هدايا صاحب الصين ، ووصل صاحب البحرين إلى زبيد^(٩٧) ... إن كل ما نستطيع قوله مع كبير من التحفظ هو أنه في أواخر القرن السابع / الثالث عشر ارتبطت بلاد البحرين بنوع من العلاقة الغير مباشرة بالمغول . إذ أنه في عام ٦٩٢ / ١٢٩٣ أقطع الایلخان كيخاتو (٦٩٠ / ١٢٩١ — ٦٩٤ / ١٢٩٥) سلطان العراق وإيران ، إقليم فارس بما فيه جزيرة قيس إلى تاجر عراقي اسمه جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي الملقب بابن السوامي^(٩٨) لمدة أربعة أعوام . وإبراهيم هذا كان قد استطاع أن يجمع له ثروة طائلة من تجارة اللؤلؤ والخيول ومن احتكار التجارة ما بين الخليج العربي والمحيط الهندي وامتلك ما يقرب من مائة سفينة . فهو في عرف ذلك الزمان من أصحاب الملايين . ولقد حصل جمال الدين إبراهيم الطيبي من الأيلخان المغولي على كل امتيازات الحاكم المستقل ، فقد منح لقب ملك الإسلام وأن تضرب له النوبة في بابه ثلاث مرات^(٩٩) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المقصود بالاقطاع الذي منحه الایلخان كيخاتو إلى جمال الدين إبراهيم الطيبي ليس شبيهاً بالاقطاع الأوربي أو الإقطاع الحربي ولا يقابل كلمة FIEF بل ان المقصود به هو التفويض لشخص ما بإدارة إقليم من الأقاليم إدارة شبه مستقلة مقابل

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

لمن يريد من الباحثين أن يتعرف على الدراسات الأخرى لروتون عن القبائل ودورها في تاريخ العراق والبحرين منذ القدم حتى العصر الحديث عليه مراجعة الأبحاث التالية لنفس الكاتب .

Urban Autonomy In a Nomadic environment, J. of Near Eastern Sts. No. 1 and 2
(1973) pp. 200-15, Enclosed Nomadism, JEsbo, Vol. x III/i, PP. 1-30.

(٨) حول عقيل وبطونها ومواطن سكانها راجع الحسن بن عبدالله الأصفهاني (ت حوالي ٣١٠) ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح أحمد العلي ، (الرياض ، ١٩٦٨) ، ٣ — ١١ ، ابن حزم (ت ٤٥٦) جمهورية أنساب العرب (القاهرة ١٩٦٢) ، ٢٩٠ — ٩٢ ، ٧٨٢ ، وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ج٢ (بيروت ١٩٦٦) ، ج٦ (بيروت ١٩٦٨) ، ٢٤ — ٢٥ ، القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (القاهرة ١٩٥٩) ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ٢٤٦ ، ٣٣٠ ، ٣٦٦ . نظراً لكثرة الأخطاء في هذه الطبعة يستحسن مقارنتها بالنسخة المطبوعة في بغداد عام ١٩٥٨ بتحقيق علي الحاقاني . راجع أيضاً لنفس المؤلف صبح الأعشى (القاهرة ١٩١٤) ، ٢٠٤/٤ . قلالة الجبان في التعريف بقبائل عرب الزمان (القاهرة ١٩٦٣) ٧٦ — ٧٧ ، ١١٩ — ٢١ ، عبد الستار الحسني نظرات في نهاية الأرب للقلقشندي ، مجلة البلاغ ، ٦/٢ (١٩٧٦) . ٦٣ — ٧١ . خاشع المعاصيدي ، دولة بني عقيل في الموصل (بغداد ، ١٩٦٨) ، ٢٧ — ٣٠ .

H. C. Kay, Notes on the History of the Banu Okayl, JAS, Vol. XVIII, 1886, PP. 491-526.

لقد اعتمد كي في بحثه على ابن خلدون بشكل رئيسي .

(٩) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ٣ — ١١ .

G. Rentz, art. "Katif", EI²

(١٠) الهمداني (ت ٩٤٥/٣٣٤ — ٤٦) صفة جزيرة العرب ، (القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٣) ، ١٣٦ — ٣٧ ، وكذلك أنظر عبد الرحمن عبد الكريم النجم . البحرين في صدر الإسلام (بغداد ١٩٧٣) ، ٤١ — ٤٤ .

(١١) ابن الأثير ، الكامل (القاهرة ١٣٥٣) ٩٣/٦ ، تاريخ ابن خلدون ، ١٩٥/٤ ، ٢٨/٦ ، ٦٣ : ثابت بن سنان ، تاريخ أخبار القرامطة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ١٤ ، ٧١ ، ١١٠ .

(١٢) حول هجرات قرامطة البحرين هذه ، راجع ابن الأثير ج٦ ، ج٧ ، ابن خلدون ١٨٨/٤ — ٩٤ .

(١٣) أنظر على سبيل المثال ابن خلدون ٢٥/٦ ، عبد الجبار ناجي ، الامارة الزيدية (البصرة ١٩٧٠) ٣٥ — ٤٢ ، الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المفلح الأيلخانيين ، بغداد ١٩٦٨ (١٧٣ — ١٧٧

١٧٧ ، يذكر ابن الأثير ١٢٣/٧ ، أنه في سنة ٣٦٤ تقلد أبو طريف عليان بن ثمال الحفاجي حاية

الكوفة وهي أول إمارة بني ثمال .

(١٤) ابن الأثير ١٣٦/٧ ، ١٦٥ ، ٢٢٤ (في حوادث ٣٧٨ و ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٢٩٤) : ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٤/٧ .

(١٥) تاريخ ابن خلدون ٦٤٧/٢ — ٤٨ ، ٢٤/٦ — ٢٥ .

(١٦) نفس المصدر ٢٨/٦ .

(١٧) ابن خلدون ٢٤/٦ — ٢٥ ، ٦٣ .

(١٨) يرد هذا الاسم في تاريخ ابن خلدون بصورتين ثلاث ، فتارة بني أبي الحسن (٤٦٨/٢) وتارة أبي الحسين الأصغر بن تغلب (٢٥/٦) وأخرى بنو الأصغر بن تغلب (١٤٢/٦) ، وكذلك قلاله الجمان ، ١٢٠ . ولا شك أن المقصود بهذا هو الأسرة العيونية التي تنحدر من أحد بطون عبد القيس أي أبناء محمد بن أبي الحسين بن عبدالله علي العيوني . كما أنه من المحتمل أن بني الحسن ربما قصد بهم أولاد أبي الحسن علي بن مسمار زعيم عبد القيس الذي انتزع منه القرامطة القطيف . إلا أن هذا الاحتمال الأخير ضعيف ، أنظر محمد بن عبدالله العبد القادر ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم ، (الرياض ١٩٦٠) ٢٥٦/١ ، صفة جزيرة العرب ، ١٣٦ . أما إطلاق اسم بنو الأصغر بن تغلب فهو نوع من التخليط ، إذ لا نعرف ظهور أسرة بالبحرين بهذا الاسم وكل ما نعرفه استناداً إلى ما ذكره ابن الأثير ، بأن زعيم المنتفق المسمى الأصغر قد قام بمهاجمة البحرين عام ٩٨٨ / ٣٧٨ ونهب القطيف ونظراً لانتشار بني المنتفق ما بين البصرة والبحرين وعموض تاريخ البحرين حدث هذا التداخل في الأسماء والإحداث . راجع الكامل ج ٧ (القاهرة ١٣٥٣) ١٣٩ . أما الأصغر التغلبي الذي ذكره ابن الأثير في حوادث عام ٤٣٩ في رأس العين ، وجمع حوله أتباع كثيرين وادعى بأنه مرسل ، فقد تم إنهاء حركته هذا وقد ذكره ابن خلدون أيضاً ١٩٦/٤ فلا نرى له أبة صلة بالبحرين .

(١٩) تاريخ ابن خلدون ٢٤/٦ — ٢٥ ، ٦٣ .

(٢٠) أنظر قلاله الجمان ، ١٢١ .

(٢١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (بيروت ١٩٦٨) ١٩٥/٤ — ٩٦ ، القلقشندي ، نهاية الأرب ٩٦٦ ، قارن ذلك مع ما ورد في طبعة بغداد ، ٣٣٨ ، أنظر أيضاً القلقشندي ، قلاله الجمان ، ١١٩ — ١٢٠ .

(٢٢) ابن خلدون ١٩٥/٤ .

(٢٣) ابن الأثير ١٣٦/٧ : قارن ذلك بما جاء في ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٠/٧ .

(٢٤) ن . م ٣٢٥/٦ ، ٣٤٠ : ابن مسكويه ، (ت ٤٢١ / ، تجارب الأمم) ، (القاهرة ، ١٩١٥) ج ٢/ ١١٢ ، ١٤٤ ابن الجوزي ، المنتظم ٣٦٨/٦ .

(٢٥) ن . م راجع ٦٥/٧ (حوادث ٣٨٤) ، (حوادث ٣٨٥) ٢٢٤ (حوادث ٣٩٤) هذا وقد توفي

- الأصغر أو الأصغر المشفي عام ١٤٠٩ أو عام ٤١٠ أنظر الكامل ٣٠٣ : تاريخ هلال الصافي ،
ذيل على تجارب الأمم (القاهرة ، ١٩١٩) هامش ٣ ، ص ٤٠٩ .
(٢٦) سفرنامه (بيروت ١٩٧٠) ، ١٤٥ ترجمة يحيى الخشاب .
(٢٧) محمد بن خليفة النباني ، التحفة النباهية في تاريخ الجزيرة العربية (القاهرة ١٣٤٢ ط ٢) ٩٣ — ٩٤
كذلك أنظر ، تحفة المستفيد .
(٢٨) التحفة النباهية . ٩٤ — ٩٥ ، تحفة المستفيد ، ٩٨/١ — ١٠٠ ، ٢٥٤ .

J. M. de Goeje, *Lafin de Empire des Carmathes dus Bahrain*, J. A. 1895, lx Serie, 1- (٢٩)
30 Quoted in Caskel, *Eine Unbekannte Dynastie in Arabien* Oriens, 2, 1949, 66-
71, esp. 70.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن عبد الفتاح الحلو الذي حقق ديوان ابن المقرب لم يطلع عند تحقيقه
الديوان على مخطوطة دي غويه أو على بحثه المذكور أعلاه . وحول نظام الحماية راجع .

CL. Cahen, art, "Himaya", El².

- (٣٠) التحفة النباهية ، ٩٦ — ٩٨ ، تحفة المستفيد ، ٩٨/١ — ١٠٠ — ٢٥٩ ، ٦٠ ، وحفيد بن
رزيق . الفتح المبين ، (القاهرة ١٩٧٧) ٢٣٨ — ٣٩ .
(٣١) ن . م . وكذلك تحفة المستفيد ١٠١/١ ، ١٦١ ديوان ابن المقرب (القاهرة ١٩٦٣) هامش ص ٥٣٣ .
(٣٢) المصدر السابق (القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ب . ت . ١٥٣/٨) ومما هو جدير بالذكر هنا أن ابن
الأثير قال بأن الرجل الذي حرص زعيم بني عامر على مهاجمة البصرة قال له فيما قال (لقد فعل
أجدادك بالحاج كذا وكذا وأفعالهم مشهورة مذكورة في التواريخ . إن هذا للدليل على أن بني عامر في
ظل القرامطة كانوا يقومون بهذا العمل راجع أيضاً الذهبي/ دول الإسلام (القاهرة ١٩٧٤) ١١/٢ .
ومما هو جدير بالذكر أن البرفسور بوزورث قد وصف هؤلاء المهاجمين بأنهم قرامطة البحرين ، وهذا
ما لم يقله ابن الأثير الذي كان مصدره في هذه الواقعة ، إذ أن القرامطة قد انتهى أمرهم في تلك
الجهات قبل هذا التاريخ . أما إذا كان بوزورث قد قصد بأنهم كانوا على مذهب القرامطة فهو أمر
يصعب قبوله أيضاً . راجع .

C. E. Bosworth "The political dynastic history of the Iranians World, 1000-1217"
PP. 1-202, esp. 99.

In the *Cambridge History of Iran*, Vol. 5, Cambridge, 1968.

- (٣٣) جزيرة العرب في نزعة المشتاق تحقيق إبراهيم شوكة ، م . الجمع العلمي العراقي م/٢١/١٩٧١
ص ٥٠ .
(٣٤) ديوان ابن المقرب ، ٦٤٦ — ٤٧ .

(٣٥) ديوان ابن المقرب ، ١١١ — ١١٢ ، هامش ص ٥٤٦ — ٤٧ أنظر كذلك .
Caskel, op. Cit. 70.

(٣٦) تاريخ ابن خلدون ٥٣٠/٣ الكامل ، ٢١٩/٩ : تحفة المستفيد ، ١٠٤ .
Quoted in M. B. Rowton. The Role of Water Courses in the Growth of (٣٧)
mesopotamian Civilization, *Alter Orient und Altes Testament*, Bd. 7. 1969, 307-16.

- (٣٨) ديوان ابن المقرب ، ٢٠٢ .
(٣٩) تحفة المستفيد ٢٦٨ .
(٤٠) نفس المصدر ١٠٧ ، ٢٦٩ .
(٤١) ن. م. ، ١٠٧ — ٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ .
(٤٢) ديوان ابن المقرب ٤٥٦ — ٤٦٥ .
(٤٣) ديوان ابن المقرب ٦٣٨ — ٣٩ : تحفة المستفيد ، ٣١٣ .
(٤٤) الكتيب طرف الاحساء الجنوبي ، والعيون طرفها الشمالي . المحادith من أرض العيون وحلوان مكان بين الاحساء والقطيف .
(٤٥) الخط . هي القطيف . صفواء طرفها الشمالي ، الظهران طرفها الجنوبي .
(٤٦) وأمس شيء ، أوجعه . المروزان وكوزكان قريتان في جزيرة أوال .
(٤٧) التحفة النباهية ، ٩٨ ، ديوان ابن المقرب ، ٥٠٥ وللإطلاع على تفصيل أكثر راجع تحفة المستفيد ١٠١/١ ، ١٠٨ — ٩ ، ٢٥٣ .
(٤٨) صفة بلاد اليمن أو تاريخ المستبصر ، ٢٠١ .
(٤٩) تحفة المستفيد ١١٢ — ١١٤ . ديوان ابن المقرب ٦٣١ — ٦٤١ .
(٥٠) تحفة المستفيد ١١٣ ، ١١٦ — ١٨ ، ٢٥٣ .
(٥١) ن. م. ١١٨ .
(٥٢) حول هذا المخطوط أنظر تحفة المستفيد ملحق رقم ٣ ، ٢٥٠ — ٥٤ . خصوصاً صفحة ٢٥٣ .
(٥٣) ابن الجاور ، صفة بلاد اليمن أو تاريخ المستبصر ، (لندن ١٩٥١) ص ٢٨٨ .
(٥٤) حول حياة منجم باشي ومؤلفاته راجع .

S. A. Hasan, Munejjim Bashi, Turkish Historian of the Sijugids of Iran, *Islamic Studies*, Vol. 2, (1963) PP. 457-66.

- (٥٥) أحمد أفندي الملقب منجم باشي ، جامع الدول (مخطوط) ، ٤١٨ ، (المكتبة السلطانية) ، مجموعة أسعد أفندي الرقم (٢١٠١) — للورقة ٦٤٧ .
(٥٦) تحفة المستفيد (ملحق ٣) ٢٥٣ .

(٥٧) وصاف الحضرة عبدالله بن فضل الله الشيرازي ، تاريخ وصاف المسمى تجزية الأمصار وترجية الأعصار (بوبي ١٢٦٩) أعيد طبعه في طهران (١٣٣٨) جلد دوم ، ١٧٩ .

(٥٨) أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي — كتاب الجغرافيا — (بيروت ، ١٩٧٠ ، ١٨ — ١٣١ .

(٥٩) تاريخ ابن خلدون ١٩٦/٤ — ٩٧ ، قلائد الجمان ، ٢٠ ، نهاية الأرب ١٠٦ .

(٦٠) صبح الأعشى (القاهرة ١٩١٥) ٦٠/٥ .

(٦١) تاريخ ابن خلدون ٦٤٨/٢ — ٤٩ ، ٢٥/٦ ، قلائد الجمان ، ١٢١ : نهاية الأرب ، ٣٣ .

(٦٢) المصدر السابق ٢٥/٦ .

• لقد استعمل الشيخ التنبائي تسمية الزنجيين لأتابكة فارس بدلاً من الاسم الشائع في المصادر التاريخية

وهو السلفريون نسبة لجدهم سلفر التركاني الذي كان حاجباً لسلطان السلاجقة في العراق طغرل

الأول . ولقد تابع التنبائي في تسميته هذه من نقل عنه دون أدنى تمحيص . بل أن هذه التسمية قد

أدت ببعض من هؤلاء إلى الوقوع في خطأ شنيع ، إذ تصوروا أن السلفريين هم من الزنج الذين

كانوا قد تاروا في جنوب العراق وحكموا البصرة في النصف الثاني من القرن الثالث/ القرن التاسع .

(٦٣) تحفة المستفيد (ملحق ٣) ٢٥٣ ، وصاف ، جلد أول ١٧٦ — ٧٧ قاضي أحمد غفاري قزويني ،

تاريخ جهان أرا (تهران ١٣٤٣ شمسي) . ١٢٦ — ٢٧ . ومن الجدير بالذكر أن القاضي غفاري قد

ذكر اسم جمشيد كآخر ملوك بني قيسر وتابعه في ذلك منجم باشي الورقة ٦٤٦ ، وهذا بخالف ما

ذكره وصاف الحضرة الذي لمعلوماته عن بني قيسر أهمية خاصة . لذا رجحنا روايته : عباس إقبال ،

المصدر السابق ، ٣٣ أنظر أيضاً .

Jean Aubin, Les Princes D'Ormuz Du XIII^e Au XV^e Siecle, Journal Asiatique, Vol. 241 (1953), PP. 77-137, esp. 81.

(٦٤) تحفة المستفيد ، ٢٥٣ ومن الجدير بالذكر هنا أن اسم أمير هرموز يرد في المصادر بصورة متعددة فتارة

سيف الدين أبو المظفر أبو نصر وتارة أخرى أبو النظر أو أبو النصر .

(٦٥) آثار البلاد (بيروت ١٩٦٩) ٢٤٣ ، تاريخ جهان أرا ١٢٦ — ٢٧ ، جامع الدول ، ورقة ٦٤٦

ب — ٦٤٧ — عباس إقبال ٣٣ — ٣٤ .

Aubin, Op. Cit. 18

وما هو جدير بالذكر هنا أنه في عام ٦٣٢/ ١٢٣٤ — ٣٥ ، كان قد وصل بغداد كل من أمير

البحرين محمد بن محمد عن طريق البر ، وأمير هرموز (أبو النظر) عن طريق نهر دجلة ومعهم عدد

كبير من الأتباع . ولا بد أن يكون حضورهما لغرض الحصول على الدعم المادي والأدبي من الخليفة

المستنصر ضد الأتابك أبو بكر السلفري وضد العصفوريين راجع ابن أبي الحديد ، شرح نهج

البلغة ، القاهرة ١٣٢٩ . مجلد ٤ ص ٤١ .

(٦٦) تحفة المستفيد ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(٦٧) تحفة المستفيد ٣٥٤ ، وصاف ، جلد دوم ١٧٩ ، عباس إقبال ٣٤ — ٣٥ ، التحفة التنبائية ، ٩٩

— ١٠٠ راجع أيضاً .

Rentz & Mulligan, art, "al-Bahrayn", EI², Aubin, Op. Cit, 81.

(٦٨) وصاف ، ١٧٩ .

Ata-Malik Juvaini, *The History of the World Conqueror*, Translated by j. a. Boyle (٦٩) (Manchester, 1958), Vol. 1, 234.

وأيضاً ، منجم باشي المصدر السابق ورقة ٦٤٧ .

(٧٠) وصاف ، جلد دوم ، ١٧٩ .

(٧١) وصاف ، جلد دوم ، ١٧٩ ، تاريخ جهان أرا ، ١٢٦ — ٢٧ جامع الدول ، ورقة ٦٤٦ — ٤٧ ، عباس إقبال ، ٣٥ . لقد ذكر رز بأن عام ١٢٥٣/٦٥١ هو تأريخ انسحاب السلفريين من جزيرة البحرين واستقلال العصفوريين بها وهو بذلك يكون قد اعتمد على ما رواه ابن سعيد المغربي .
راجع .
art, "al-Bahrayn" EI²

(٧٢) راجع رواية ابن خلدون في السابقة .

(٧٣) حمد الله مستوفي قزويني ، تأريخ كريمة نشرة بروان (لندن ١٩١٠) ، ٥٠٧ ، حاجي خليفة (كاتب جلبي) فذلكه أقوال الأخبار في علم التاريخ والأخبار . مكتبة باباويد ، مخطوط رقم (١٠٣١٨) ورقة ١٣٨ .

(٧٤) حول النقود في الخليج العربي ، في العصر الوسيط راجع :

Nicholas M. Lowick, Trade Patterns on the Persian Gulf in the light of Recent Coin Evidence" In *Near Eastern Numismatic, Iconography, Epigraphy and History*, ed Dickrank Kouy mijian — 319-33, (Beirut, 1974).

(٧٥) للاطلاع على الدراسات الحديثة المتعلقة بأل فضل .

د . جعفر خصباك ، المصدر السابق ، ١٦٨ — ٧٧ ، د . محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (النجف ١٩٧٠) . ٣٢٦ — ٤٣ ، د . مصطفى الحباري ، الإمارة الطائفة في بلاد الشام (عان ، ١٩٧٧) ، وأخيراً فايد حمادي عاشور ، العلاقات السياسية بين المالك والمغول في الدولة المملوكية الأولى (القاهرة ١٩٧٦) .

(٧٦) نهاية الأرب ، ١٠٦ .

(٧٧) محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ / ١٢٩٣) تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور (القاهرة ١٩٦١) ، ١١١ .

Yajima, *The Arab Dhaw Trade*, v3 «Pani-nan Rashid Wa, The Fall of Baghdad and the Mongol Rule in Al-Iraq, 1258-1335 Unpublished Disscrtation for Ph. D. Univ. of Utah, 1974, 133-34. (٧٨) (٧٩)

لقد اعتمد المؤلف الصيني رشيد وو كثيراً على كتاب الأستاذ جعفر خصباك ونقل عنه معظم أفكاره وسأيره في توبيع أطروحته . إلا أنه مما يميز هذه الأطروحة أن المؤلف قد استعمل المصادر الصينية في كتابة تاريخ العراق وأثار قضايا كثيرة كانت لحد الآن من القضايا المسلم بها . وقد رفض الفكرة القائلة بأن المغول قد دمروا الاقتصاد العراقي وموارده ومنها مشاريع الري والتجارة الخارجية . وفي مكتبي نسخة مصورة من هذه الأطروحة .

(٨٠) المقريري (ت ١٤٤١/٨٤٥) السلوك في معرفة دول الملوك (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ٧٤٢/١ .

Subhi Labib "Egyptian Commercial Policy In the Middle Age" In *Studies in the Economic History of the Middle East*, ed. M. A. Cook, (London, 1970), 63-77, esp. 69.

(٨١) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ٨١/٤ وابن عنبه ، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ، النجف ١٩٦١ ، ١٤٣ — ٤٤ المقريري ، السلوك ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ٥٣٣/٢ .

(٨٢) المختصر في أخبار البشر ، ٨٣/٤ — ٤ .

(٨٣) المقريري ، السلوك ، ٢١٤/١ — ١٥ .

(٨٤) عن القلقشندي ، نهاية الأرب ، ١٠٦ ، تحفة المستفيد ، ١١٩ . ومن الجدير بالذكر هنا أن السيد نوري عبد الحميد العاني قد خلط بين زعيم المنتفق مانع بن شبيب وبين زعيم بني عامر مانع بن عصفور لذا فقد فسر قول العمري «بأن الأمرة في أولاد مانع على أن المقصود به مانع شيخ المنتفق وبأنه إشارة إلى حكام البصرة وهذا خطأ ، واضح . راجع العراق في العهد الجلايري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ .

(٨٥) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - القاهرة ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٨/٥ .

(٨٦) ن. م. القاهرة ، ١٩٦٦ ، ٣٥٤/٣ .

(٨٧) المهيمندار ، كلمة فارسية الأصل تتكون من مقطعين الأول مهمن ومعناها الضيف ، والثاني دار وتعني الشخص الذي يستقبل الضيف .

(٨٨) راجع حول ذلك ، صبح الأعشى ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٤٤٧/٥ — ٤٨ — ١٣٧٠/٧ — ٧١ .

(٨٩) الذهبي والحسيني ، من ذيل العبر ، (الكويت ، ١٩٧٠) ، ٣٠٢ وكذلك راجع عباس الغزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٣ الملحق ص ٣٩ ، والغزاوي ينقل ما أورده ، عن ابن قاضي شهبة .

(٩٠) تورانشاه توفي ما بين عام ١٣٧٠/٧٧٢ وعام ١٣٧٧/٧٧٩ وكان قد تولى الحكم عام ١٣٤٧/٧٤٧ ويرى أوبين أنه ألف كتابه «الشاهنامه» بعد عام ١٣٥٠/٧٥١ . هذا وقد قام الرحالة البرتغالي الشهير تكسيرا بترجمته باختصار إلى البرتغالية في النصف الأول من القرن السابع عشر وعن هذه الترجمة قام وليم سنكلير بترجمته مع رحلة تكسيرا إلى اللغة الإنكليزية وجعل الشاهنامه ملحقاً للرحلة وعلى هذه

الترجمة كان اعتمادنا وقد أشرنا إليها تحت تكسيرا . وعنوان الرحلة مع الشاهنامة هي : —

The Travels of Pedro Teixeira, with "His Kings of Harmuz" Translated by W. F. Sinclair, (London, 1902).

(٩١) حميد بن زريق (١٢٩١/١٨٧٤) ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى . (منشورات وزارة التراث القومي العراقي) ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ٢٤٧ — ٤٨ .

J. C. Wilkinson, art, "Kathat" El2. (٩٢)

(٩٣) لعل عبارة تزوين الواردة في النص ما هي إلا تحريف لاسم جزيرة تاورت أو دارين إذ لا يوجد في ساحل الخليج العربي مكان باسم تزوين .

(٩٤) محمد بن علي الشبانكاري ، مقتطفات من مجمع الأنساب المتعلقة بهرموز نشرة أوبين : كملحق لبحثه باللغة الفرنسية ، الذي سبق وأن أشرنا إليه مراراً راجع Aubin, 129-37, esp. 130. معين الدين نظري . منتخب التواريخ معني ، تحقيق أوبين تهران . ١٣٣٥ شمسي) ١١ — ١٢ .

Aubin, 85. عباس إقبال ، ٣٦ . (٩٥)

(٩٦) التحفة النهائية ، ١٠٠ — ١٠١ .

(٩٧) علي بن الحسن الخرجي ، المقود للؤلؤة في تاريخ الدولة الرسولية ، القاهرة ، ١٩١٤ . ٢١١/١ — ١٣ .

(٩٨) للاطلاع على ترجمة مقتضبة عن حياته أنظر ، الذهبي ، من ذيل العبر للذهبي والحسيني . الكويت ، ١٩٧٠ ، ٣٥ (حوادث ٧٠٦) أيضاً أنظر ، ابن حجر السقلافي ، الدور الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ط ٢ ج ٢ ، ٦١ .

Aubin, Op. Cit, 89-90 ; عباس إقبال ، ٣٧ . (٩٩) وصاف ، ٢٦٨ ،

(١٠٠) للاطلاع على عرض شامل لتطور أنواع الإقطاع في العصور الإسلامية المختلفة ، راجع البحث القيم

لكاهين . CL. Cahen, art, "Ikta" El2

Aubin, 93 . (١٠١) وصاف ، ٣٣١ — ٣٢ .

Aubin, 90 . (١٠٢) وصاف ، ٣٠٢ — ٣٠٣ .

Aubin, 97 . (١٠٣)

Aubin, 100 . (١٠٤) مجمع الأنساب ، ١٣٣ .

(١٠٥) مجمع الأنساب . ١٣٣ . منتخب التواريخ معني ، ١٥ — ١٦ .

Teixira, 167-71 Aubin, 101-2

(١٠٦) مجمع الأنساب . ١٣٤ — ٣٦ . منتخب التواريخ معني . ٧٦ — ١٧ عباس إقبال ٤٢ .

B-Spluler, Die Mongolin in Iran, (Berlin, 1955), 151 ; Teixeira, 173-81.

(١٠٧) رحلة ابن بطوطة ، (القاهرة ، ١٩٦٤) . ١٤٦/١ .

طخفة : الجبل المشهور

من مباحث كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي تقوم «دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر» بنشره ، وقد صدر منه جزءان من تأليف الأستاذ المحقق الشيخ محمد العبودي .

طُخْفَةُ :

جبل مشهور أحمر ، وعر المسالك ، ولذلك تعيش فيه الأروى إلى الآن ، يقع إلى الشرق من ضربة في غرب القصيم . تنطق العامة لفظه ، بضم الطاء مع إمالتها للكسر ، ثم خاء ساكنة ، ففاء فتاء مربوطة تنطق دائماً هاء .

وفي القديم كان ينطق بكسر الطاء . قال ياقوت : طخفة بالكسر ويروي بالفتح عن العمراني : ثم السكون ، والفاء ، والطخاف : السحاب المرتفع ، والطخف : اللبن الحامض وحكي البكري فتح الطاء وكسرها عن الخليل .

قال لفدة : ثم طخفة ، وهو جبل أحمر طويل ، حذاؤه بئار ومناهل قال الشاعر الضباني لبني جعفر :

قد عَلِمْتُ مُطَرَفٌ خَضَابُهَا يَزِلُّ عَنْ مِثْلِ النَّقَا ثِيَابُهَا
أَنَّ الضَّبَابَ ^(١) كَرَّمَتْ أَحْسَابُهَا

Hamd-allh, Mustawfi of Qazwin, The Geographical part of the Nuzhat-al-Qulub, (١٠٨)
Translated by G. Le Strange, (Leyden, 1919), 135.

(١٠٩) صحح الأعشى ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٣٧٠/٧ .

(١١٠) G. Rentz, art, "al-Katif" EP. . قارن ذلك بما ذكره ابن بطوطة في رحلته ،
١٧٧/١ .

(١١١) N. M. Lowick, Op. Cit, 324-30.

(١) الضباب فخذ كبير من بني كلاب .

يوم المنّيب

جاء في كتابكم عن أبي علي المهنري^(١) : (المنّيب قرية لبني سبنس ، مقابلة أجا ، من بطن حابيل في الغرب ، عن قيد بيومين ، بها هزم أمية بن عبدالله ، عبدالله بن عمرو بن عثمان ... ورومان عن المنّيب بيوم ، ونقلتم هذا في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي»^(٢) وأضفتم قول ياقوت ومنه : (ويوم المنّيب من أيام طيء المذكورة) .

وقد بحثت عن خبر هزيمة أمية ، وخبر اليوم المذكور ، فلم أر له ذكراً فيما اطّلت عليه ، وأنا أعيدُ بحثاً عن (قبيلة طيء) .

فأرجو إرشادي إلى المصدر الذي يفيدني في الموضوع !

حابيل — محمد الجارالله

العرب :

١ — أمية المذكور في كلام المهنري هو أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وتكرار كلمة (عبدالله) خطأ وقع في مخطوطة «نوادير المهنري» التي هي مصدر كتابنا عن المهنري .

الرمال ، وهذا المنبسط من الأرض هو البياض ، وهو خارج عن المنطقة التي نتحدث عنها في هذا القسم من «المعجم» .

وساقفة البياض هي الرمال الواقعة شرقيها ، المتصلة برمال الدهناء وحبالها كالوحيد وحزوا وتلك البلاد التي يعنيها ذو الرمة ، فهو ذكر البياض ليوسع البلاد التي يُقصدُ منها المملوح .

محمد الجاسر

٢ — اليوم الذي أشار إليه باقوت من أيام الإسلام ، هو فيها يظهر اليوم الذي هزمت فيه قبيلة طيء أمية بن عبدالله المذكور ، ويقال له عبدالله بن المطرف — والمطرف لقب أبيه عمرو بن عثمان — وقد وقع ذلك اليوم أثناء إمارة عبد الواحد بن سليمان المدينة ، وقع فيها بين سني (١٢٩ و ١٣٠) وما هو خير ذلك اليوم — على ما ذكره البلاذري في كتاب وأنساب الأشراف^(١) قال : وَقِيلَ أُمِيَّةُ بْنُ الْمُطَرَفِ بِقَدِيدٍ^(٢) ، وكان عبد الواحد بن سليمان^(٣) قد ولّاه على أسدٍ وطِيءٍ فجاءه سبعون من قَرَارَةٍ ، وذلك في أيام مروان بن محمد ، فسألوه أن يخرج بهم معه ليغزوا على طِيءٍ لِثَارٍ كان لهم فيهم ، فخرج بهم وتجمع إليهم ناس من أهل المعادن طلباً للغنائم ، فلقبه معدان الطائي بالنتب في جماعة من طيء فهزموه ، وقد كانوا عرضوا عليه أن يرُدَّ قَرَارَةَ ويأتي فيمن أحبَّ لأخذ صدقة أموالهم ، وفي ذلك يقول معدان يعتذر إلى عبد الواحد وأهل المدينة ويذكر عرضهم على أمية أن يرُدَّ قَرَارَةَ ويعطوه صدقاتهم :

ألا هل أتى أهل المدينة عرضنا	خصالاً من المعروف يُعرف حالها
على عاملينا والسيف مصونة	بأغادها ما زيلتها نصالها
أتينا إلى فِرْتَاج سمعاً وطاعة	نُودِي الزكاة حين حان عقالها
ومن قبل ما صرنا وجاءت وفودنا	إلى قَيْدٍ حتى ما يُعَدَّ رجالها
فقالوا : أغرّ بالناس نُفُطِكَ طِيءٌ	إذا وطنها الخيلُ واجتبح مالها
ودون الذي مَنُوا أُمِيَّةَ هَبْوةً	من الضرب قِدْماً لا تُجَلَّى ظلالها ^(٤)
دعوا يَنْزَارٍ فاعشَرْنَا بطِيءٍ	هناك زَلَّتْ في نزار نعالها

وهذه الأبيات من قصيدة نشرها صديقنا الدكتور حاتم صالح الضامن في مجلة «المورد» - المجلد الثامن - العدد الثالث ص ٢٥٥ إلى ٢٦٢ نقلاً عن كتاب «منتهى الطلب» من أشعار العرب» والقصيدة تقع في ٣٧ بيتاً. وهي منسوبة لأنيف بن حكيم النبهاني، الذي

□ أنساب الأشراف :

يعتبر كتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري - أحمد بن يحيى بن جابر المتوفى سنة ٢٧٩ هـ من أهم المصادر التاريخية وأشملها^(١) ، مع أن مؤلفه توفي قبل إكماله ، وبذلت جهودٌ لنشره منذ أكثر من مئتين عاماً ، فلم يتحقق ذلك . فقد نشر أحد المستشرقين الألمان قطعة منه ، وقامت (الجامعة العبرية) بنشر ثلاثة أجزاء وقررت (الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية) نشره فصدر منه الجزء الأول قبل عشرين عاماً ، ولم يصدر غيره . ثم اتجه المعهد الألماني للدراسات الشرقية ، لنشر الكتاب بعد أن اتفق مع ثلاثة من خيرة العلماء لتحقيقه هم الدكتورة إحسان عباس وعبد العزيز الدوري ومحمود المغول .

فصدر أحد أجزاءه بتحقيق الدكتور الدوري منذ عام — ولم أطلع عليه — ثم صدر جزء آخر هو — كما في طرته — (القسم الرابع — الجزء الأول — بنو عبد شمس ، معاوية — زياد

قال عنه الدكتور الفاضل : (ولا نعرف عنه غير ما نقله البغدادي عن ابن المستوفي من أنه شاعر إسلامي) .

فهل نعدان لقب أنيف بن حكيم ، أم هما اثنان ؟!

لعل لدى الصديق الدكتور حاتم من الجواب ما يزيل الإشكال ، ويزيد الموضوع إيضاحاً ،

(١) أنظر كلمة عنه في «العرب» — السنة الأولى ص ١١٢/١١٤ .

— يزيد — عثمان) بتحقيق الدكتور إحسان عباس . في مجلد ضخيم بلغت صفحاته ٧٣٠ مطبوعاً في بيروت (المطبعة الكاثوليكية) خير طباعة ، ورقاً وحروفاً وحسن إخراج ، وهو الحلقة الـ ٢٨ من سلسلة (النشرات الإسلامية) لجمعية المشرقين الألمان .

ومباحث الكتاب متنوعة ، ليست قاصرة على من ورد ذكرهم في طرّة الكتاب ، بل اتخذ المؤلف من سلسلة النسب وسيلة ليورد عن من يذكر اسمه ما يعرف عنه من خير أو شر ، وإذا وجد المجال واسماً أطال كما في تراجم المشاهير ، ويتطرق للذكر الحوادث في مناسباتها . أما عن التحقيق فقام الأستاذ الدكتور إحسان في هذا الميدان أشهر من أن يذكر وقد جاءت الفهارس الوافية في نحو مئة صفحة .

□ أديب من عسير :

هذا الأديب هو الأستاذ الشيخ عبدالله بن علي بن حميد (١٣٢٦/ ١٣٩٩ هـ) أديب بلاد عسير ، وأعلم من عرفت من أهلها بتلك البلاد جغرافيةً وأنساباً . وقد عرفته منذ نحو ثلاثين عاماً ، وتوطّدت بيننا أواصر الأخوة والصداقة ، ووعدني بكتابة القسم المتعلق بتلك البلاد من المعجم الجغرافي ، وأخبرني حين زار الرياض سنة ١٣٩٨ وهي آخر مرة رأيته في خلالها — أخبرني بأنه أكمل ذلك القسم ، وعلمتُ بجزء وفاته حين عُدت من إحدى رحلاتي إلى أمريكا للعلاج ، فمرت بمدينة (تأني) فكان أن قابلت في (السفارة) الأخ أحمد علي أبو عشي — فعلمت منه بأن الأستاذ عبدالله قد توفّي ، ولقد أصيبتُ بتأثر عميق لفقد هذا الرجل ، ولكن ماذا يُجزي الأسي (١) ؟!

وكتاب «أديب من عسير» يتحدث عن حياة الأستاذ عبدالله حديثاً موجزاً في أقل من صفتين ثم يعرض نماذج من كتاباته نثراً وشعراً ، ويحوي صورته في شبابه ، وكلمة شكر لسمو الأمير خالد الفيصل الذي ينسب إليه الفضل في إخراج هذا الكتاب ومؤلفه هو الأستاذ محمد بن عبدالله — المترجم — ويقع الكتاب في ١٦٢ صفحة بطباعة حسنة وقد صدر هذا العام (١٤٠٠/ ١٩٨٠ م) عن (مطابع عسير) في مدينة أبها .

(١) أنظر ص ٦٥٥ من السنة الرابعة عشرة .

□ المعجم الجغرافي — مقاطعة جازان :

وصدرت الطبعة الثانية من القسم المتعلق بمقاطعة جازان من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ، تحوي زيادات كثيرة بحيث بلغت صفحات هذه الطبعة ٤٨٦ — فيها عدد من المصورت الجغرافية .

والكتاب من منشورات (النادي الأدبي في جازان) بإشراف (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) والطباعة بمطبعة نهضة مصر ، في العام الماضي (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) .

□ الآثار التاريخية في جازان :

ومن منشورات (النادي الأدبي في جازان) كتاب «الآثار التاريخية» وهو من تأليف مؤرخ جازان الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ، ويقع في ١٠٨ من الصفحات ، مطبوعاً بمصر (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) بإشراف (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بمطبعة نهضة مصر .

□ نفعات الجنوب :

هذا هو الديوان الخامس للشاعر الأستاذ محمد بن علي السنوسي ، وهو من منشورات (النادي الأدبي في جازان) ويضم نحو ٢٩ قصيدة ومقطوعة ، متنوعة الأغراض . وليس الأستاذ السنوسي بحاجة إلى تقديمه للقراء وطباعة هذا الديوان أنيقة من حيث الورق وحسن الإخراج ، وقد صدر هذا العام (١٤٠٠) مطبوعاً بمطابع الروضة في جدة .

□ المعجم الجغرافي — المنطقة الشرقية .

وصدر من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية (البحرين قديماً) الجزء الأول . يحوي مقدمة عن تاريخ المنطقة ، ويحدد المواضع من حروف الألف الى نهاية حروف الحيم ، ويقع في ٤٦٤ صفحة ، وفيه نحو عشرين مصوراً (خريطة وصوراً أثرية) وصدر سنة ١٣٩٩ (١٩٧٩ م) مطبوعاً بمطبعة نهضة مصر . وهو من تأليف صاحب هذه المجلة .